الجمعية الشرعية
لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية
هيئة العلماء



زادنا في رمضان

تأليف الدكتور
منير جمعة أحمد
مدرس العلوم اللغوية بكلية الآداب
جامعة المنوفية
عضو هيئة علماء الجمعية الشرعية

تقديم الأستاذ الدكتور
محمد المختار محمد المهدي
إمام أهل السنة
ورئيس الجمعيات الشرعية



للنشر والتوزيع
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م



٨ ش جمال حمدان – خلف عمارات المقاولون العرب – آخر شارع مصطفى النحاس – الحى الثامن – مدينة نصر

تليفون : ٠٠٢٠٢٩٢٨٨١٢٩
محمول : ٠١٢٤٣٩١٧٤٢

برقياً : الحى الثامن – م.نصر
القاهرة – مصر

BALANCIA
BUPLISHERS
Cairo - Egypt

Tel : 002029288129
Mob : 0124391742

E-Mail :
balancia@hotmail.com
Web Location :
http://www. balancia.com

الطبعة الثانية
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٥/١٧٥٠٣م
ISBN :
17x24 cm . 144 P

الإخراج الفني / الخوارزمي لخدمات الكمبيوتر



تقديم الطبعة الأولى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد

فإن شهر رمضان يُعدّ موسمًا للخيرات والمغفرة والرحمة والعتق من النار، وهو ساحة تعبديّة فيها يرقى العبد بعبوديته لربه لينال رضاه ، ويفوز بالجائزة ، ويكفى الصائم فضلاً ورقيًّا أن من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا خرج منه كيوم ولدته أمه هكذا أخبر المعصوم ﷺ .

والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية ، يجتهد علماؤها فى تبليغ دعوة الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ إلى حشود المسلمين فى المساجد بمنهج يواكب العصر لتنطلق مسيرة الأمة على هدى من الكتاب والسنة لعبادة الله كما أمر اتباعًا لرسوله ﷺ كما هدى، فعندئذ ترقى الأمة فى دعوتها قولاً وتطبيقاً ، منهجًا وسلوكًا فتحصل على زادها الذى أمرها الله أن تتزود به وهو زاد التقوى ، وذلك قوله ﷻ

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

والمسلم متى حاسب نفسه ، وندم على ما فرط فى جنب الله ، فتاب وأناب واستغفر ربه . وصحح مسيرته ، وانطلق يتزود بالتقوى والعمل الصالح فاز برضا الله تعالى وبخاصة إذا كان فى شهر الرحمة والمغفرة .

والأخ الكريم الداعية المحترم وصاحب الفكر المعتدل الشيخ / منير جمعة أحمد هو واحد من علماء الجمعية النابغين فى ساحة دعوتها قدم جانبًا من الزاد فى كتابه المتواضع فى مبناه الغزير فى معناه تحت عنوان :

زادنا في رمضان

وقد جمع فى هذا الكتاب توجيهات رشيدة ، وأحكامًا فقهية نافعة وأوضح دور الداعية والمدعو فى رمضان ، وبيَّن المنهج التربوي في ضوء صلاة التراويح

وزكاة الفطر، ومنهج الدروس الرمضانية كما وجه الشباب والفتيات إلى أهمية الثقافة الإسلامية التي ترقى بفكرهم ، وتحرر عقولهم من الثقافة الزائفة ليكونوا حصنًا واقيًا لأمتهم ، وعونًا على ازدهار اقتصادها ، وهذا منهجنا الذي نهدف إليه فى جمعيتنا المباركة .

نفع الله بالكتاب والكاتب

والله سبحانه من وراء القصد وهو يهدي السبيل

إمام أهل السنة الراحل
الرئيس العام للجمعيات الشرعية
أ.د / فؤاد على مخيمر





تقديم الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من ورث هدي جميع الرسالات ، وعلى آله وصحابته ، ومن دعا بدعوته و سار على طريقته إلى يوم الدين ... أما بعد ،،،،

فإن أهم ما تفتقر إليه الأمة اليوم لهو الدعوة الراشدة والكلمة الصادقة التى تنبعث من قلب يحمل هم الإسلام . ويدرك ما يعانيه البشر في دنيا الواقع ، وما بأيدي المسلمين من دواء ناجع ، وما يدبر للأمة من عدوها في الداخل والخارج ، وما يعطل وصول النور إلى قلوب أبنائها من البدع والخرافات والعادات المنافية لشرع الله .. ثم لابد مع كل هذا من مهارة لغوية وأسلوب يتناسب مع المدعوين يمزج بين الحقائق والمشاعر ، ويحلق بهم في سماوات الأشواق الروحية والفيوضات الربانية .. ذلك أن هذا كله داخل في مفهوم الحكمة التي أمرنا أن نتخذها وسيلة نافعة للتبليغ لمراد رب العالمين وهدى سيد المرسلين على أن من يجيد هذا الفن قليل .. ومن هذا القليل – كما نحسبه والله حسيبه – ولدنا النابه المتميز بالعلم الموثق ، والأسلوب الموفق والجهد الدائب . والإخلاص النادر ، والإدراك الواسع لآلام الأمة وآمالها الدكتور منير جمعة أحمد عضو هيئة علماء الجمعية الشرعية ، ثبته الله وبارك فيه .. وقد قرأت ما كتبه في هذا الزاد الثقافي والدعوى فوجدت فيه نظرة واعية ثاقبة لفكر صاف فاقه متسق مع منهج الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية .. ومن

هنا نحث إخواننا من الدعاة والمنتسبين إلى هذه الجمعية المباركة أن يستفيدوا من هذا الزاد لا في شهر رمضان فحسب ؛ وإنما في جميع الأوقات ، نفع الله به وحمى صاحبه من غرور النفس ، وكيد الكائدين ، وأكثر الله من أمثاله .

والله الموفق

أ. د. محمد المختار محمد المهدي
إمام أهل السنة
والرئيس العام للجمعيات الشرعية

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير الكائنات ، وبعد :

فإن شأن المقدمة دائما عسير ، إذ غالبا ما تكون آخر ما يكتب وأول ما يقرأ !

ودرجت العادة على أن تكون المقدمات عنوانا للكتاب وصاحبه ، ودلالة على المستور من أمرهما ، ولن أخالف العادة .

بدأت حكايتى مع فكرة هذا الكتاب منذ سنوات طويلة ، حين كان يحز فى نفسى أن أجد كثيرًا من الناس يجتهدون ويجدون لاستقبال رمضان ، ولكنه الاجتهاد فى الطريق المعاكس !

فإذا كان رمضان شهر الصيام ، فإن نفرًا من الناس يجتهدون للطعام ! وإذا كان رمضان شهر التقوى فإن نفرًا من الناس يجتهدون للشهوات !

وكنت أهتف بنفسي : وأنت ! ماذا تصنع ؟ لئن كنت لا تشارك في الباطل ، فأنت لا تشارك في الحق ، حتى أخذ ذلك الهتاف يُلحّ علىّ ، وأنا عنه جدّ مشغول ، هكذا فى كل عام كلما اقترب رمضان ، وكلما انتويت البدء ، صرفتنى الصوارف!

إلى أن اقترب رمضان عامنا هذا ، وانتبهت للفكرة من جديد ، لكنى فوجئت أنى فى أواخر رجب ، ولم يتبقّ على رمضان إلا أيَّام معدودات ، فكدت أستسلم للتسويف وأنا أردد: نمت وأدلج الناس !

لولا أن تداركنى بقية من عزم غريب عني ، وهمةٌ لا عهد لي بها من قبل ، فانطلقت فى الكتابة لا ألوى على شىء ، ووجدتنى أُرجئ كل شيءٍ آخر ، إلى أن استوى الكتاب على سوقه فى وقت وجيز.

والعجيب فى أمر هذا الكتاب ، أنى انتويت البدء فيه ـ فى هذه الظروف الضيقة ـ ثم لم ألبث بعدُ ساعة واحدة حتى جاءنى هاتف من الجمعية الشرعية فى منزلى يخبرنى بنية الجمعية فى إصدار كتاب عن رمضان !

فقلت : يالله ! ما هذا التوافق المذهل ؟ وعلمت أنها إشارة إلهية كى لا أكسل كعادتى . وانتهيت بفضل الله تعالى من الكتابة ومعاناتها ، ووفقنا ـ بفضل الله ـ فى الجمعية إلى اختيار هذه المؤسسة لسابق عهدنا بها ، ولثقتنا فى رجالها وها نحن ـ معًا ـ نترقب ظهور هذا الكتاب قبل رمضان ! والله هو المعين .

أما فصول الكتاب فمتنوعة ، فتبدأ بـ (دورنا الدعوى فى رمضان) ، ثم

(أحكام فقهية) ثم (الصحيح والضعيف حول رمضان) ثم (مخالفات رمضانية) ثم (دروس القيام) .

أما (**دورنا الدعوى**) ، فقد ضمنته نصائح وتصورات لدور الدعاة وإدارات المساجد والأئمة فى هذا الشهر المبارك ، وختمته بتوجيهات للفرد وللبيت المسلم .

وجمعت فى فصل (**الصحيح والضعيف**) عشرة أحاديث صحيحة من البخاري ومسلم حول رمضان ، وعشرين حديثًا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى درجت الألسنة على ذكرها فى المحافل العامة كلما أقبل رمضان ، وافتتحته بكلمة حول حكم العمل بالحديث الضعيف .

ثم جمعت أشهر التجاوزات التى يقع فيها كثير من الناس فى هذا الشهر الكريم وضممتها معًا تحت عنوان (**مخالفات رمضانية**) .

أما فصل (**الأحكام الفقهية**) فقد تناولت فيه عشرة أحكام يكثُر الحديث عنها وتشتد الحاجة إليها فى رمضان ، ولما كنت فردًا يعتريه الخطأ والصواب ، فقد عرضت تلك الأحكام جميعها على إخوانى وأساتذتى فى لجنة الدعوة بالجمعية الشرعية الرئيسية فى حضور فضيلة الإمام الراحل (الدكتور فؤاد مخيمر) وأقرتها اللجنة بفضل الله تعالى . كما شرفنى فضيلة الإمام الحالي (الدكتور محمد المختار المهدي) بمراجعة هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، وبكتابة هذه المقدمة الكريمة لتكون تاجًا للكتاب وصاحبه .

ورأيت أيضًا أن أكتب لإخوانى الدعاة ومن فى حكمهم ثلاثين درسا فى القضايا المعاصرة التى تُناسب المقام ، ويمكن أن يستعين الدعاة كل ليلة بواحدٍ منها فى دروس القيام المباركة .

وبعد ؛ فهذه هي الطبعة الثانية ، وبها إضافات كثيرة ، وهذا جهد المقل ، وإن مد الله ﷻ فى العمر فسيكون لنا مع رمضان جهدًا أخر وشأن أخر ، وإلى كل العاملين المخلصين لدين الله ، وإلى حبات القلوب الذين نذكرهم عند الغروب أُهدى هذا الكتاب .



د . منير جمعة أحمد

عضو هيئة علماء الجمعية الشرعية

المدرس بآداب المنوفية ، قسم اللغة العربية

حررته بمدينة القاهرة ، لسبع خلون من شعبان لعام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة النبي ﷺ الموافق للحادي عشر من شهر سبتمبر لعام ألفين وخمسة للميلاد



دورنا الدعوي في رمضان

لا شك أن رمضان فرصة سانحة ، وأوقات فاضلة ، من لم يغتنمها فقد أضاع أعظم موسم للعبادة ، وأرجى وقت للطاعة ، فهو بداية العام الإيماني للمسلمين ، وهذا المعنى نستنبطه من حديث جميل يتعلق بشهر شعبان ، فإن النبي ﷺ لما سُؤل عن كثرة صيامه فيه ، قال : ((قَالَ ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)) [1] . ويُفهم من هذا أن شهر شعبان هو شهر الحساب الختامي لعمل المسلم في السنة ، تمهيداً لفتح صفحة عام جديد ، مع شهر رمضان ، إذن يجيء رمضان كصفحة مشرقة ، وبداية موفقة ، وإنما يعظم الأجر إذا جمع المسلم بين العبادة والدعوة إلى الله ﷻ ، فالنفوس مهيأة للقبول والقلوب في أعلى درجات الاستعداد للإنابة والخضوع ، إذ يلطف الله ﷻ بأمة محمد ﷺ ، فتغل فيه الشياطين ومردة الجن ، حتى لا يقدروا على ما كانوا يقدرون عليه في غيره ، ولهذا تقل المعاصي في رمضان ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ)) [2] . والدعاة إلى الله ﷻ يريدون الفوز بالقدح المعلّى والنصيب الأوفى من الأجر والغنيمة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾  ، إنهم هم الطائفة التي تقدمت لتحمل هذا العبء ، أو قل : لتشارك في هذا الشرف العظيم ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وما أعظم الجزاء ((لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهُدَاكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)) متفق عليه . فليقم كل منا بدوره .

(١) سنن النسائي ، كتاب الصوم ، حديث رقم ٢٣١٧ . وأخرجه بعض أصحاب السنن بسند صحيح .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، حديث رقم ٣٠٣٥.

وهذا تصور للرسالة التي نود توصيلها في رمضان :

== المضمون الدعوي في رمضان ==

إيقاظ الإيمان :

(أ) التوبة . (ب) الاستقامة . (ج) المراقبة .

احترام الشعائر والشرائع :

(أ) انحسار : المجاهرة بالفطر ـ ترك الصلاة ـ الفحش في القول والسلوك.

(ب) انتشار : إقامة الصلاة ـ الإقبال على القرآن ـ اعتياد المساجد الحجاب

إحياء الأخلاق :

التحلي : التكافل ـ التهادى والتزاور ـ الاهتمام بأمور الأمة والدعاء لها .

التخلي : خلف الموعد ـ الفجور في الخصومة ـ الغلظة والشدة .

الإيجابية والمشاركة :

(أ) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (اجتماعيًا) .

(ب) إلف العطاء والتضحية لدين الله .

إيقاظ الوعي :

(أ) إحياء المناسبات الإسلامية .

(ب) كشف المشروع الصهيوني من خلال " الاحتفال بنصر العاشر من رمضان " .

ولأن الداعية هو عدتنا لتحقيق هذه الأهداف ؛ فإننا نريده :

== هكذا رجل الدعوة ==

- نريد لنموذجنا المجاهد أن يكون رجل دعوة عنوانه :

شجاعة يربطها حذر، وطاعة يحدوها وعي، وطاقة يُصَرِّفها تخطيط ،

ورغبة تغربلها تجارب .﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

- نريده رجل القضية الإسلامية ، وسماته :

إيمان يعمقه تفكر ، وعبادة يصحبها عمل ، وألم يبعثه واقع المسلمين ، وأمل يفتحه رجاء رحمة الله ، وثقة يغذيها قول الله تعالى ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

- نريده أسيرًا في يد الشريعة :

ديدنه السنة ، فإذا هو بمنأى عن البدعة وما لم يكن عليه أمر رسول الله ﷺ ، مشربه كوثر الحديث النبوي ، وحوضه الخبر المصطفوي ، فهو يكرع من سلسبيل الإسلام الخالص، ويشرب من عين الإيمان الصرف فحق له أن يكون من أهل

السنة الخالصة والجماعة الناجية .

- إن سئل عن طريقه قال : الاتباع .
- وعن هيئته قال : لباس التقوى .
- وعن مقصوده ومطلوبه قال : نريد وجه الله .
- وعن قضائه لوقته بالغدو والآصال قال ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ وفى ميادين الدعوة ، ورد الناس إلى طريق الحق ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾
- وعن نسبه ، قال :

أبى الإسلام لا أب لى سواه　　　إذا افتخروا بقيس أو تميم

فهو فى رحلته إلى الله تعالى مع كتيبة الحق وقافلة التوحيد حيث أصحاب الكفاية الثقات الربانيون والوعاظ الإسلاميون الذين أعدوا أنفسهم بالعلم والخبرة للنفير . ولا شك أن لكل منا دورًا فلننتبه إلى تلك النداءات :

أولاً : إلى الدعاة

يا من تحملون شرف الكلمة ، وأمانة الدعوة ، هلموا إلى بغيتكم ، فالجموع فى المساجد ينتظرونكم ، ويترقبون توجيهاتكم النافعة ، وإرشادتكم الموفقة فيا لها من فرصة !

إن أوقات الكلام كثيرة ، وفرص العلم والوعظ مفتوحة .

فهناك خاطرة الفجر الروحية التى تصل القلوب بالله ، ويحسن بها أن تكون فى الرقائق وفضائل الأعمال ومن المراجع المفيدة فى ذلك : (مختصر منهاج القاصدين للمقدسى — ورياض الصالحين للنووى)

وهناك درس العصر ، ويغلب عليه الصبغة العلمية ، ففيه يعرف المسلم ما له وما عليه من الحلال والحرام ، ويحسن أن يكون الدرس فى (فقه الصيام) وفى ما يستجد من أمور تكثر الحاجة إلى معرفة حكمها وفقهها ، كصدقة الفطر ، وأحكام الاعتكاف ، وصلاة العيد ... إلخ .

فإن كان المسجد ، متشبعًا بالفقه ودروسه طوال العام ، فلا بأس أن يكون الدرس فى سيرة النبى ﷺ والدروس المستفادة منها .

وهناك درس القيام ، وفيه يجتمع أكثر أهل المسجد ، ولذا يحسن أن يكون الدرس بقدر المستطاع فى القضايا المعاصرة التى يحتاج المسلمون إلى تمثلها وحسن فهمها فى هذه الأيام بالذات ، مع مراعاة الإيجاز والاختصار ، والتركيز الشديد ، لأن المطلوب ليس الغرق فى التفصيلات ، والإلمام بالجزئيات وإنما يكفى فى هذه العجالة (حوالى ثلث الساعة

تقريبًا) الوقوف على التصور الكلي للموضوع .

وقد أعددنا ثلاثين نموذجًا لثلاثين قضية مناسبة يمكن تناولها في ليالي القيام المباركة وهي مع الأحكام الفقهية تغطي الشهر كله بإذن الله .

ثانيًا : إلى إدارات المساجد : "" المسجد الآن هو الرئة التي يتنفس بها الإسلام ""

إن المحاولات الدءوب لحصار المسجد ، والالتفاف حول دوره المهم قد نجحت في إقصاء المسجد عن القيام بمهمته الكبرى في حياة المسلمين ، إلى الحد الذي وجدنا فيه كثيرًا من المساجد لا يمارس أي لون من ألوان الدعوة إلى الله ولا أي نشاط لخدمة المسلمين في المنطقة التي تحيط به .

اللهم إلا الصلوات العجلى لا أكثر ولا أقل !

ولعل الأمل في تغيير هذه الصورة - ليعود المسجد مركز حياة المسلمين - معقودٌ على القائمين على أمر المساجد بالدرجة الأولى ، فهم أهل الحل والعقد فيها ، وهم الذين يستطيعون - بهمتهم العالية - أن يملؤوها حركة ونشاطًا ، وأن يجعلوها مركز إشعاع في ليل المسلمين الذي طال ، وهم على النقيض من ذلك - يستطيعون كذلك بخنوعهم وتكاسلهم وقلة اكتراثهم أن يزيدوا الطين بلّة لا قدّر الله .

فإدارة المسجد وعمارته تحتاج إلى رجال لهم صفات خاصة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

إننا نرجو أن يكون رمضان المبارك بداية طيبة لانطلاق الدعوة في المساجد من جديد .. ولذا نقترح على القائمين عليها ما يلي :

- تكثيف دروس التجويد وتحفيظ القرآن الكريم بالمسجد ، بوساطة شيخ من ذوي الكفاءة على أن يكون الدرس يومياً بعد خاطرة الفجر مثلاً ، أو حسب أحوال الروّاد
- اختيار قارئ حسن الصوت ليؤم الناس بجزء في الليلة - إن أمكن - أو حسبما تَيسر .
- الاهتمام بالدروس الخاصة بالنساء ، ولتكن بعد صلاة الظهر مثلا ، فالمرأة نصف المجتمع ولا يصح إهمالها .
- الاهتمام بجمع الأولاد يومين في الأسبوع على الأقل وتعليمهم أمور الدين بطريقة ميسرة ، مع تشجيعهم ليرتبطوا بالمسجد بعد ذلك .
- إن كان بالمسجد مكتبة للكتب فيستحب فتحها في أوقات مناسبة يوميًا

للرواد ودعوة المسلمين للاستفادة منها .

- الاهتمام - ما أمكن - باختيار بعض الوعاظ الفضلاء ذوى العلم للدروس اليومية ، على أن يخصص أحدهم لخاطرة الفجر فى الرقائق ، وآخر لدرس العصر فى الفقه .. إلخ .
- عقد بعض المسابقات الثقافية بين الرواد بإحدى الصور الآتية :
- إلقاء سؤال على جمهور المصلين يوميًا بعد درس القيام وتكون هناك جائزة فورية ، أو يترك لهم الفرصة للتفكير لليوم التالى وتجمع الإجابات - بحد أقصى قبل صلاة العصر - فى صندوق خاص يتم فتحه أمام الناس وسحب إجابة عن طريق أحد المصلين
- طبع مسابقة فى ورقتين على الأكثر، ويمكن إشراك أصحاب المحال المجاورة للمسجد فى تقديم هدايا مناسبة للفائزين فى نهاية الشهر، ويمكن أن تكون هناك مسابقة خاصة للنساء ، لتشجيع الجمع على القراءة .
- طبع إمساكية رمضان ، ليعلم عن طريقها أنشطة المسجد فى رمضان ، وأهم الدروس ودعوة الناس للتفاعل معها .
- الاهتمام بالصدقات وأعمال البر ، ويمكن عمل صندوق (إفطار الصائمين) أو إقامة مائدة يومياً - لإفطار الصائمين - بحسب الإمكانات المتاحة .
- دعوة المسلمين للاعتكاف إحياء لسنة النبى ﷺ وتوفير الجو المناسب للمعتكفين ما أمكن ذلك ، ومحاولة الاستفادة القصوى من الاعتكاف عن طريق صلاة التهجد مثلاً .

ثالثاً : إلى الأئمة فى الصلاة

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وأيام رمضان هى حياتهم الحقيقية ولذا يجب عليهم ما يلى :

١ - المراجعة المستمرة لكتاب الله ﷻ ، وقطع العلائق الدنيوية الصارفة عن الاستظهار والتلاوة والتدبر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

٢ - مراجعة قواعد التجويد (نظريًا وتطبيقيًا) لتصحّ قراءة القرآن فى الصلوات ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾

٣ - الحرص على القراءة بمقدار جزء فى الليلة فى صلاة التراويح ما أمكن ذلك ليتعلق الناس بكتاب الله ويعيشوا معه كاملاً مرة على الأقل - فى السنة -

٤ - الحرص على عقد مقرأة يومية ، أو أسبوعية - بحسب المستطاع فى المسجد بعد صلاة الفجر ، لتعليم الناس القراءة الصحيحة وقواعد التجويد ، كما جاء فى الحديث ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) (١).

٥ - مراجعة فقه الصلاة لمواجهة المواقف الطارئة بعلم وفقه رشيد " تعلموا قبل أن تسودوا "

٦ - أن يكون الأئمة فى المسجد أئمة فى كل شيء " يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال " كما قال سالم مولى أبى حذيفة فى غزوة اليمامة .

رابعاً : نصائح للفرد

أولا : مع النفس :

(أ) رمضان بداية العام الإيمانى ، فابدأه بتوبة نصوح ونيّة صادقة .

(ب) ضع برنامجا لنفسك ، يناسب ظروفك ، والتزم بتطبيقه .

(جـ) تزود بالعمل الصالح ، وذلك بالمحافظة على :

١ - صلاة الجماعة فى المسجد ، مع التبكير فى الحضور .

٢ - الحرص على صلاة القيام بجزء كامل - ما أمكن - فى المسجد .

٣ - أذكار الصباح والمساء ، وورد يومى . (تسبيح - استغفار - صلاة على النبى ﷺ .. إلخ)

٤ - قراءة جزء من القرآن يوميًا . بحيث تختمه مرة على الأقل .

٥ - الالتزام بالمقاطعة الصارمة للتليفزيون من باب درء المفاسد .

٦ - بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، فهؤلاء أولى الناس بالإحسان .

٧ - الاستعداد لاعتكاف العشر الأواخر تطبيقاً للسنة .

ثانيا : مع الناس : الدعوة الفردية عن طريق :

١ - استيعاب المضمون الدعوى فى رمضان .

٢ - ارتباط عام بأشخاص من شرائح مختلفة فى محيط (العمل - السكن).

٣ - ارتباط خاص بفرد أو اثنين على الأقل بصورة منتظمة لتعويدهم الالتزام بالإسلام سلوكاً وعقيدة .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، حديث رقم ٤٦٣٩.

خامساً : نصائح البيت

- داخل البيت :

١ - إشاعة روح التسابق فى الأعمال الصالحة بين أفراد المنزل .

٢ - الصبر على أهل البيت ومعاملتهم بالحسنى .

٣ - الاستفادة من الجو الروحانى وتوجيه أفراد الأسرة وإرشادهم على الإفطار والسحور .

٤ - عدم الإسراف فى الأكل والشرب .

٥ - وضع ميزانية محددة لشهر رمضان والعيد ـ بحيث لا ترهق اقتصاديات الأسرة .

٦ - عمل برنامج يومى للبيت .

٧ - التعامل الواعى مع وسائل الإعلام .

٨ - صندوق التبرعات والصدقات .

٩ - حصر الملابس التى يمكن الاستغناء عنها وإعدادها وتوزيعها للفقراء وحبذا لو كانت جديدة لتليق بيوم العيد إن توافرت القدرة.

- خارج البيت :

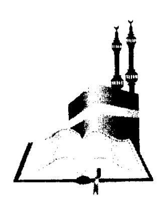
١ - حسن معاملة أهل البيت للجيران وتوثيق الصلة بينهم

٢ - توطيد الصلة بالحم والحماة

٣ - إفطارات العائلات

٤ - إفطارات العمارة

٥ - التكافل الاجتماعى فيما بيننا .





أحكام فقهية

== أثر المعاصى ومشاهد التليفزيون على الصيام ==

س : هل يفسد الصوم بالمعاصى . كترك الصلاة ومشاهدة التليفزيون وترك المرأة للحجاب ؟

شرع الله ﷻ الصوم تزكية للنفس ، وتطهيرًا للروح من الآثام والمعاصى ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فالهدف من الصيام تحقيق التقوى فى قلب المسلم حتى يكون عمله وفق ما أمر الله سبحانه .

أما الصلاة فهي عمود الدين ، ووسام المؤمنين ، ومعراج العبد لرضوان رب العالمين ، وقرة عين سيد المرسلين ، تركها كسلاً فسق وإجرام ، وتركها جحوداً كفر وخسران ، من جحدها فلا صيام له ، ومن أهمل فيها يُخشى عليه من سوء العاقبة ، غير أن إهماله لا يبطل الصيام .

أما ترك المرأة للحجاب ، فكبيرةٌ من الكبائر ، إذ الكبيرة - عند كثير من العلماء - هى الذنب الذى توعد الله فاعله بالعذاب أو بالحرمان من الجنة ، وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن المتبرجات - غير المحجبات - ((لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا)) [1] ومشاهدة البرامج الخليعة ، والمشاهد العارية فى التليفزيون أو السينما أو المسرح حرام باتفاق فى رمضان وغير رمضان ، لأن المسلم مأمور بغض بصره عن الحرام فى كل وقت ، وتشتد الحرمة فى رمضان .

وبعض الأئمة - ومنهم ابن حزم - يرى أن الصائم إذا ارتكب معصية فى نهار رمضان بطل صومه ، كما لو أنه أكل أو شرب ، وقد روى ذلك عن بعض الصحابة والتابعين واستدلوا بحديث : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) متفق عليه ، قال ابن العربى : " مقتضى هذا الحديث ألا يثاب على صيامه " .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، حديث رقم ٣٩٧١.

والحق ـ الذى نراه ـ أن المعاصى تضيع ثمرة المقصود من شرعية الصيام ، وتذهب بالمراد منه وهو التقوى ـ ولكن الصيام لا يفسد بها ، بمعنى أننا لا نأمر فاعل المعاصى بصوم يوم مكانه .

ولكننا نقول كما قال عمر رضي الله عنه : " ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ، ولكن من الكذب والباطل واللغو " ، ولذا فإن أهون الصيام ـ كما قال السلف ـ ترك الشراب والطعام .

فعلى المسلم أن يتقىَ الله ، ولا يجعل يوم فطره ويوم صومه سواء ، كما أن على القائمين على أمر التليفزيون وعلى أجهزة الإعلام أن يتقوا الله فيما يقدم للناس فى رمضان وفى غير رمضان ، حتى لا يتحملوا إثمهم وإثم المشاهدين معهم ، كالذين قال الله فيهم ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (١)

== ختم القرآن فى رمضان ==

س : أصبح كثير من أئمة المساجد يحرصون على ختم القرآن فى صلاة التراويح فى شهر رمضان . فما حكم الشرع فى ذلك ؟

قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ وثبت فى الحديث المتفق عليه أن جبريل عليه السلام كان يلقى النبى ﷺ فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، وفى العام الذى توفى فيه رسول الله ﷺ : " عارضه جبريل بالقرآن مرتين ".

ويفهم من هذا أن شهر رمضان بالذات كان مخصصًا لتدارس القرآن بين جبريل عليه السلام ونبينا ﷺ فى كل سنة ، بحيث يتم فى كل رمضان مراجعة ما أنزل فى الفترة التى بينه وبين رمضان الذى قبله ، وقد استنبط العلماء من ذلك مشروعية ختم القرآن فى رمضان ، بل إن السنة أن يختم القرآن فى كل شهر مرة . (٢)

ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يخصصون جزءا كبيرا من وقتهم فى رمضان لقراءة القرآن ، حتى قال الزهرى رحمه الله : إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن ، وإطعام الطعام ، وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ، وأقبل على قراءة المصحف . ونقل عن جماعة من السلف أنهم كانوا يختمون القرآن فى رمضان فى كل ثلاث ليال مرة فى القيام (٣) ، وقال كمال الدين بن الهمام عن ختم القرآن فى رمضان " ولا

---

(١) سورة النحل : الآية ٢٥ .
(٢) انظر صحيح البخارى حديث رقم ٤٧٦٥ .
(٣) انظر وظائف رمضان.

يترك لكسل القوم " [١] .

وعلى هذا فإن ختم القرآن فى صلاة التراويح شيء حسن لا بأس به ، لأنه متفق مع روح الشهر ومع المقصود منه ، ومع ما نقل عن السلف ، والله تعالى أعلى وأعلم

== دعاء ختم القرآن ==

س: اختلف الناس فى ما يصنعه الأئمة من الدعاء المعروف عند إتمام القرآن الكريم فى صلاة التراويح والقيام فما حكم هذا الدعاء أهو سنة أم بدعة ؟

الحق أن الناس فى هذه القضية قد اختلفوا اختلافًا بينًا ، حتى كانوا على طرفى نقيض لكننا لو عدنا إلى الأصول الثابتة لانتهى الخلاف أو خفت حدته على الأقل بإذن الله . ومن هذه الأصول :

- أن إتمام القرآن الكريم فى صلاة التراويح أمر مشروع ، كما سبق .

- أن النبي ﷺ دعانا إلى أن نسأل الله تعالى بالقرآن الكريم ، فقد جاء في الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى المسند ((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ قَالَ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ ﷻ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ)) [٢]

كما جاء فى مسند الإمام أحمد أيضا ، والطبرانى فى الكبير من حديث عمران بن حصين ((مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ)) [٣] .

وهذا التوجيه النبوي الكريم عمل به صحابته ﷺ ، أئمة الهدى ، ومنهم أنس بن مالك ، خادم رسول الله ﷺ . فقد جاء فى سنن الدارمى بسند جيِّد : ((أن أَنَس بن مالك رضي الله عنه كان إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ وَلَدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِه فَدَعَا لَهُمْ)) [٤]

فلا شك - عندي - بعد هذا في أن الدعاء عند ختم القرآن مندوب [٥]، ولكن ليس هناك صيغة محددة له كما يظن بعض الناس فإذا ختم الإمام القرآن فى صلاة التراويح فلا بأس أن يدعو ، وأن يكون أكثر دعائه بالمأثور ، وذلك فى صلاة الوتر ، فذلك موضع الدعاء سواء كان قبل الركوع أو بعده ، فكلاهما ثابت وليعلم أن الدعاء الأصل فيه الانكسار والافتقار والإلحاح على المولى ﷻ دون تغن أو تطريب وليحذر من

---

(١) فيض القدير ٣٣٥/١ ، ابن رجب الحنبلى ص ١٩ .
(٢) مسند الإمام أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث رقم ١٤٣٢٦.
(٣) مسند الإمام أحمد ، مسند البصريين ، حديث رقم ١٩٠٢٩.
(٤) سنن الدارمي ، كتاب فضائل القرآن ، حديث رقم ٣٣٣٩.
(٥) وانظر دروس رمضان للشيخ سلمان العودة ص ٤١ - ٤٣ .

إطالة الدعاء ، ومن جعله وعظا أو حوارًا مع المصلين أو سجعًا متكلفًا فإن ذلك من الاعتداء في الدعاء المنهى عنه شرعًا كما سنفصل القول وعليه أن يعلم الناس قبل الدعاء آدابه وشروطه حتى لا يشتط أحدهم عن جهل فيفسد صلاته بألفاظ أو أفعال غير جائزة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

== القراءة من المصحف في الصلاة ==

س : ما موقف الإمام والمأمومين من النظر في المصحف في أثناء صلاة القيام ؟

النظر في المصحف في أثناء الصلاة فيه تفصيل على النحو التالي :

أولا : القراءة من المصحف للإمام والمنفرد :

اختلف الأئمة في قراءة الإمام من المصحف ، فأجاز الشافعي ذلك بلا كراهية ، يستوي في ذلك أن يكون الإمام حافظا أو غير حافظ . وذلك لما روي ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها " أنها أعتقت غلاما لها عن دبر فكان يؤمها في رمضان في المصحف " [1]

ولما جاء في الموطأ [2] عن هشام بن عروة عن أبيه أن ذكوان أبا عمرو - وكان عبدا لعائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فأعتقته عن دبر منها - كان يقوم يقرأ لها في رمضان ".

وقال أبو يوسف ومحمد : يُكره للإمام النظر في المصحف إن كان غير حافظ ، لقول أبي حنيفة : " بلغني عن ابن عباس أنه قال في الرجل يؤم القوم وهو ينظر في المصحف إنه يكره ذلك، وقال: كفعل أهل الكتاب " [3].

وقال جمهور الأحناف : تفسد الصلاة إن كان الإمام غير حافظ لأن التلقن من المصحف تعلم ليس من أعمال الصلاة فيفسدها إذا قرأ ما تصح به صلاته ، وأجابوا عن أثر عائشة رضي الله عنها بأن الذى في الموطأ أن ذكوان - عبدها - كان يقوم يقرأ لها في رمضان ، فليس فيه أنه كان يقرأ لها في المصحف ، وإن صح ما روى ابن أبي شيبة يُحمل على أنه كان يراجع المصحف قبل الصلاة ليكون قريب عهد بما يقرؤه .

والذى نرجحه ونميل إليه كراهة نظر الإمام في المصحف وكذلك المنفرد في الصلاة وذلك للأسباب التالية :

١ - لأن فعل عائشة رضي الله عنها - إن صح - لا يقاس عليه ، لأنها رضي الله عنها امرأة ، وصلاة

(١) أخرجه ابن أبي شيبة انظر مجمع الزوائد [٢ / ٨٣] ، وعلقه البخارى في صحيحه وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح [٢١٦/٢ - ٢١٧] أن أبا داود وصله في كتاب المصاحف ، وكذلك وصله الشافعي وعبد الرزاق)

(٢) حديث رقم ٢٥٢ .

(٣) أخرجه أبو يوسف في [الآثار ص١٤] .

ذكوان بها يُحمل على الضرورة ، إذ لا يجوز العكس لحديث ((لا تؤمنَّ امـــرأة رجـــلاً)) [1] ، وهو رأى الجمهور ، وليس عندنا ما يشير إلى أنه كان حافظا أم لا .

٢ - أننا لم نجد أثرًا ـ صحيحًا أو ضعيفًا ـ أن رجلاً أمّ رجالاً من المصحف ، وهى الحالة التى كانت تصلح دون شك للقياس عند من يجيزه في العبادات .

٣ - أن الانشغال بالمصحف وحمله ، وتقليب صفحاته يشغل الإمام ويلفت نظر المأمومين وقد يذهب بالخشوع ، ولذلك فهو من مكروهات الصلاة عند بعض الأئمة ، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل " كانوا يكرهون أن يجعلوا فى القبلة شيئا حتى المصحف : [2]

فقوله (كانوا يكرهون) يدل على أن العلماء في زمانه كانوا يكرهون النظر في المصحف أو وضع المصحف في القبلة ، بحيث صار هذا الحكم معروفًا شائعاً عنهم .

٤ - أن الصلاة ليست مجالاً للتعلم كما قال الأحناف .

٥ - أن ابن عباس رضي الله عنهما كره القراءة في المصحف في الصلاة ، ورأى فيها تشبُّها بأهل الكتاب .

٦ - أن قراءة الإمام من المصحف نذير سوء، وعلامة على انقراض الحفظة ، ودعوة لعدم الاعتداد بحفظ القرآن ولا بأهل القرآن، وفي ذلك من الخطر ما فيه !.

٧ - الإمامة لا تكون إلا كما قال الرسول ﷺ: ((وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَـرُكُمْ قُرْآنًـا)) [3] فهذه الرواية صريحة فى أن الإمام هو الأحفظ ، ولذلك جاء في حديث عمرو بن سلمة السابق : ((فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّـى مِنَ الرُّكْبَانِ فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِـنِينَ)) . قال الشوكاني فى نيل الأوطار [4] : " المراد بالأقرأ الأكثر قرآنًا لا الأحسن قراءة " .

ولذلك أقول : إن على إدارات المساجد أن تبحث عن الحفظة المتقنين أولاً وهم كثر بفضل الله ، فإن كان المسجد في مكان لا يوجد به حفظة ، فالأولى أن يقرأ أكثرهم قرآنا بما تيسر له ولا شك أن قيام المساجد بدورها في تربية أولاد المسلمين وتعليمهم القرآن ، وترغيبهم في حفظه ، سيوجد قاعدة من الحفظة والأئمة ينتفع بهم إن شاء الله .

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) انظر : الدين الخالص ١٦٨/٢.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، حديث رقم ٣٩٦٣.

(٤) نيل الأوطار ١٩٧/٣ .

ثانيا : النظر في المصحف للمأموم في الصلاة

قبل أن نبين الحكم الذي نميل إليه ، نسوق الاعتبارات التالية :

١ - نظر المأموم في المصحف لم يرد به نص - صحيح أو ضعيف - وما أثر عائشة رضي الله عنها - إن صح - في نظر الإمام وليس المأموم .

٢ - القياس في العبادات لا يجوز عند أكثر العلماء .

٣ - قياس المأموم على الإمام - إن قلنا بجواز القياس - في هذه المسألة قياس مع الفارق لأن الإمام مأمور بالقراءة في الصلاة ، أما المأموم فمأمور بالاستماع لقول الله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وإن كان من قراءة ففاتحة الكتاب فقط.

٤ - لا يوجد حاجة لنظر المأموم فى المصحف : فإن قيل لتلقين الإمام والفتح عليه إن أخطأ قلنا هذه مهمة الحفظة خلف الإمام ، ولا يجوز دخول الصلاة من أجل تلقين الإمام ، فليست هذه نية صحيحة للصلاة كما ذكر العلماء وإن قيل لمراجعة ما يحفظ ، أو تعلم أحكام التجويد قلنا ليست الصلاة محل ذلك ، بل محل ذلك حلقات التجويد والتلاوة وإن قيل للخشوع ، قلنا : الخشوع يكون بالتدبر فيما يقرأ الإمام ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ ، وليس بالنظر فى المصحف ، إذ لم نجد أحداً من السلف - بل من الخلف أيضا - قال إن هذه وسيلة للخشوع !

وعلى هذا فلا أرى وجها لجواز النظر فى المصحف للمأموم ، فلا دليل عليه شرعا ولا حاجة إليه عقلا ، والله تعالى أعلى وأعلم ...

== حول مقدار ما يُقرأ في التراويح ==

س: كثير من الأئمة يخففون في صلاة التراويح إلى حد قراءة آية واحدة في كل ركعة . وكثير منهم يطيلون إلى حد قراءة حزب في الركعة الواحدة فأي الفريقين أهدى سبيلاً ؟

جاء في الموطأ ((عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنَّهُ سَمِعَ الأَعْرَجَ يَقُولُ مَا أَدْرَكْتُ النَّاسَ إلا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ قَالَ وَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فَإِذَا قَامَ بِهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ)) (١)

وروى ابن رجب عن ابن منصور قال : " سئل إسحق بن راهويه " كم يُقرأ فى شهر

(١) موطأ الإمام مالك ، كتاب النداء للصلاة ، حديث رقم ٢٣٤.

رمضان ؟ فلم يرخص في دون عشر آيات ، فقيل له : إنهم لا يرضون ! فقال : لا رضوا ، فلا تؤمنهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة ، كما نقل عن مالك رضي الله عنه أنه كره أن يقرأ دون عشر آيات " [1]

ولعل مستند هذين الإمامين الجليلين فى ذلك ما جاء فى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ)) [2].

والآثار الصحيحة في ما كان عليه السلف الصالح من الاهتمام بالتراويح وإطالة القراءة فيها كثيرة جدًا وهذا هو الحق الذي يجب أن يتبع ، فإن القيام ما سميّ قياما إلا لطول القيام والقراءة فيه ، وأوقات رمضان محدودة ، وأيامه ولياليه معدودة ، فينبغي الاغتراف من كل خير فيه ما أمكننا ذلك ولا نفعل كما يفعل بعض أئمة زماننا الذين ينقرون صلاة التراويح نقرا ، ويظنون أن العدد مقصود لذاته، فيقللون القراءة ويسرعون فيها ويخففون الأركان، ولا شك أن صلاتهم تلك ما أنزل الله بها من سلطان.

ولقد قال كمال الدين بن الهمام عن صلاة التراويح : " وإذا كان إمام مسجد حيّه لا يختم فله أن يتركه إلى غيره " [3].

وقال الشيخ السبكي في الدين الخالص [4] : " الأفضل أن يقرأ فيها - أي التراويح - كل القرآن في جميع الشهر ، فيقرأ في كل ليلة جزء من ثلاثين ، ولا يترك ذلك لكسل القوم ".

أقول هذا هو الأَوْلى ، وعلى الإمام أن يفعل ما لا يؤدى إلى نفور القوم منه مع مراعاة ما يُطلب للصلاة من سنن وآداب . والله تعالى أعلى وأعلم .

== القيام وعدد ركعات التراويح ==

س : كثير من الناس يصلون التراويح بثماني ركعات ، ثم يصلون بالليل ما يسمى بالتهجد ما شاء الله لهم أن يصلوا . فهل ورد في التراويح والقيام عدد معين يجب الإلزام به ؟

فى الحديث عن أبى هريرة قال : " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ ، فَيَقُولُ : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه " [5].

(١) مختصر وظائف رمضان ص ١٨.
(٢) سنن أبي داود ، كتاب للصلاة ، حديث رقم ١١٩٠. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٦٤٢.
(٣) فيض القدير ٣٣٥/١ . (٤) ١٦٥/٥.
(٥) رواه الجماعة.

قال الشوكاني في نيل الأوطار [1] : قوله (من قام رمضان) المراد قيام لياليه مصليا ، ويحصل بمطلق ما يصدق عليه القيام ، وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قيل : ويكون أكثر الليل ، وقال النووي : إن قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح : يعني أنه يحصل بها المطلوب من القيام لا أن قيام رمضان لا يكون إلا بها . وأغرب الكرماني فقال : اتفقوا على أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح " [ا هـ] .

((عَنْ عَبْدالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدالْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ)) [2] .

وعلى هذا فأقل ما يصدق عليه لفظ القيام يجزئ في ذلك ، وصلاة التراويح وجمع الناس لها قال عنها عمر : " نعمت البدعة هذه " والصلاة آخر الليل (التهجد) قال عنها عمر : " الَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ " فلو جمع المسلم بين القيام أول الليل ثم نام وقام في آخره فقد حاز الخير من طرفيه.

أما عدد ركعات القيام فقد جاء في الحديث عن عائشة ﷺ : ((مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا)) [3]

فلما توفي رسول الله ﷺ وزال الخوف من أن تفرض صلاة التراويح أمر عمر ﷺ أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يصليا بالناس واختلفت الروايات في مقدار ما كانا يصليان به .

جاء في موطأ الإمام مالك ((عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ أَنَّهُ قَالَ كَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ بِثَلاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً)) [4] وكذلك في سنن البيهقي بسند صحيح .

وجاء في مصنف عبد الرزاق بسند صحيح أن أبيًا وتميمًا الداري كانا يصليان بالناس إحدى وعشرين ركعة .

---

(١) نيل الأوطار ٦١/٣ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، حديث رقم ١٨٧١، وموطأ مالك ، كتاب النداء للصلاة ، حديث رقم ٢٣١.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، حديث رقم ١٠٧٩، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ١٢١٩.
(٤) موطأ الإمام مالك ، كتاب النداء للصلاة ، حديث رقم ٢٣٣، وكذلك في سنن البيهقي ٤٩٦/٢ بسند صحيح.

وقد ذكـر ابن حجر فى الفتح [1] روايات أخر كثيرة ومختلفة ثم قـال :
" والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث يطيل القراءة تقل الركعات، وبالعكس، وبذلك جزم الداودى وغيره " .

ونقل ابن حجر عن الشافعى قوله : " رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين ، وليس فى شىء من ذلك ضيق .. إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن ، والأوّل أحب إلى " [2]

وإذا كانت هذه هى أقوال الأئمة الثقات ، فكيف يسوغ القول بأن الزيادة على إحدى عشرة ركعة فى التراويح لا يجوز ؟

والسؤال الآن :

هل نهى النبى ﷺ عن الزيادة ؟ أو هل حدد عددًا فى ذلك ؟

إن الأعرابى الذى جاء يسأله ﷺ عن صلاة الليل ؛ قال له النبى ﷺ مثنى مثنى "[3]. فلم يحدد له فى ذلك عددًا معينًا، بل أطلق الأمر .

ثم ألم يُنقل إلينا بطرق صحيحة أن الصحابة صلوا فى زمن عمر وغيره أكثر من إحدى عشرة ركعة أفلا يسعنا ما وسعهم ؟!

== الاعتداء فى الدعاء ==

س: ما المقصود بالاعتداء فى الدعاء ؟ وهل يدخل فيه ما يصنعه بعض الأئمة من تطويل الدعاء والتكلف السجع ، وتحويل الدعاء إلى وعظ ؟

لاشك أن للدعاء شروطًا وآدابًا ينبغى الالتزام به كلها حتى يحقق الدعاء مقصوده من القبول والاستجابة ، والذى يعنينا هنا الإجابة عن هذا السؤال لعموم الحاجة إلى بيانه .

أما الاعتداء فى الدعاء ، فقد أشار إليه الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ قال القرطبى فى تفسيره [4] : " يريد فى الدعاء ، وإن كان اللفظ عامًا "

كما أخرج الإمام النسائى وأحمد ((أَنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي

---

(١) فتح الباري ٤/٢٩٨ .
(٢) الفتح (٤ / ٢٩٨) .
(٣) متفق عليه
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧ /٢٢٦.

أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَإِسْتَبْرَقَهَا وَنَحْوًا مِنْ هَذَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلاسِلِهَا وَأَغْلالِهَا فَقَالَ لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ خَيْرًا كَثِيرًا وَتَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَرٍّ كَثِيرٍ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ ، بِحَسْبِكَ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ)) "[1]

وأخرج ابن ماجه فى سننه : ((أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَعُذْ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ))[2]. وقد علق القرطبى رحمه الله فى تفسيره[3] على هذه الآية ، وعلى حديث ابن ماجه بقوله : " والاعتداء فى الدعاء على وجوه : منها الجهر الكثير والصياح ، ومنها أن يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبى أو يدعو فى محال ، ونحو هذا من الشطط ، ومنها أن يدعو طالبا معصية وغير ذلك ، ومنها أن يدعو بما ليس فى الكتاب والسنة ، فيتخير ألفاظا مقفرة - أى خالية من المعانى المحبوبة - وكلمات مسجعة قد وجدها فى كراريس لا أصل لها ولا معول عليها ، فيجعلها شعاره ، ويترك ما دعا به رسوله وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء ".

ونستطيع أن نقول بعد ما تقدم أن الاعتداء فى الدعاء له صور كثيرة منها :

١- **التطويل الشديد والتفصيل بلا داع :**

وهى آفة عمت بها البلوى " إذ درج كثير من الأئمة على أن يدعو فى الوتر كل ليلة دعاءً طويلاً ربما يربو على ساعة كاملة ، أو أقل قليلاً ! يظل يفصل فيها فى دعائه مثل أن يقول : اللهم إنى أعوذ بك من النار ، ولباس أهل النار ، وطعام أهل النار .. إلخ اللهم إنى أسألك الجنة وأنهار الجنة وأطيار الجنة والحور العين فى الجنة .. إلخ ولا شك أن الحديثين المتقدمين ينهيان عن مثل ذلك فالسنة الدعاء بجوامع الأدعية كما جاء فى حديث عائشة رضي الله عنها ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ))[4] .

ومن التفصيل أيضا ما يدعو به بعض الناس لجميع من يعرفونهم فيقولون " اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وأخوالنا وخالاتنا وأعمامنا وعماتنا " ويمضى يعدد أقاربه ثم جيرانه ثم أصدقاءه وكان يكفيه الإجمال ، كما جاء فى حديث النسائى وأحمد المتقدم .

(١) والحديث بألفاظ متقاربة فى سنن أبى داود (باب الدعاء) ٣٧٣/١ وقد صححه ابن كثير فى تفسيره.
(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، حديث رقم ٣٨٥٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/٧ .
(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٢٦٧.

٢- **تكلف السجع:**

فإن بعض أئمة زماننا ـ الذين عُرف عنهم حسن الصوت ـ يستعدون لرمضان بتجهيز الأدعية التى يبدو السجع فيها متكلفًا ، ويرددون الدعاء ملحنًا بطريقة تطرب لها النفوس ولا شك أن الدعاء فى هذه الحالة يقل فيه الإخلاص ، وقد يؤدى إلى الرياء والسمعة ، نسأل الله العافية ، ويتنافى مع الإلحاح على الله ، وهو مطلوب فى الدعاء ، ومع الإخبات والإنابة والتضرع والانكسار مما جعل كثيرًا من العوام يقبلون على الاستماع إلى أشرطة الدعوات ولا سيّما ليلة الختام ، لا لشىء ـ فى الغالب ـ إلا ليستمتعوا بحسن الصوت ، وليطربوا بحسن الإيقاع والألحان والسجع حتى إن كثيرًا من سائقى عربات الأجرة والميكروباص وجدوا فى مثل هذه الأشرطة بغيتهم لقطع ملل المسافات البعيدة ، والترفيه عن المسافرين ! مما يتنافى مع الغرض من الدعاء .

٣- **المبالغة فى رفع الصوت:**

جاء فى الصحيحين ((عَن أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ في غَـزَاة فَجَعَلْنَا لا نَصْعَدُ شَرَفًا وَلا نَعْلُو شَرَفًا وَلا نَهْبِطُ في وَادٍ إلا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بالتَّكْبير قَالَ فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائبًا إنَّمَا تَدْعُونَ سَميعًا بَصيرًا إنَّ الَّذي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إلَى أَحَدكُمْ منْ عُنُق رَاحلَته)) [1] ونحن الآن ـ بفضل الله تعالى ـ فى عصر مكبرات الصوت ولذا فيجب ألا يرفع أئمة المساجد أصواتهم إلا بقدر ما يسمعه المصلون ، ولا داعى للتزيد فى رفع الصوت فإنه رعونة وإيذاء ، وباب للرياء ، وقد وجدنا فى أزماننا هذه أئمة يتعمدون رفع الصوت بطريقة مبالغ فيها ، مما يؤدى أحيانا إلى تهييج مشاعر المصلين ، فربما تلفظ أحدهم بلفظ يبطل صلاته ! والحكايات عن أمثال هؤلاء أكثر من أن تحصر . فينبغى التحرز والالتزام بالسنة .

٤- **الدعاء بأمور غير جائزة:**

ومن ذلك ما جاء فى صحيح مسلم : ((عَنْ أَنَس أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَادَ رَجُلًا مـنَ الْمُسْلمينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مثْلَ الْفَرْخ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بشَيْء أَوْ تَسْأَلُهُ إيَّاهُ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقبي به في الآخرَة فَعَجِّلْهُ لي في الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ سُبْحَانَ اللَّه لا تُطيقُهُ أَوْ لا تَسْتَطيعُهُ أَفَلا قُلْتَ اللَّهُمَّ آتنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخرَة حَسَنَةً وَقنَـا عَذَابَ النَّارِ)) [2].



(١) مسند الإمام أحمد ، مسند الكوفيين ، حديث رقم ١٨٧٧٤.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث رقم ٤٨٥٣.

ومن ذلك : أن يدعو طالبًا معصية ، كأن يطلب تيسير سرقة أو غصب !

ومن ذلك : الدعاء بمحال . كأن تكون له منزلة نبي ، أو يدعو بأن يمسخ الله أقوامًا قردة .. إلخ

٥- **أن يكون أكثر الدعاء بغير المأثور :**

إذا كان الدعاء في الصلاة ، فإن كثيرًا من أهل العلم ومنهم الأحناف وأحمد لا يجيزون الدعاء بما يشبه كلام الناس ، مثل : اللهم اقض عنا ديوننا ، اللهم ارزقنا طعامًا طيبًا .. إلخ [١] واستدلوا على ذلك بحديث : ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)) [٢].

وقال المالكية والشافعية : يجوز لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود في التشهد : ((ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ)) [٣].

ولذا فإن الأفضل - خروجًا من الخلاف - أن نقول كما قال الغزالي في الإحياء [٤] : " والأولى ألا يتجاوز الداعي الدعوات المأثورة ، فإنه قد يتعدّى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته " .

ولكن لكل أن يدعو بما تيسر له إن عجز عن الدعاء بالمأثور .

ولا ريب أن مما يدخل في باب الاعتداء أن يزيد الداعي في دعائه مواعظ تتعلق بذكر القبر وما يقع فيه من عذاب ، والصراط ، والبعث ، والجنة والنار ، إذ الدعاء ليس محل هذا الوعظ والتذكير .

كما أن تحويل الدعاء إلى حوار بين الداعي وجمهور المصلين شيء مستحدث لم نسمع أن أحدًا من السلف فعله وهذا من البدع المستنكرة ، والله المستعان .

== تاخير الحيض في رمضان ==

س : هل يجوز للنساء استعمال حبوب منع الحيض ، حرصًا على صيام رمضان وقيامه لما فيه من خير وبركة ؟

معروفٌ أن الحائض غير مصرح لها بالصيام ، فإن صامت فهي آثمة ، وعليها أن تقضي بعد ذلك ، فقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ((قَالَتْ كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ)) [٥] .

---

(١) انظر الدين الخالص ٢/٢٦١.
(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٨٣٦.
(٣) رواه السبعة. (٤) إحياء علوم الدين ١/٣١٤ .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، حديث رقم ٥٠٨.

وقد أباح بعض الفقهاء المعاصرين ، كالدكتور يوسف القرضاوى [1] والشيخ عطية صقر [2] ، للمرأة أن تتناول بعض الحبوب التى توخر الحيض (حبوب منع الحمل) إن كان لا يترتب عليها ضرر طبى . وذلك لعدم ورود دليل بالتحريم .

وقد استدلّ عطية صقر بما جاء فى المأثور عن السلف أنهم كانوا يجيزون للنساء فى موسم الحج أن يتعاطين ما يمنع نزول الدم حتى لا يحرمن من أداء الشعائر التى تشترط فيها الطهارة ، كالطواف حول البيت والصلاة بمكة والمدينة، وكان منقوع شجر الأراك مفيدًا فى ذلك ، فوصفوه للنساء .

وأقول : مع أنه لم يرد نص فى تحريم ذلك ، لكن السير على الفطرة والطبيعة أولى وأهدى ، وخير نساء المسلمين كن يفطرن فى رمضان ويقضين فى غيره ، ولا ينقص ذلك من أجورهن شيئًا إذ لا دخل للمرأة فيما يصيبها من الحيض، فذلك أمر قدره الله سبحانه وتعالى عليهن .

وقياس إجازة ذلك فى الحج على رمضان قياس مع الفارق ، فالأول توجبه الضرورة والحاجة الملحة لعدم إمكان الحج بدونه وهو أشهر معلومات ، بخلاف الصوم فقد قال الله فيه ﴿ وَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ فيسع المرأة فى رمضان ما لا يسعها فى الحج .

ومع هذا فإن تناول هذه الحبوب ، وإن لم يكن فيه ضرر طبى ، ففيه مخالفة شرعية عند من لا يجيزون تناول حبوب منع الحمل إلاّ لضرورة كالحفاظ على صحة الأم أو الرضيع إن كانت مرضعًا ، وما شابه ذلك ولا ضرورة هنا ، إذ الأمر فيه سعةٌ من الله فهى تثاب على فطرها وقضائها لأنه أمر تعبدى ، فلماذا ندخل أنفسنا فى الخلاف ؟ والله أعلى أعلم ...

== حول القيمة فى زكاة الفطر ==

س : ظهر فى الآونة الأخيرة أناس يقولون بأن إخراج القيمة فى زكاة الفطر لا يجزئ. فما هو الحق فى ذلك ؟

قضية إخراج زكاة الفطر قيمة فى زماننا هذا من القضايا الشائكة التى جعلت نفرًا من المتدينين يشتدون ويحتدون على الناس ، ويرمونهم - ويرمون العلماء المجيزين لذلك أيضا - بالتهاون والتفريط وعدم الالتزام بصريح النصوص فيما زعموا ، وبلغ من

(1) فتاوى معاصرة ٣٢٤/١ .

(2) مجلة المجاهد - العدد ١٨٥ .

تعصب أناس لوجهة نظرهم أن جعلوا القضية قضية حياة أو موت ، بها يحيون وعليها يموتون ! فدعوا وسعوا ، وجدوا ، واتخذوا في المساجد شونًا، وصوامع ، ومستودعات يفرغون في أجوافها تلك الأنواع التي ذكرتها النصوص ، وغالى بعضهم ، فاكتتب مواصفات (الأقط) واصطنعه في معامله ، كي يتصدق به ، وينفرد بإحياء سنةٍ ميتة في زعمه !

والذي نبدأ به أن هذه المسألة من مسائل الاجتهاد ، والخلاف فيها وارد ومتوقع وليس كارثة ! وهكذا كل مسألة ليس فيها نص قطعي الثبوت والدلالة .

كما أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان ، ولذا غير الشافعي ﷺ كثيرًا من أرائه لما جاء إلى مصر .

والذي نراه في هذه المسالة يتلخص فيما يأتي :

1- الأصل إخراج صدقة الفطر من الأصناف المنصوص عليها في حديث ابن عمر ﵄ حيث قال : ((فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً منه تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)) [1] وهو ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ أيضاً حيث أضاف صنفين آخرين إذ يقول ((زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاحاً من أقط أو صاعاً من زبيب)) [2] لكن كثير من الناس اليوم لا يلتزم بهذه الأصناف المنصوص عليها عند البخاري وغيره فلا يجدون حرجا أن يخرجوا الأرز والفاصوليا ... إلخ.

2- والأصل إخراج صدقة الفطر بالقدر القدر المنصوص عليه وهو الصاع - وهو رأى جمهور الفقهاء - ولكن الصحابة عدلوا عن الصاع في القمح بالذات إلى نصف الصاع لما رأوا أن نصف الصاع منه يعدل صاعًا من التمر، فكأنهم نظروا إلى القيمة ، والحديث ثابتٌ في أعلى درجات الصحة حيث رواه الجماعة ونصه : ((عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنَّا نُخْرِجُ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّه ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حُرٍّ أَوْ مَمْلُوك صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ أَقط أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيب فَلَمْ نَزَلْ نُخْرِجُهُ حَتَّى قَدمَ عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا فَكَلَّمَ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَانَ فِيمَا كَلَّمَ بِهِ النَّاسَ أَنْ قَالَ إِنِّي أَرَى أَنَّ مُدَّيْنِ مِنْ سَمْرَاء

(1) صحيح البخاري حديث رقم ١٥٠٣.

(2) صحيح البخاري حديث رقم ١٥٠٦.

الشَّام تَعْدِلُ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ فَأَخَذَ النَّاسُ بِذَلِكَ)) [1] وكذلك جاء فى صحيح البخارى [2] ((أَنَّ عَبْدَاللَّه بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ قَالَ عَبْدُاللَّه رضي الله عنه فَجَعَلَ النَّاسُ عِدْلَهُ مُدَّيْنِ مِنْ حِنْطَةٍ)) [3]

وقد نقل ابن المنذر بأسانيد صحيحة [4] عن عثمان وعلى وأبى هريرة وجابر وابن عباس وابن الزبير وأمه أسماء بنت أبى بكر أنهم رأوا أن فى زكاة الفطر نصف صاع من القمح . ومقتضى قول عبد الله بن عمر (فجعل الناس) أن جمهور الصحابة مالوا إلى ذلك.

وكذلك مال ابن المنذر إلى جواز القيمة فى زكاة الفطر استدلالاً بفعل الصحابة فى النظر إلى قيمة الصاع لا إلى الحجم والكيل وهو استدلال واضحٌ وفى محله تمامًا إذ الصحابة هم الأئمة المقتدى بهم واجتماع جمهرتهم على فعل وإقرارهم له يدل على جوازه دون شك . حتى وإن خالف بعضهم فليس قول بعضهم بأولى من بعض ، والواضح من الأحاديث أن المخالفين كانوا قلة ومن أبرزهم أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه .

٣- أخرج البيهقى والدارقطنى عن ابن عمر قال : " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر وقال : أغنوهم فى هذا اليوم " وفى رواية للبيهقى : " أغنوهم عن طواف هذا اليوم " وأخرجه أيضًا ابن سعد فى الطبقات من حديث عائشة رضي الله عنها وأبى سعيد ، وقد ضعفه بعض العلماء ولكن الشوكانى استدل به على بعض آرائه بما يعنى أن الحديث يصلح للاستدلال وغير مطعون فيه وإلا لما سكت عنه [5]

وهذا الحديث دليل قوى لمن يرى جواز القيمة فى زكاة الفطر ، لأنه يبين أن المقصود من شرع الزكاة إغناء الفقير يوم العيد ، وهذا يتحقق بالطعام ويتحقق بالقيمة ، بل تحققه بالقيمة أفضل لأنها تمكنه من شراء ما يحتاجه من طعام ولباس ونحوهما .

وينبغى أن نتذكر أن التمر والزبيب والأقط وغير ذلك من المنصوص عليه من الأصناف كان كل منها - يومئذ - قوتًا يتناوله الرجل حتى يشبع ، وربما ظل على ذلك أيامًا لا يغيره ، " فهل هذه الأصناف اليوم كذلك؟ وهل نصيب روح الإسلام ، ونغنى فقراءنا فى المدن إذا أعطيناهم أقطًا وشعيرًا وبرًا ؟ [6]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ١٦٤١.
(٢) حديث رقم ١٥٠٧.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ١٤١١.
(٤) كما ذكر الحافظ فى الفتح ٤٣٧/٣ .
(٥) انظر نيل الأوطار ٢٢٠/٤ .
(٦) انظر ما كتبه الشيخ بخارى أحمد عبده بمجلة التوحيد - رمضان ١٤٠٦ هـ ص ١٣.

وهل يعقل أن نأمر اليوم مسلمى ألمانيا وسويسرا وانجلترا .. إلخ أن يتعاملوا مع الأقط والشعير والسلت والتمر والزبيب ؟

٤- لقد جوّز ابن تيمية القيمة فى زكاة المال وقال : " وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به : مثل أن يبيع ثمن بستانه أو زرعه بدراهم ، فهنا إخراج عشر الدراهم يجزئه ".[1] وهذا الكلام ينطبق على زكاة الفطر أيضا من باب أولى ، فإذا كان الرجل فى القاهرة لا يملك الزبيب والتمر ، فإخراج القيمة هنا يعنى أنه قد ساوى الفقير بنفسه . وأغناه حقيقة لأنه يستطيع أن يشترى ما يحتاج إليه ، إذ ربما اشترى القاهرى صنفاً من الأصناف المنصوص عليها وذهب يعطيه للفقير فقال : لا آكله ! وربما أخذ الفقير ما لا يحتاج أو ما لا يشتهى من الأطعمة ليبيعها بعد ذلك بثمن بخس ، فيكون فى هذا ضرر له وهو عكس المطلوب .

٥- كما أن عدداً لا بأس به من العلماء قد رأوا جواز القيمة فى زكاة الفطر، منهم : أبو حنيفة وأصحابه [2] ، والحسن البصرى وسفيان الثورى ، وعمر بن عبد العزيز ، وهو قول الأشهب وابن القاسم عند المالكية . وقال النووى : وهو الظاهر من مذهب البخارى فى صحيحه . قال ابن رشيد : وافق البخارى فى هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم ، لكن قاده إلى ذلك الدليل[3] كما جاء فى مصنف ابن أبى شيبة [4] عن أبى إسحاق قال : " أدركتهم وهم يؤدون فى صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام " ، وفيه أيضا عن عطاء : " أنه كان يعطى فى صدقة الفطر ورقاً - دراهم فضية " .

إذن فالقول بجواز القيمة ليس جديداً ، بل عُمل به فى خير القرون - قرون السلف الأولى - فلا وجه للإنكار على من يأخذ به اليوم !

٦- قد يقول قائل : ولماذا فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من طعام ولم يفرض قيمة معينة من الدراهم والدنانير ؟

نقول : كان ذلك منه ﷺ بغرض التيسير على الناس ، إذ ذاك ، إذ كان الناس وقتها يتعاملون معًا بطريقة المقايضة فى السلع ، وهى الطريقة التى كانت سائدة

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٥/٨٢.
(٢) راجع كتب الأحناف ، كبدائع الصنائع ٢/٧٢، والجوهر النقى ٤/١١٤.
(٣) انظر فقه الزكاة للقرضاوى والمجموع ٦/١٣٨.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٤/٣٧، ٣٨ .

- وربما لا تزال - فى ريف مصر ، وكانت النقود إذ ذاك موجودة ومعروفة ولكنها كانت نادرة عند أكثر الناس ولا يكاد يوجد منها إلا القليل عند أكثر الناس ، كما كان الفقراء إذ ذاك فى حاجة ماسة إلى البر والتمر والشعير لأنه غذاؤهم اليومى المعتاد ، ولذا كان إخراج الطعام أنفع للآخذ ، وأيسر على المعطى .

كما أن القوة الشرائية للنقود تتغير من زمن إلى زمن ، ومن بلدٍ لآخر ، فلو قدر الواجب فى زكاة الفطر بالنقود لكان قابلاً للارتفاع والانخفاض ، ولذا جعل الصاع هو الأصل فى التقدير لأنه يمثل قدرًا محددًا من الطعام يشبع حاجة بشرية محددة لا تختلف ، فكان هذا أقرب إلى العدل وأبعد عن التقلب [1].

٧- واقع الناس يؤكد جواز القيمة ، يقول الدكتور فؤاد مخيمر : " إن المتأمل فى أحوال الناس قبل عيد الفطر بيومين وليلة العيد ، يكاد يجـــزم أن القيمة فى عصرنا الحاضر أنفع للفقير من الأرز والقمح والزبيب وغيرها ، ذلك لأن المزكى يشترى قدر زكاته من التاجر ، ومن حوله الفقراء يوزعها عليهم ، فيأخذ الفقير زكاته ، وأمام المزكى ، أو بعد مغادرته بقليل ، يبيعها لنفس التاجر بنصفا قيمتها ، أو بثلثى القيمة ، لأنه يحتاج إلى القيمة أكثر من احتياجه إلى القوت لكثرته فى بيته من المتصدقين فيخسر الفقير ، ويزداد التاجر غنى " فيكون هذا بعدًا عن مقصود الشارع ، ومن ثم أقول : إن على المتصدق أن ينظر إلى حاجة الفقير فما يجده أنفع له ولعياله يعطيه إياه ، قوتًا كان أو قيمة "[2].

وجدير بالذكر أن هذا الرأى تتبناه الجمعية الشرعية وهيئة علمائها ، مما يدل على بعد نظر وفقه للواقع .

٨- القول بجواز القيمة فى زكاة الفطر يتفق مع فقه المقاصد من جهة أن الفقهاء جوزوا إخراج الزكاة من غالب قوت البلد ، وإن لم يكن من المنصوص عليه رعاية لحال الفقراء ؛ فنقول وكذلك لو جوزنا إخراج القيمة نكون قد نظرنا إلى المقاصد الكلية لا إلى النصوص الجزئية وفعلنا ما فعله الفقهاء ولكن بأسلوب عصرنا فاذا قرأت أن فقيهًا من الفقهاء قال : إن من قدر على التمر أو الزبيب أو الأقط أو البر فأخرج غيرها لم يجز فتيقن أن الفقيه المؤلف نظر إلى زمانه وأهل زمانه ، ذلك لأن هذه الأنواع كانت تجلب إلى البلاد فى مواسم معينة فيتكالب



(١) أفدناه - بتصرف - من (فتاوى معاصرة) للدكتور القرضاوى ٢/٢٤٣ — ٢٤٤ .
(٢) انظر كتاب (قبسات من المنهج التربوى فى السنة ٧/٣٠٥).

عليها القادرون ، ويأخذون ما يكفيهم ، ويخلو السوق فإذا تصدقوا بالقيمة وقد انفض السوق، فإن القيمة لن تسمن ولن تغني من جوع، لذا كانت الحكمة - وقتها - أن يلزموا القادرين بفتح صوامعهم ليتحقق الإغناء والإطعام الحقيقي للفقراء .

أما حالنا الآن فالوضع مختلف تمامًا ، فلا ينبغي أن نتقيد بفقه مرحلة زمنية ولت ، والله ﷻ يريد بنا جميعًا - فقراء وأغنياء - اليسر .

٩- جاء في صحيح البخاري أن معاذاً رضي الله عنه وهو أعلم الناس بالحلال والحرم قال لأهل اليمن: " إيتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة ، أهون عليكم ، وخير لأصحاب النبي ﷺ "[١].

أيهما أولى ؟

هذا وإن كثيرين ممن يخرجون الحبوب ، لا يشترون هذه الحبوب بأنفسهم ، وإنما يعطون قيمتها لبعض إدارات المساجد لتشتريها لهم وتوزعها على الفقراء ، وأقول إذا كانوا يوكلون غيرهم فى شراء الطعام ، أفلا يوكلون الفقير نفسه فى شراء (الطعام) الذى يحتاج إليه ، فإن خالف واشترى غير طعام فالتبعة عليه أليس هذا أولى من إعطائها لأناس لا يعرفون عن احتياجات الفقير الفعلية شيئا ؟!

وأخيرًا أقول ، إن الذين قالوا بالقيمة فى زكاة الفطر مجتهدون ومأجورون على كل حال ، واجتهادهم هذا موافق لفقه واقعنا المعاصر ، فمن أخذ به من جمهور المسلمين لم يبعد النجعة[٢] ! وهو على هدى مستقيم ، والقيمة تجزئه بفضل الله ، ومن رأى أن يسير على الأصل ، ويأخذ به ، فهو على هدى مستقيم كذلك ، و ينبغى ألا نحول هذه المسألة الفقهية إلى معركة ونجعلها حدًا فاصلاً بين السنة والبدعة ، فكما رأينا أن لكل دليلاً ، وكلٌّ مأجور إن شاء الله ، والله من وراء القصد ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

-- اعتكاف الموظفين --

س: هل يجوز للموظف إذا لم يستطع أن يتفرغ من عمله الاعتكاف ، مع العلم أنه سيخرج من المسجد إلى عمله الضروري ، ثم يعود إلى المسجد ، ولن يذهب إلى البيت .

الأصلُ فى الاعتكاف لزوم المسجد ليلا ونهارًا لا يفارقه إلا لما لا بدَّ منه، كما نصّ حديث عائشة رضي الله عنها ((وكان لا يخرج إلا لحاجة الإنسان))[٣].

(١) انظر فتح البارى ٣٦٥/٣ (العرض فى الزكاة) .
(٢) مثل عند العرب يُضرب لمن يُغرب ويأتى بالعجائب .
(٣) متفق عليه

أما خروج المعتكف للعمل والعودة إلى معتكفه ، فلا خلاف فى جواز ذلك إن كان فى كل مرةٍ يخرج فيها يقطع الاعتكاف ، ثم ينويه إن عاد إلى المسجد مرة أخرى . لأن الاعتكاف جائز ولو لساعة عند كثير من العلماء .

أما الاعتكاف السنة الذى ينوى به المعتكف تحصيل ثواب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فهذا محل الخلاف فى المسألة .

جمهور العلماء على أن المعتكف لا يجوز له أن يتاجر ولا أن يخيط فى المسجد ، ولا أن يتخذ حرفة أو صنعة قال فى المغنى [1]: روى المروزى قال : سألت أبا عبد الله (أى الإمام أحمد) عن المعتكف : ترى له أن يخيط ؟ قال : لا ينبغى له أن يعتكف إذا كان يريد أن يخيط ، وقال القاضى : لا تجوز الخياطة فى المسجد سواء كان محتاجًا إليها أو لم يكن ، قل أو كثر ؛ لأن ذلك معيشة أو تشغل عن الاعتكاف " .

ولكن الأمر هنا يختلف عن هذه الصورة السابقة ، فإن نهى الفقهاء منصبٌ على الحرفة أو الصنعة فى المسجد ، وموضوعنا فيما إذا خرج من المسجد ليعمل فى أمر ضرورى له ، أو ضرورى للمسلمين ولم يستطع التفرغ

منه ، لأى سبب، فهل يصح اعتكافه إن خرج من المسجد لهذا ثم عاد ثانية دون أن يعرّج على بيته ؟ لو تتبعنا أقوال الفقهاء فى ما شابه ذلك لوجدنا أنهم اختلفوا هل يخرج من المسجد أولا [2] . قال الشيرازى فى المهذب : " إن تعيّن عليه (أى المعتكف) أداء شهادة لزمه الخروج لأدائها لأنه تعينُ لحق آدمى ، فقُدّم على الاعتكاف ، وهل يبطل اعتكافه بذلك ، ينظر فيه : إن كان تعيّن عليه تحملها لم يبطل لأنه مضطر إلى الخروج وإلى سببه ، وإن لم يتعين عليه تحملها فقد روى المازنى أنه قال : يبطل الاعتكاف " [3].

وقد أجاز الشافعى ﷺ خروج المؤذن من المسجد إلى منارة خارجه ليؤذن فيها [4] .

أما الأحناف ، فقد نقل ابن عابدين فى حاشيته [5] أن الصاحبين (أبا يوسف ومحمدًا) يريان جواز خروج المعتكف إذا كان أقلّ من نصف يوم لحاجة أو لغير حاجة ، حتى لو خرج إلى السوق للعب أو لهو وليس للبيع والشراء ! ولسنا نذهب إلى هذا ، فما جعل الاعتكاف للهو واللعب .

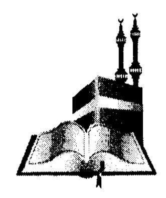
---

(١) المغني ٣١١/٤.
(٢) بداية المجتهد ٢٣٢/١.
(٣) انظر المجموع ٥٠٢/٦ .
(٤) انظر المجموع ٤٩٦/٦ .
(٥) رد المحتار ٤٩٣/٢.

والذى نرجحه بعد ما تقدم أن الموظف فى زماننا هذا يجوز له الخروج لوظيفته ، ولا يفسد بذلك اعتكافه وذلك بشرط أن يكون عمله ضروريًا ، لا يمكن له أن يستغنى عنه ، أو إذا كان فى ترك عمله ـ فى مدة الاعتكاف ـ تضييع لمصالح المسلمين أو تعطيل لها ، فإن ذلك لا يصح ، وبشرط ألا يستغرق عمله اليوم كله حتى لا يضيع المقصود من الاعتكاف ، على أن يعود بعد العمل مباشرة إلى معتكفه .

وقولنا بجواز خروج المعتكف للعمل الذى لابدّ منه مبنيٌّ على أن ذلك ضرورة له ، والأصل رفع الحرج ، وإذا كان فى المسألة خلاف ، فالأولى القول بالتيسير وبخاصة فى زماننا هذا حتى لا نحرم قطاعًا كبيرًا من المسلمين من فضل الاعتكاف ، إذ قلّ أن نجد اليوم إنسانًا يستطيع التفرّغ تمامًا .

والله الموفق.







الصحيح والضعيف والموضوع حول رمضان

أولاً : حكم العمل بالضعيف [1]

اختلف الفقهاء فى العمل بالحديث الضعيف ، فمنهم من يرى عدم جواز العمل بالضعيف مطلقاً وهذا مذهب الحافظ أبى بكر بن العربى المالكى كما نقله البدر الزركشى فى حواشيه على ابن الصلاح ، والحافظ السخاوى فى فتح المغيث، والقول البديع ، وهو أحد الأقوال فى المسألة ، وحاصله منع العمل بالحديث الضعيف فى الأحكام وغيرها .

القول الثاني : أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف فى الأحكام ، إذا لم يكن في الباب دليل غيره من كتاب أو سنة صحيحة حتى لو كان هناك قياس ، قدم الحديث الضعيف عليه ، وهذا مذهب أحمد بن حنبل وأبى داود . قال الحافظ السخاوى : روينا بالإسناد الصحيح عن عبد الله ابن الإمام أحمد ، قال : سمعت أبى يقول : لا نكاد نرى أحداً ينظر فى الرأى إلا وفى قلبه غل ، والحديث الضعيف أحب إلى من الرأى ، قال عبد الله : فسألته عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا صاحب حديث لا يدرى صحيحه من سقيمه وصاحب رأى فمن يسأل ؟ قال : يسأل صاحب الحديث ، ولا يسأل صاحب الرأى .

وورد عن أحمد أيضًا ، قال لابنه عبد الله : لو أردت أن أقتصر على ما صح عندى ، لم أرو من هذا المسند إلا الشىء بعد الشىء ، ولكنك يا بنى تعرف طريقتى إنى لا أخالف ما يضعف إلا إذا كان فى الباب شىء يدفعه .

وصرح ابن الجوزى فى الموضوعات : أن أحمد كان يقدم الضعيف على القياس وكذا قال ابن تيمية فيما نقله عن الطوفى .

وقال الحافظ ابن منده : كان أبو داود يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد فى الباب غيره ، لأنه أقوى عنده من رأى الرجال ، نقله ابن الصلاح فى علوم الحديث ونظمه

---

(1) انظر : (الحاوى فى الفتاوى) للشيط الغمارى (ص ١١١ — ص ١١٥) .

الحافظ العراقى فى الألفية فقال :

كـــان أبـــو داود أقـــوى مـــا وجـــد ... يرويـــــه والضـــــعيف لا يجـــــد

فـــى البـــاب غيـــره فـــذاك عنـــده ... مـــن رأى أقـــوى قالـــه ابـــن منـــده

ونقل الحافظ أبو محمد ابن حزم ، اتفاق الحنفية على أن مذهب أبى حنيفة ، تقديم الحديث الضعيف على الرأى والقياس ، وتوزع فى نقل هذا الاتفاق .

القـــول الثـــالـــث : جواز العمل بالحديث الضعيف فيما عدا الأحكام من ترغيب وترهيب وما إلى ذلك ، وهذا مذهب الجمهور .

قال الحافظ ابن الصلاح : يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فى الأسانيد ، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة ، من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى ، وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد ، أ هـ .

ومثله للنووى فى ـ التقريب ، والمجموع ـ وغيرهما من كتبه ، بل حكى فى بعضها إجماع المحدثين على ذلك لكن لا يصح الإجماع ، لما تقدم من مخالفة ابن العربى ، وقد تخرج صحته على من لا يعد مخالفة الواحد والاثنين خارقة للإجماع ، وهو قول محكى فى كتب الأصول ، وفى الألفية :

وســـهلوا فـــى غيـــر موضـــوع رووا ... بيلنـــه فـــى الحكـــم والعقائـــد ..

مـــن غيـــر تبيـــين لضـــعف ورأوا ... عـــن ابـــن مهـــدى وغيـــر واحـــد

وخرج البيهقى ـ فى المدخل ـ بإسناده إلى عبد الرحمن بن مهدى قال : إذا روينا عن النبى ﷺ فى الحلال والحرام والأحكام، شددنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرجال ، وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب سهلنا فى الأسانيد، وتسامحنا فى الرجال.

وورد مثل هذا عن سفيان الثورى وابن عيينة وعبد الله بن المبارك ويحيى ابن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم ، أسند ذلك عنهم الحافظ أبو أحمد بن عدى فى مقدمة كتابه الكامل حيث عقد لجواز العمل بالضعيف فى الفضائل بابًا مستقلاً ، وأورد فيه نقولاً كثيرة وكذا فعل الخطيب فى ـ كفايته ـ .

وقال الحاكم : سمعت أبا زكريا العنبرى يقول : الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ولم يحل حرامًا ، ولم يوجد حكمًا وكان فى ترغيب أو ترهيب ، أغمض عنه وتسوهل فى رواته .

وقال الحافظ بن عبد البر : أحاديث الفضائل لا نحتاج فيها إلى من يُحتج به، أ هـ.

لكن شرط لجواز العمل بالضعيف شروط :

١- أن يكون ضعف الحديث غير شديد . فإن كان شديدًا فلا يجوز العمل به وهذا الشرط متفق عليه كما قال الحافظ العلائى والتقى السبكى ومثال الضعف الشديد أن ينفرد بالحديث متهم بالكذب ، أو من فحش غلطه ، أو كثرت غفلته ، أو ظهر فسقه ونحو ذلك .

٢- أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام من أصول الشرع ، فلا يعمل به فى غير ذلك ، كما إذا كان الحديث يقتضى اختراع شىء ليس فى قواعد الشرع ما يشهد له .

٣- ألا يعتقد عند العمل به ثبوته عن النبى ﷺ لئلا ينسب إليه ما لم يقله ، وهذان الشرطان ذكرهما العز بن عبد السلام ، وتلميذه التقى ابن دقيق العيد ، والمراد بالعمل فى قولهم : يجوز العمل بالحديث الضعيف أن يفعل الشخص ما رغب فيه الحديث الضعيف بقصد تحصيل ما وعد به من الثواب على ذلك الفعل، ويجتنب ما نفر منه رهبة مما أوعد به من العقاب عليه .. ولنذكر لك أمثلة يتضح بها المقام :

١- **مثال الضعيف الشديد الضعف حديث** : ((من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانًا واحتسابًا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ورفع له مائتى درجة وغفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر إلا القصاص)). رواه آدم ابن أبى إياس فى كتاب ـ الثواب ـ من حديث على عليه السلام وهو حديث ضعيف جدًا كما قال الحافظ بن حجر ، فلا يجوز العمل به ، بمعنى أن الإنسان لا يجوز له أن يصلى الضحى اعتمادًا على ما فى الأحاديث من الثواب ، بل يصليها على أنها سنة اعتمادًا على الأحاديث الصحيحة الواردة بسنيتها .

٢- **مثال المندرج تحت أصل عام حديث** : " ما من عبد يبسط كفيه فى دبر كل صلاة ثم يقول : اللهم إلهى وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب " ثم ذكر الحديث وقال في أخره " .. إلا كان حقًا على الله ألا يرد يديه خائبتين " . رواه ابن السنى عن أنس مرفوعًا . فهذا حديث ضعيف لكنه مندرج تحت عموم أحاديث دالة على استحباب رفع اليدين فى الدعاء ، فى جميع الأوقات من غير تقييد بكونه بعد الصلاة أو قبلها ، كحديث سلمان مرفوعًا : ((إنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا

صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)) [1] . حسنه الترمذى وصححه الحاكم وحديثه أيضًا : ((ما رفع قوم أكفهم إلى الله ﷻ يسألونه شيئًا إلا كان حقًا على الله أن يضع فى أيديهم الذى ســألوا)) رويناه فى - معجم الطبرانى بإسناد صحيح .

فيجوز العمل بحديث أنس ، بمعنى أنه يجوز للإنسان أن يرفع يديه فى الدعاء عقب الصلاة ، معتقدًا أن الله لا يرده خائبًا .

٣- مثال المخالف لقواعد الشرع ، حديث صــلاة التسبيح ورد مـن طرق ضعيفة أمثلها طريق ابن عباس ، لقربه من شرط الحسن ومع ذلك لا يجوز العمل به ، لأنه يدل على اختراع نوع من الصلاة مخالفا لسائر أنواع الصلوات ، كذا قال النووى ، ووافقه الحافظ ابن حجر فى - التلخيص ثم خالفه فى الخصال المكفرة - وكذا خالفه السبكى وجماعة ، وفى المسألة كلام طويل ليس هذا موضع بسطه.

٤- مثال آخر من نوع ما قبله، وهو حديث: ((مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ)) [2] رواه أحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس . فهذا الحديث - مع ضعفه - ليس فى قواعد الشرع ما يؤيده ، إذ ليس فى الأحاديث ولا غيرها من الأدلة ما يدل على قتل البهيمة فى مثل هذا الموطن ، فلا يجوز العمل به .

ثانياً : بعض الأحاديث الصحيحة حول رمضان

= **أدب الصوم :**

((حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَــإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)) [3]

= **الجود ومدارسة القرآن :**

((حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُاللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ وحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّــدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُاللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُاللَّهِ بْنُ عَبْدِاللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ

(١) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، حديث رقم ٣٤٧٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ، مسند بني هاشم ، حديث رقم ٢٢٩٤.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، حديث رقم ١٧٧١ ، وصحيح مسلم ،كتاب الصيام رقم ١٩٤٤

وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)) (١)

= **جواز الإفطار في السفر** :

((حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِاللَّهِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَافَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ عُسْفَانَ ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ نَهَارًا لِيُرِيَهُ النَّاسَ فَأَفْطَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ فَمَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ)) ( )

= **صلاة التراويح جماعة** :

((وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِالْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ)) (٣)

= **تأخير القضاء لحاجة** :

((حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَائِشَةَ ﷺ تَقُولُ كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ قَالَ يَحْيَى الشُّغْلُ مِنَ النَّبِيِّ أَوْ بِالنَّبِيِّ ﷺ)) (٤)

= **جواز اختلاف المطالع** :

((حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَرْمَلَةَ عَنْ كُرَيْبٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ بِنْتَ الْحَارِثِ بَعَثَتْهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ قَالَ فَقَدِمْتُ الشَّامَ فَقَضَيْتُ حَاجَتَهَا وَاسْتُهِلَّ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ  ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَقُلْتُ رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ أَنْتَ رَأَيْتَهُ فَقُلْتُ نَعَمْ

(١) صحيح البخاري ، كتاب الوحي ، حديث رقم ٥.
(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، حديث رقم ٣٩٤٣.
(٣) صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، حديث رقم ١٨٧١
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، حديث رقم ١٨١٤.

وَرَآهُ النَّاسُ وَصَامُوا وَصَامَ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلا نَزَالُ نَصُومُ حَتَّى نُكْمِلَ ثَلاثِينَ أَوْ نَرَاهُ فَقُلْتُ أَوَ لا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ فَقَالَ لا هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَشَكَّ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى فِي نَكْتَفِي أَوْ تَكْتَفِي)) (١)

= **صوم الجنب صحيح :**

((حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُصُّ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلا يَصُمْ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ لأَبِيهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ قَالَ فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ قَالَ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ مَرْوَانُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلا مَا ذَهَبْتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ قَالَ فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ قَالَ فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هُمَا أَعْلَمُ ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ ابْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ قُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَقَالَتَا فِي رَمَضَانَ قَالَ كَذَلِكَ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ)) (٢)

= **تعيين ليلة القدر :**

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدَةُ عَنْ زِرٍّ قَالَ سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولا وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولا مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَقَالَ أُبَيٌّ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ يَحْلِفُ مَا يَسْتَثْنِي وَ وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ صَبِيحَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لا شُعَاعَ لَهَا)) (٣)

= **فضل صيام أيام مخصوصة:**

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لابْنِ الْمُثَنَّى قَالا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ غَيْلانَ بْنِ جَرِيرٍ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيَّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِهِ قَالَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث رقم ١٨١٩ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث رقم ١٨٦٤ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ١٢٧٢ .

وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولا وَبِبَيْعَتِنَا بَيْعَةً قَالَ فَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ الدَّهْرِ فَقَالَ لا صَامَ وَلا أَفْطَرَ أَوْ مَا صَامَ وَمَا أَفْطَرَ قَالَ فَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمَيْنِ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ قَالَ وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمَيْنِ قَالَ لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ قَوَّانَا لِذَلِكَ قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ قَالَ ذَاكَ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ ﷺ قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ قَالَ ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ قَالَ فَقَالَ صَوْمُ ثَلاثَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ صَوْمُ الدَّهْرِ قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ قَالَ وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ)) (١)

= **فضل صيام الستة من شوال:**

((حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنْ إِسْمَعِيلَ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزْرَجِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ و حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ أَخُو يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ أَخْبَرَنَا أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِمِثْلِهِ وَ حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أَيُّوبَ رضي الله عنه يَقُولا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ)). (٢)

ثالثاً: مع بعض الأحاديث الضعيفة حول رمضان

١- **"نوم الصائم عبادة"** : رواه البيهقى عن عبد الله بن أبى أوفى ، وهو ضعيف ، ضعفه الحافظ العراقى فى تعليقه على كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى (٣)

٢- **" صوموا تصحوا "** ضعيف جداً ، رواه ابن عدى ، والطبرانى فى معجمه الأوسط.

٣- حديث " ((قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ)) (٤). وكذا أبو حامد الحضرى فى حديثه ، والضياء المقدسى فى المنتقى فى المسموعات بمرو (٥) وأشار المنذرى فى الترغيب(٦) إلى تضعيفه ، وقال الألبانى : ضعيف (٧)

٤- **حديث سلمان الفارسى المشهور** : ((أن النبي ﷺ كان إذا جاء رمضان قال لأصحابه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث رقم ١٩٧٧ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث رقم ١٩٨٤.
(٣) وانظر (ضعيف الجامع ـ رقم ٥٩٧).
(٤) سنن الترمذي ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ٥٩٩.
(٥) ١/٧.
(٦) ٩٧/١.
(٧) إرواء الغليل (٣٩٧/٣) رقم ٧٧٩ .

" أتاكم شهر رمضان إلى قوله : قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعًا ، من أتى فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار)) إلخ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه [1] وقال " إن صح " وفى سنده : على بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، بل قال أبو حاتم : " هذا منكر [2] ، وقال الألبانى : " وفى إخراج ابن خزيمة لمثل هذا الحديث فى صحيحه إشارة قوية إلى أنه قد يورد فيه ما ليس صحيحًا عنده منبهًا عليه " . [3]

٥- " **الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ** " : رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وضعفه في (ضعيف الجامع ٣/ ٢٩٠) رقم ٣٥٨٣ .

٦- " **صُم شهر الصبر رمضان** ": رواه أبو داود وابن ماجه عن الباهلي، وضعفه في (ضعيف الجامع ٣٧٠٣) رقم ٣٤٩٠ .

٧- " ((مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ)) [4] " وهو عن ابن المطوّس عن أبيه حديث مشهور على الألسنة ، أخرجه الأربعة ، ونقل السنديّ عن البخارى قال : " لا أعرف لابن المطوّس حديثًا غير حديث الصيام ، ولا أدرى أسمع من أبيه عن أبى هريرة أم لا "[5]

٨- **حديث المرأتين اللتين غلبهما الصيام** ، فجيء بهما إلى النبى ﷺ ، فقال لهما قيئا ؛ فقاءتا قيحًا ودمًا عبيطا ؛ فقال ﷺ : " إن هاتين أفطرتا على ما حرّم الله ، وصامتا عما أحل الله " أخرجه أحمد [6] والطيالسى [7] ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [8]: " وفيه رجل لم يُسم " كما ضعفه المنذرى فى الترغيب والترهيب [9] حين رواه بقوله : روى.

٩- " من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب " . أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفى سنده عمر بن هارون البلخى ضعفه جماعة . [10]

١٠- " من أحيا الليالى الأربع وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر " أخرجه ابن عساكر ، وأخرجه الأصبهانى بلفظ : من أحيا الليالي

---

(١) ١٨٨٧.
(٢) علل الحديث لابن أبى حاتم (٢٢/١).
(٣) انظر السلسلة الضعيفة (٢٦٢/٢) رقم ٨٧١ .
(٤) سنن الترمذي ، كتاب الصوم ، حديث رقم ٦٥٥.
(٥) انظر (سنن ابن ماجه ١/٥٣٥).
(٦) مسند أحمد ٤٣١/٥.
(٧) ٢١٠٧.
(٨) مجمع الزوائد ١٧١/٣.
(٩) الترغيب والترهيب ٥٠٧/٣
(١٠) انظر مجمع الزوائد ١٩٨/٢ .

الخمس وزاد ليلة النصف من شعبان .

وفى سنده: عبد الرحيم بن زيد العمى متروك وقال يحيى بن معين: كذاب، وقال ابن الجوزى: حديث لا يصح، وهو يرد رمز السيوطى بتصحيحه [1]

رابعاً : مع بعض الأحاديث الموضوعة حول رمضان

١ ((لا تقولوا رمضان ؛ فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ، ولكن قولوا شهر رمضان)) . رواه بن عدى عن أبى هريرة مرفوعًا ، ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال : موضوع ، آفته أبو معشر نجيح ليس بشيء [2]

٢- ((رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى)). رواه الديلمى عن أنس مرفوعًا ، ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات بطرق [3]

٣- ((من تأمل خلق امرأة حتى يتبين ثم حجم عظامها ، ورأى ثيابها وهو صائم فقد أفطر)) . رواه ابن عدى عن الحسن بن على العدوى عن خراش بن عبد الله عن أنس مرفوعًا ، قال السيوطى : موضوع ، العدوى وشيخه كذابان [4]

٤- ((ذاكر الله فى رمضان مغفور له)) رواه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى عن عمر ، وقال الألبانى : موضوع [5]

٥- ((خمس يفطرن الصائم ، وينقضن الوضوء : الكذب ، والنميمة ، والغيبة ، والنظر بشهوة ، واليمين الكاذبة)) . رواه الدارقطنى عن سعيد بن عنبسة عن بقية عن محمد بن الحجاج عن جايان عن أنس مرفوعًا قال السيوطى : موضوع . سعيد كذاب والثلاثة فوقه مجروحون [6]

٦- ((من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا عذر ، كان عليه أن يصوم ثلاثين يومًا ، ومن أفطر يومين كان عليه أن يصوم ستين ، ومن أفطر ثلاثة كان عليه أن يصوم تسعين يومًا)) قال الدارقطنى (وهو رواى الحديث عن محمد بن صبيح عن عمر بن أيوب بالسند إلى أنس مرفوعًا) : لا يثبت ، عمر بن أيوب لا يحتج به ، ومحمد بن صبيح ليس بشىء. [7]

---

(١) انظر فيض القدير ٦/٣٨ ، حديث رقم ٨٣٤٢ .
(٢) انظر اللآلئ المصنوعة ٢/٥٥.
(٣) انظر كشف الخفاء للعجلونى ١/٤٢٣.
(٤) أنظر اللآلئ المصنوعة ٢/٦٠ .
(٥) ضعيف الجامع (٣/١٦٦) رقم ٣٨ ٣٠.
(٦) انظر اللآلئ المصنوعة ٢/٦٠ .
(٧) انظر اللآلئ المصنوعة ٢/٦٠ .

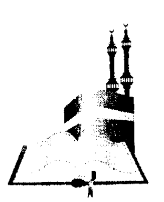


٧- ((مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ))[١] رواه ابن ماجه ، وقال السندى فى تعليقه على ابن ماجه تواردت أقوال الأئمة على وضعه من جهة الغلط) ، وقال العقيلى : باطل ليس له أصل ، وذكره السيوطى من طرق كلها لا تخلو من كذَّابين ومجاهيل وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة : لا أصل له ، وأورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة وحكم بوضعه .

٨- ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إلى عباده الصيام ، وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبدًا ، ولله ﷻ في كل يوم ألف الف عتيق من النار .. إلخ وفى آخره : يا معشر الملائكة : ما جزاء الأجير إذا وفى عمله ؟ فتقول الملائكة : يوفى أجره ، فيقول الله تعالى : أشهدكم أنى قد غفرت لهم)) . قال السيوطى : موضوع ، فيه مجاهيل ، والمتهم فيه عثمان (يعنى عثمان بن عبد الله القرشى) ، يضع[٢]

٩- ((من لم يكن عنده صدقة ، فليلعن اليهود ؛ فإنها صدقة)) : رواه الخطيب عن أبى هريرة وفى إسناده متروكان ، قال يحيى بن معين : هذا كذبٌ باطل لا يحدث به أحدٌ يعقل والحديث أورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة.

١٠- ((لو أن الله ﷻ أذن للسموت والأرض أن تتكلم لبشرت الذى يصوم شهر رمضان بالجنة)) . قال السيوطى[٣] : " ابن هدبة كذاب " .



(١) سنن ابن ماجة ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، حديث رقم ١٣٢٣.
(٢) انظر اللآلىء المصنوعة ٥٧/٢.
(٣) فى اللآلىء المصنوعة ٨٥/٢ .



مخالفات رمضانية

== ما لا يجوز فى رمضان == [1]

الشيطان يقف لبنى الإنسان بالمرصاد لا يألو جهدًا فى أن يحسّن لهم ما يخرجون به عن طريق الجادة :

ولذا فقد زين للناس بدعًا ومخالفات ما أنزل الله بها من سلطان فارتكبوها فى الشهر العظيم المبارك ومن هذه المخالفات :

١- الدعاء بغير المأثور عند رؤية الهلال :

فالمأثور: ما جاء عن طلحة بن عبيد الله ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلالَ قَالَ اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ)) [2].

أما ما يفعله بعض الناس من الغناء ، وقولهم الشهير : (هل هلالك ، جل جلالك ، شهر مبارك) ففيه مخالفة ومساس بالعقيدة ؛ لأن لفظ (جل جلالك) لا يقال إلا لله واستقبال الشهر المعظم بالغناء إهدار لحرمته ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾.

٢- الاجتراء على ترك صوم يوم أو أكثر من رمضان دون عذر :

وهذا الأمر من الكبائر بلا خلاف ؛ لأن الصوم فى رمضان ركن من أركان الإسلام ، فلا يجوز الفطر فيه إلا لعذر شرعى ، أما من حيث قضاء هذا اليوم، فيصوم مكانه يومًا ، إن لم يكن قد جامع أما من حيث الذنب فلا يرفع إلاّ بتوبة نصوح وندم شديد .

٣- ترك الصلاة فى رمضان :

وهى مصيبة معروفة ، إذ قل أن تجد مسلمًا لا يصوم ! بينما تجد أكثر الناس لا يصلون ، مع أن ترك الصلاة كبيرة أوصلها بعضهم إلى الكفر استنادًا على ظواهر

---

(١) أفدنا كثيرا من كتاب (الدين الخالص) ٨/٥٢٠ – ٥٢٥ ، وكتاب (هذه دعوتنا) ص ٩٩- ١٠٤، (والسنة والبدعة بين التأصيل والتطبيق) ١/١٩١-٢٠١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، حديث رقم ١٣٢٤. وسنن الدارمي ، كتاب الصوم ، حديث رقم ١٦٢٦. والترمذى وحسنه والحاكم وصححه.

النصوص ، وإن كان رأى المحققين من العلماء أنه لا يكفر إلا إن جحد ومع هذا فتجدهم يرددون كل عام أيجوز الصيام بلا صلاة ؟ فإن قيل لهم : لا وجدتهم يصلون فى رمضان فقط . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٤ـ الخوض فى أعراض الناس ، وقضاء الوقت فى الباطل والزور :

فهذه الأمور حرام فى غير رمضان ، فكيف برمضان ؟ إن أوقات رمضان نفيسة فلا نضيعها باللهو والباطل والنظر إلى المحرمات ، بحجة (سلى صيامك) ، فإن الصيام ما جُعل إلا لمحاربة هذه الرذائل وتحقيق معنى العبودية والتقوى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه " .

٥ـ تأخير الفطر بعد تحقق الغروب بقصد التمكين :

وهو منافٍ للسنة ، فقد جاء فى الحديث ((لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ)) [١]. وإذا تحقق الغروب ، فليفطر الصائم على الفور تحقيقًا للسنة .

٦ـ سوء الخلق :

بعض الناس إذا صام اشتدت أعصابه ، وطار صوابه ، فتراه قاسيًا عنيفًا ، ثم يعتذر بأن ذلك من أثر الصيام .

والأصل أن الصيام تربية للنفس ، وتهذيبٌ للخلق كما جاء فى الحديث : ((وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)) [٢]

٧ـ تخفيف التراويح :

كثير من أئمة المساجد يسايرون العوام على حساب صحة الصلاة ، فتراهم يخففون التراويح تخفيفًا مفرطًا فلا يطمئنون فى الأركان ، وينقرونها نقرًا حتى ذهبوا بكل مزاياها ، والغرض الذى شرعت من أجله ، وحجتهم فى ذلك أنهم يصلون عشرين ركعة ، ولركعة واحدة صحيحة على هدى النبى ﷺ خير من مليون ركعة مما يظنون هم أنها صلاة ! وفى الحديث ((إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلاتَهُ)) [٣] .

إن هدى السلف الصالح فى التراويح تطويل قراءتها حتى كانوا يعتمدون على العصى من طول القيام ، وحتى كانوا ينصرفون مسرعين ليدركوا السحور قبل الفجر .

---

(١) رواه الشيخان. (٢) متفق عليه .
(٣) رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

ولذا سميت التراويح بهذا الاسم ، بسبب الاستراحة بعد كل أربع ركعات ، إذا كانت الركعات طويلة ، فأراد عمر ﷺ أن يخفف عنهم قليلاً ، فكانت الترويحة لأجل ذلك .

فعلى أئمة المساجد أن يتقوا الله ﷻ وأن يصلوا كما كان هدى نبيهم ﷺ وسلفهم الصالح، وعلى المسلم الصادق إذا لم يجد اطمئنانًا ، أو التزامًا بالسنة فى الصلاة أن يذهب لمسجد آخر ، وإلا فصلاته فى بيته إن كان حافظًا أهدى وأولى .

٨- الذكر المستحدث بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح :

قال ابن الحاج فى كتابه (المدخل) [١] : " وينبغى له (أى لإمام المسجد) أن يتجنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ، ومن رفع أصواتهم بذلك ، والمشى على صوت واحد ؛ فإن ذلك كله من البدع ، وكذا ينهى عن قول المؤذنين بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله ، فإنه محدث أيضًا ، والمحدث فى الدين ممنوع " .

٩- قول المؤذنين والمصلين : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله " :

استحسن بعض الناس قولهم عقب الركعتين الأوليين من التراويح : " الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ، وهذا القول - بعد الركعتين - بدعة ولا شك ، وإلى جانب هذا ففيه مخالفة لصريح القرآن الذى ذكر أن آدم هو أول خلق الله ، فلا ينبغى التمسك بحديث ضعيف جداً فى مواجهة القرآن الكريم .

١٠- الإفطار على الدخان والمحرمات :

كثير من الجهلة يفطرون على غير الحلو والماء ؛ بل يسرعون إلى تناول الدخان والتمباك ونحوهما من المحرمات (المحرمة طيلة العام) وبدلاً من انتهاز فرصة رمضان للإقلاع عن هذه العادات والأفعال المحرمة نجدهم يترقبون أذان المغرب ليعودوا إلى سابق عهدهم ، هذا مع أن النبى ﷺ أوصى الصائم فقال : ((إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلْيُفْطِرْ عَلَى التَّمْرِ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ التَّمْرَ فَعَلَى الْمَاءِ فَإِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ)) [٢]

١١- السهر فى دور الملاهى أو المقاهى بزعم (إحياء ليالي رمضان) !

وهذه من أشنع البدع فى زماننا ، كيف سوّغها لهم شياطين الإنس والجن !؟ حتى

---

(١) المدخل ١٤٥/٢

(٢) أخرجه أصحاب السنن الأربعة إلا النسائى ، وأحمد ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى.

سمعنا عن (السحور الراقص) ، أو الإفطار على أنغام الموسيقى ، والسهر مع مشاهدة الفاجرات وهن يؤدين ما يطلق عليه أهل الضلال : الفن ! ولله فى خلقه شئون !

١٢- تعجيل السحور أو تركه :

وهو خلاف السنة ، فقد جاء فى الحديث ((عَنْ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ وَالسَّحُورِ قَالَ قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً))(١). قال ابن أبى جمرة: " كان النبى ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله : لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ، ولو تسحر فى جوف الليل - يعنى مبكرًا - لشق على بعضهم ممن يغلب عليه النوم ، وقد يفضى إلى ترك صلاة الصبح فى وقتها أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر " (٢)

١٣- الإسراف فى تناول ما تشتهيه النفس :

اعتاد الناس على أن يخصصوا لرمضان بعض الأطعمة والحلوى المخصوصة ، وعلى الإكثار من الطعام والشراب والنفقات بوجه عام ، حتى أصبح شهر رمضان يحتاج إلى (ميزانية خاصة) وقد يلبّس عليهم الشيطان فيوحى لهم بكثرة الإنفاق تحت زعم أن هذه (بركات رمضان) !

كما لبّس على غيرهم فجعلهم يربطون بين رمضان والتسالي المحرمة (الفوازير) ربطًا محكمًا وثيقًا إلى حد أن أحد الغيورين على دينهم أقام دعوى قضائية لفك هذا الارتباط بينهما فى أذهان الناس فرفضت دعواه ، بدعوى الحرية ، وإرضاء جميع الأذواق ! وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والإسراف منهيٌّ عنه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ .

١٤- صيام الحائض والنفساء :

الحيض والنفاس كلاهما عذر شرعى للإفطار ، فمن البدع المحرمة ما نجده عند بعض النساء من الإصرار على الصوم ، وعند بعضهن من الصوم طيلة النهار حتى إذا أوشك الغروب أفطرن ! وهذا جهل بالدين ، فيجب أن نعلم نساءنا الأحكام الشرعية مع نهيهن عن اتباع الهوى !

---

(١) أخرجه السبعة إلا أبا داود.
(٢) انظر فتح البارى ، ٤/٩٨

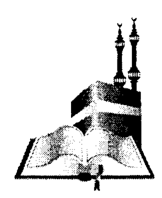
١٥ـ ومن المخالفات المعروفة ما يفعله بعض الناس من **إحضار قارئ** يقرأ فى حجرة صغيرة ، بينما هم يسمرون مع زائريهم في الحجرات الفخمة فى لهو وإعراض عن كلام الله ، وكأن القرآن للجدران ! وبعض الناس يجمع الناس على هادئ للقرآن ، فى مكان فسيح كل ليلة من رمضان ، ثم يسمح لهم بالعبث وشرب الدخان ، والقهقهة ، وكأن القرآن وقراءته من لوازم (الوجاهة الاجتماعية) أو الأنشطة الثقافية ، ناسين أنه كتاب هداية ، وأنه حجة لهم أو حجة عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

١٦ـ الضجر من الصيام :

بعض الناس يشكو متاعبه ، ويظهر تضجره من مشقة الصيام للناس ،ولا شك أن هذا مناقضٌ لقول النبى ﷺ :((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) [(١)] والاحتساب : ألا يستطيل الأيام ولا يستثقل الصيام .

١٧ـ عدم الاعتراف بعيد الفطر إلاّ بعد صيام ستة أيام من شوَّال :

لا شك أن صيام ستة أيام من شوَّال سنَّة فقد جاء فى الحديث ((قَالَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)) [(٢)] ولكن بعض الناس أضافوا إلى ذلك اعتقادات غريبة ، منها : أن العيد يوم السابع من شوال ، ومنها ـ كما هو الحال فى ريفنا ـ الاعتقاد لدى الأمهات أنهن يصمن من أجل أولادهن ، ويسمين هذه الأيام (الأيام البيض) والفطر بعدها : عيد الأبرار وغير ذلك من أمور ما أنزل الله بها من سلطان ـ إذ عيد الفطر شرعه الله ﷻ وحدد زمانه بعد الفطر من رمضان مباشرةً ، وصيام الستة سنة لجميع الناس دون تخصيص والأيام البيض هى أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر كما ثبت ذلك فى النصوص الصحيحة .



(١) رواه أحمد وأصحاب السنن.
(٢) رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى.

الفصل الخامس

دروس القيام

رمضـ(١)ـان

حـوار مع رمضان

من شدة شوقي إليه ، وتلهفي عليه ، طاف بي طيف رمضان ، فتخيلته رجلاً ماثلاً أمامي ، أحاوره ويحاورني ، وأسأله ويجيبني ، ودار بيننا حوار صادق ! ولكنه صامت لأنه حوار مُتخيل - بالطبع - وليس حقيقياً .

وقد أحببت أن أنقل هذا الحوار للقارئ لعله يجد فيه فوائد تنفعه بإذن الله.

فقد تخيلت رمضان قادماً ، فلم أتمالك نفسي وصحت : رمضان .. رمضان ، ياالله ... كم نحن في اشتياق إليك والله ، قال : وأنا أكثر منكم شوقاً للقاء .

فقلت له : فلم إذن هذه الكآبة التي ترتسم على محياك الجميل ، وفيم تجهّمك ونحن نترقب هلالك ، كما يترقب الغرقى حبل النجاة ؟

قال : أما أسباب الكآبة والحزن فهي كثيرة جداً ، وأنشد يقول :

ولو كان همـا واحـداً لاحتملتـه ... ولكنـه هـمٌّ وثـانٍ وثالـثٌ

فقلت : ألا تبوح لي ، وتبثني بعض وجدك ، علني أُخفف عنك ؟

فابتسم رمضان ابتسامة ذات مغزى وقال : أخشى أن ينتقل حزني إليك ، ثم سكت ، ورأيت الدموع تترقرق في عينيه ، ونظر إليّ وقال : كيف لا أحزن وقد رحل نفر من أحبائي من أهل العلم والدعوة والفضل عن دنيانا ، فلن أراهم ثانية !

ففي سنوات معدودات رحل عنا الغزالي وجاد الحق والمشتهرى وفايد والشعراوى وعبد الحميد كشك وعبد الرشيد صقر وابن باز والألباني وابن عثيمين وأبو الحسن الندوي ومناع القطان وعلى الطنطاوى وسيد سابق ومصطفى الزرقاء وأحمد ديدات وزينب الغزالي . . . .

فقاطعته وقلت : كفى .. كفى ... إنا لله وإنا إليه راجعون ، تلك سنة ماضية وحكمة نافذة ، فقال رمضان : أعلم ذلك يقيناً ، ولكنه ألم الفراق ، والحزن على أحوالكم بعد هؤلاء ، وصدق الشاعر إذ يقول :

ألا لــــيس الرزيـــــة فقــــد دار ولا شــــاة تمـــوت ولا بعيــــــر
ولكــــن الرزيَّــــة فقــــد حُــــرٍّ يمــوت بموتــــه خلـــقٌ كثيــــرُ

قلت : والله إنه لسبب كاف وحده للحزن ، ولكن ماذا أحزنك أيضا ؟

فقال : هذا الهوان الذى يعيشه المسلمون ، يُبَاد إخوانهم ولا يتحركون ؟! ونظر رمضان إلىَّ نظرة رهيبة ثم قال فى استنكارٍ جارح : كيف تسمح الدول الإسلامية التى يزيد عددها على خمسين دولة بضرب العراق واحتلال أراضيه ؟ ، كيف وقفت مع المعتدي المجرم ، وأصمت آذانها عن نداء الأخوة في الدين وفي الوطن . أين الجيوش والعروش ؟ هل صمَّت الآذان فما عادت تسمع ؟!

رُبَّ وامعتصـــــماه انطلقــــت مــــلء أفـــواه البنـــات اليُـــتَّم
لامســـت أســــماعهم لكنهــــا لــــم تصــادف نخــوة المُعتصــم !

ثم التفت إلىَّ وقال: أوصل الأمر إلى حد أن يستنجد أهل الشيشان ببابا الفاتيكان ؟!

فقلت فى خجل : لقد تقطع قلبى لهذا الخبر ، حتى تمنيت أنى متّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا ، ولكن قل لى : ما ثالثة الأثافى ؟

فقال : ألا تدرى أنكم منذ هجرتم العمل بشرع الله وأنتم جميعًا آثمون ؟

فهالنى الأمر ، وقلت فى فزع : جميعًا ؟!!

قال : إلاَّ من عمل بجد وإخلاص لتغيير هذا المنكر الأكبر ... وهو إقصاء القرآن والسنة عن منصة الحكم والتشريع ، وقليل ما هم .

فقلت : ولكن ألا من شعاع أمل ؟

فقال رمضان لا شك أن الأمل قائم ، وأن النصر قادم ، وأن المستقبل لهذا الدين ، ويكفي أن ترى المسلمين شباباً وشيبةً وهو يزحفون إلى بيوت الله في رمضان وبخاصة في صلاة القيام في مشهد جليل يزلزل القلوب ، ويزيل قساوتها، وهذه الصحوة الإسلامية واليقظة الإيمانية تبشر بخير كثير !

فقلت: كيف والواقع يقول إن كثيراً من المسلمين تخلوا عن قضية الإسلام؟

قال رمضان : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾. قلت: ما معنى هذا ؟

فقال : سيخرج الله من أصلابهم من يعبده ويسعى لإقامة دينه في الأرض ، شا من شاء ، وأبى من أبى ، ولكن مسيرة الصحوة تحتاج لترشيد الأفكار ، وتحديد الأهداف ...

وأفقت من شرودى ، وغاب عنى طيف رمضان ، وبقيت وحدى لحزنى ، وأنا أتأمل أقواله العميقة ، ثم قلت لنفسى : واسوأتاه ، لقد فضحنا رمضان !

فقالت لى : بل ذكّرنا والذكرى تنفع المؤمنين ، فهلم لتكون مع قافلة تغيير المنكر الأكبر ، وأضئ شمعة خير من أن تلعن الظلام ألف مرة .

حاجتنا إلى التربية

= **ما التربية.. ؟**

التربية - كما عرفها الراغب الأصفهاني - في مفرداته - هي : (محاولة الوصول بالإنسان إلى حال الكمال - الممكن - رويدًا رويدًا) ،

أي الوصول بالنفس إلى أعلى درجات الرقيّ الإيماني والخلقي ، ولا يكون ذلك إلاّ بالتزكية (المستمرة) والمتابعة الدائمة ، كما أمر الله ﷻ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ فالفلاح لمن يُطهر نفسه ، ويربيها وينمي فيها ، والخيبة والخسران لمن أهملها وتركها تتعاطى المعاصي والأوزار ، وعن الإمام ثعلب ﷺ : (دسّاها: دسّ نفسه في الصالحين وليس منهم)

= **التربية أساس الإصلاح :**

لا شك أن أساس كل إصلاح نفسٌ طيبة ، تربّت على حب الخير ، وبغض المنكر ، ولذلك كان أصل الدعوة إلى الله ﷻ أفراد التفوا حول الأنبياء الذين كانوا يريدون الإصلاح ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ ، هؤلاء الأفراد تشرّبوا روح اليقين في الله والعزيمة الصادقة على الرشد والحق من خلال تربية الأنبياء لهم ، ولذلك صمد هؤلاء الأفراد الصادقون في مواجهة المعاندين للحق ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾

ولذلك فالتربية من مهام الأنبياء الكبرى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ولذلك وجدنا النبي ﷺ لا يحفل بتحطيم الأصنام في مكة ، على الرغم من استعلائها وصلفها ، إنما كانت قضيته الكبرى تغيير النفوس التي تحمي الأصنام !

وظل النبي ﷺ يُربّي من آمن بدعوته في أول محضن تربوي في الإسلام : دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وينتزع كل يوم لبنة من لبنات الجاهلية يقوّي بها أساس الصرح الهائل الذي بُعث لبنائه وإقامته: الإسلام ، فلم يدعُ أصحابه إلى الانشغال باستفزازات الجاهلية ، بل دعاهم إلى تجاوزها والجلد أمامها وعدم الرد على أصحابها ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ . فلما استغلظ النبت ، واستوى على سوقه ، وأثمرت التربية رجالاً جبالاً أمروا بالذود عن الدين ورد الظلم الذي تجرعوه في مكة

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ هؤلاء هم الذين رفعوا راية الإسلام فى كل محفل ، وما أصدق إقبال حين قال بلسانهم :

كنـــا جبـــالاً فـــي الجبـــال وربمـــا ... ســـرنا علـــى مـــوج البحـــار بحـــارًا

لـــم تـــنس إفريقيـــا ولا صـــحراؤها ... ســـجداتنا والأرض تقـــذف نـــارًا

كنـــا نقـــدم للســـيوف صـــدورنا ... لـــم نخـــش يومًـــا ظالمًـــا جبـــارًا

فكـــأن ظـــل المـــوت ظـــل حديقـــةٍ ... غنـــاء تنبـــت حولهـــا الأزهـــارا

== ظاهرتان مرفوضتان ==

◈ الإسراف

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١)، وقال ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢)

قال سفيان بن عيينة : " ما أنفقت في غير طاعة الله سرفٌ ، وإن كان قليلاً (٣) . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : ((كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلا مَخِيلَةٍ)) (٤)

وقال ابن القيم رحمه الله، في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾ أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم ، فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء على أهليهم فيقصّرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عدلاً خياراً ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا (٥) .

وقال بعض السلف : " جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (٦) وفي الحديث : ((ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطنٍ ، بحسب ابن آدم أكلاتٌ يقمن صُلبه ، فإن كان لا محالة ، فُثلثٌ لطعامه ، وثلثٌ لشرابه ، وثلثٌ لنَفَسه)) (٧)

قال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرًا ، ولو أنفق مُدًّا في غير حق كان مُبَذِّرًا (٨). وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ قال : هم الذين ينفقون المال في غير حقه " (٩)

---

(١) الأنعام ١٤١ — (٢) الأعراف : ٣١
(٣) بصائر ذوى التمييز ٢١٦/٢ . — (٤) النسائي (٧٩/٥) وغيره بسند صحيح .
(٥) ابن كثير ١٣٥/٣ . — (٦) ابن كثير ٢١٠/٢ .
(٧) الترمذي ٢٣٨٠ وابن ماجه ٣٣٤٩ وصححه شعيب الأرناءوط (موارد الظمآن ١٣٤٨).
(٨) ابن كثير ٣٩٢/٣. — (٩) الدر المنثور ٢٧٤/٥ .

التسول

هو : طلب الصدقة من الأفراد في الطرق العامة ، والمتسول : الشخص الذي يتعيش من التسوّل ويجعل منه حرفة .

قال أبو حامد الغزالي : السؤال حرام في الأصل ، وإنما يُباح بضرورة أو حاجة مهمّة قريبة من الضرورة لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرّمة : الأول : إظهار الشكوى من الله تعالى ، إذ السؤال إظهار للفقر ، وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى ، والثاني : أن فيه إذل السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى ، والثالث : أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالباً ... ففي البذل نقصان ماله ، وفي المنع نقصان جاهه ، وكلاهما مؤذيان [1]

" ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، قال : ما نَقَصَ مال عبدٍ من صدقة ، ولا ظلم عبد ملظمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه بابا فقر " [2].

عن عبد الله بن عمر : أن النبي ﷺ قال : ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعة لحم)) [3]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ليس المسكين بهذا الطوّاف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد غنىً يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً " [4] . وفي الحديث : ((لأن يأخذ أحدكم أحبلاً فيأخذ حزمةً من حطب فيبيع فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعُطى أم مُنع)) [5].

================= رمضـ(٣)ـان =================

رمضان شهر التربية

إن صح أن نسمى شهر رمضان باسم يدل عليه ، ويعرف به ، لحق لنا أن نسميه (**شهر التربية**) ذلك أن مدرسته " مدرسة الثلاثين يومًا " ـ كما كان الرافعى رحمه الله يسميها ـ تعد بمثابة معسكر إيمانى ومحضن تربوى ، ينتقل الناس فيه من حال إلى حال ، ومن خلق إلى خلق ، فيالها من مدرسة كبرى ، ويا له من شهر هو زاد العام كله ، يبث فينا خير زاد ، فتظل نفوسنا وأرواحنا تعمل بتأثيره ، إلى أن تفتر العزيمة ، وتضعف الهمة رويدًا رويدًا ، فتهفو النفوس ، وتتطلع الأرواح إليه من جديد ، تدعوه ليجدّد الإيمان ويشحذ الهمم .

(١) الإحياء ٤/٢٢٣ (بتصرف).
(٢) مسلم ١٠٤٤ .
(٣) البخاري ١٧٤٧ ومسلم ١٠٤٠.
(٤) البخاري ١٤٧٦ ، ومسلم ١٠٣٩ .
(٥) البخاري ٢٣٧٣.



وذلك لأن طبيعة هذا الشهر الكريم ، من الخير العميم الذى خُصّ به ، والأوامر الإلهية ، والسنن النبوية فيه ، تمكن الإنسان من تغيير كثير من العادات السيئة ، والسلوكيات الخاطئة ، وذلك إذا صحت نيته ، وقويت عزيمته ، وارتفع إلى مستوى الشهر المبارك .. **ومن هذه العادات القبيحة ، التى يجب أن نتخلص منها فى شهر التربية :**

١- تضييع الأوقات :

الوقت هو الحياة وكل ورقة تقتطفها من التقويم الذى على حائطك ، أو مكتبك ، إنما تقتطع معها جزءًا منك دون أن تدرى ، وصدق من وصّاك : ((اغتنم خمسًا قبل خمس ...)) [1]

وكم أسرف الناس على أنفسهم من قبلنا ، وأضاعوا أعظم نعمتين : فصاروا من المغبونين فيهما : ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)) [2].

وإذا كان الناس قد درجوا على قضائهم الأوقات فى الغفلة ، واللهو ، والهزل ، فإن رمضان شهر التربية والتغيير ، الوقت فيه نفيس ، ومحدود ، فلا مجال فيه لما يصنعه كثير من الناس من قضاء الأوقات الطوال أمام التلفزيون ، يقولون (نقطع الفراغ) ، ولا شك أنه فراغ أرواحهم لا أوقاتهم ، إذ الواجبات - فى غير رمضان - أكثر من الأوقات ، فكيف برمضان؟

ولا مجال فى رمضان لمجالس اللهو التى يحتشد فيها الناس احتشادًا ، وتقام من أجلها السرادقات ليسمعوا ما حرّم الله ، ولينظروا إلى ما حرّم الله ، وليتكلموا بما حرّم الله ، وكل ذلك بمناسبة رمضان ! ثم لا تجد قيامًا ، ولا قراءةً للقرآن الكريم ، ولا ذكرًا ولا دعاءً ، ثم يتبجحون بعد ذلك ويقولون كل عام : هل يصح الصوم بلا صلاة ؟!

صدق رسول الله ﷺ حين قال فى أمثال هؤلاء : ((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)) [3].

٢- كثرة النوم :

وهى عادة مرذولة ، وصفة ذميمة ، اعتادها كثير ممن لا يقدرون معنى الحياة ، وتجدهم يرددون كالببغاوات : لا بدّ للجسد أن يستريح ! وهل قال أحدٌ بغير ذلك ، ولكنّ الراحة لا تعنى أن نضيع نصف الوقت أو أقل قليلاً فى نوم لا حاجة للجسد إليه ، وقد انتشر بين كثير من الناس مقالة سوء لا أجد لها أصلاً من عقل أو طب وهى أن الحد الأدنى للنوم أن ينام الإنسان ثماني ساعات يوميًا.

---

(١) رواه أحمد

(٢) متفق عليه .

(٣) مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، حديث رقم ٨٥٠١. ورواه ابن ماجه، وصححه فى صحيح الجامع رقم ٣٤٨٢

وبالله ! ثماني ساعات فى النوم وحده ، فماذا بقى إذن ؟!

قرأت أن الأم تريزا كانت تنام أربع ساعات فى اليوم فقط، فقيل لها: ولِمَ ؟ فقالت : بعد الموت لن يكون لنا مهمة سوى النوم ! والحكمة ضالة المؤمن.

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها   تنال إلا على جسر من التعب

إن مدرسة الصوم تعلمك قلة النوم إجباريًا إن أردت أن تخرج من رمضان مغفورًا لك ، فهو يربيك على قيام الليل - قيامًا طويلاً - وعلى أن تستيقظ قبل الفجر للسحور - فهو سنّة مؤكّدة - ثم تصلّى الفجر فى جماعة ، ثم تجلس تذكُر الله إلى طلوع الشمس ، ثم تصلى الضحى ، ثم تنطلق إلى عملك .

إن ذلك ليس اختيارًا ، بل هو البرنامج المحدّد ، وما فيه ليس تعبًا بل الراحة كلها ! وقديمًا قال غافل لعامل : إلى كم تتعب نفسك ؟ فقال : بل راحتها أريد !

٣- **الشبع والتخمة** :

صدق العلىّ الكبير حين قال : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه ، ولهذا علمنا الحكيم الخبير : ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

وقد قال الإمام الغزالى : (الصوم زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع للبر ، فهو للإنسان وقاية ، وللجماعة صيانة ، فى جوع الجسم صفاء القلب وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، لأن الشِّبع يورث البلادة ، ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ فيتبلد الذهن ، والصبىّ إذا ما كثر أكله ، بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع ، وطهروها بالجوع حتى تصفو وترق) .

وقال لقمان الحكيم : (يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء) .

فما أعجب أن يتحوّل شهر الصيام إلى شهر الطعام ! وأن نحتشد للصوم بكميات إضافية من المواد الغذائية ، وأن ننتقم من النهار بالغرق فى ملذات الطعام والشراب .

إذا أردت من الآن - أن تعرف : هل صمت حقًا ؟ فعليك أن تزن نفسك ، لتعرف وزنك ليلة رمضان الأولى ، ثم انظر فى ليلة العيد : هل زاد وزنك أو نقص ؟ فهذا معيار ، لا يخطئ !

فرصة ! . . .

وفى النهاية أقول : إن رمضان فرصة لمن تمكنت من نفسه عادة التدخين المحرّمة ،

أو المكيفات المستنكرة ، فإن كان صادقًا مع الله ، فعليه أن يقطع على نفسه بأن يبدأ فى الإقلاع عنها من أول يوم فى رمضان ، فإن الصوم فرصة أى فرصة ! فإذا أضاعها فليعلم أن ذلك علامة الخور فى العزيمة والضعف فى الإرادة والهمة . فهيهات هيهات أن يجد مثل هذا الجو الروحانى العظيم لو تركه يفلت منه !

================== رمضان (٤) ==================

كيف نربي أنفسنا في رمضان ؟

جعل الله سبحانه لبعض الأزمنة حرمة كما جعل لبعض الأماكن حرمة، فكما أن حرمة المكان ـ الذي حرمه الله ـ لا ينبغي أن تنتهك ، فكذلك حرمة الزمان .

ولرمضان حرمة ، ولأيامه منزلة، وللياليه قدسية، ومن أخل بتلك الحرمة في الزمان المحرم كرمضان ، كان كمن أخل بها في المكان المحرم، كالمسجد الحرام: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

لما حج النبي ﷺ حجة الوداع نصح أمته بكلمات جامعة سميت بخطبة الوداع ، لأنه جمع فيها ما تفرق خلال دعوته الطويلة بعد أن قال: ((لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا)) وحين استمع الصحابة رضوان الله عليهم إلي موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قالوا: ((كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ))[1] .

ونصح النبي ﷺ أحد أصحابه يوماً بقوله:((إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ)) [2] فلماذا لا نتحرى روح الوداع في عباداتنا كلها ؟ إن النَّفَس ربما يدخل ولا يخرج، فنحن إلى وداع في أية لحظة ...

إن رمضان ضيف عزيز يحل بنا أياماً قليلة ثم يرحل، ولا ندري هل نلقاه ثانية أم لا، فلنعتبره الفرصة الأخيرة، ولنحاول أن نخرج صيامنا فيه من إلف العادة إلى لذة الإحساس بالعبادة .

فإذا كان همنا فيما مضى إبراء الذمة وقضاء المهمة (بالصوم) فليكن همنا هذا العام تحقيق معنى الصوم (إيماناً واحتساباً) .

وإذا كانت العادة أن تختم القرآن مرة واحدة في رمضان، فليكن عامنا هذا مختلفاً، إذ فيم سيمضي الصائم وقته ؟

هل يكتفى باستعراض كتاب الله كله مرة واحدة، كما يفعل في سائر الشهور ؟ إن هذا هو التفريط بعينه !

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي .
(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي.

وإذا كنا نسعى في كل رمضان لصلاة القيام بحثاً عن الصوت الجميل ... فليكن سعينا هذا العام وراء الصلاة الأكمل .

وإذا كنا نسعي إلى عدم تضييع صلاة الجماعة مع الإمام، فليكن حرصنا طوال هذا الشهر على عدم تفويت تكبيرة الإحرام .

وإذا كان بعضنا يحرص على عمرة رمضان لأن ثوابها كالحجة مع النبي ﷺ فلنجعل لمحاولة إنقاذ الأمة، وتفريج كرب المكروبين، مساعدة المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وغيرها الأولوية هذا العام، فإن العمل المتعدى النفع خير من القاصر.

من المألوف في رمضان أن يذكرك الضعفاء بأنفسهم على نواحي الطرق وأبواب المساجد، وربما لا يكونون في حاجة، فلنتذكر في هذا العام المستضعفين الحقيقيين الذين أسرتهم الحاجة، وكبلتهم الأعباء، ولا سبيل لهم ليذكرونا بأنفسهم .

فضول الطعام والكلام والمنام :

العاقل لا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء، بل يخالف ما جرى عليه أكثر الناس، ويترك اللهو والباطل، بل يترك بعض المباح ليشعر بلذة الصوم، ومن ذلك :

١- **فضول الطعام :**

قال إبراهيم بن أدهم: "من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان" (١)

ولا شك أن قلة الطعام توجب رقة القلب وانكسار النفس، وتطلق المرء من قيود الكسل والدعة والخمول. وقد قال عمر بن الخطاب  : " من كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة "(٢)

ورمضان فرصة ليربي الإنسان نفسه على التقلل والتزهد في أصناف المطعومات، ويجاهد نفسه على الاستغناء عن كثير مما اعتاده، فهل يمكن لنا ان نترك أصناف الحلوى التي ألصقناها برمضان وجعلناها من فروضه العينية التي لا يخلو منها بيت مسلم؟ إن قليلاً من المسلمين يشعر بإخوانه المحرومين، وقليلاً يحرم نفسه مما يقدر عليه ليتوحد معهم لكنك قد تجد أناساً ينتظرون الإفطار على أحر من الجمر لينتقموا لما حدث لهم طيلة النهار ، فيعبون من المحرمات عبا ! فأي صيام هذا إذا كان لا يفطم النفس عن هواها ؟!

٢- **فضول الكلام :**

قال عطاء بن رباح : "يا ابن أخي : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام،

(١) تزكية النفوس ص ٤١.
(٢) الحلم لابن أبي الدنيا ص ٧٨ .

وكانوا يعدّون فضوله ما عدا كتاب الله أن تقرأه ، وتأمر بمعروف وتنهى عن منكر ، أو تنطلق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها ، أتنكرون أن عليكم كراماً كاتبين ؟ [١]. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أصحابه : " أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفع والسلام "[٢]

إن إطلاق العنان للسان آفة خطيرة، قلما ينجو الإنسان - بسببها - من الوقوع في المحرمات، كالكذب والغيبة والسمعة ونحوها فلنتعلم من سلفنا الصالح ، يقول إبراهيم بن سليمان : "كنت جالساً مع سفيان، فجعل رجل ينظر إلى ثوب كان على سفيان ثم قال : يا أبا عبد الله : أي شيء كان هذا الثوب ؟ فقال سفيان : كانوا يكرهون فضول الكلام " [٣]

٣- فضول المنام :

ويحلو لبعض الناس أن يضيع نهار رمضان في النوم، بل ربما أضاع الليل أيضاً، بحجة إراحة الجسد، والاستعداد للأعمال الشاقة ! ولا شك أن النوم ضروري، ولا غنى عنه، ولا مهرب منه، ولكن أي نوم ؟ هل هو النوم الذي يضيع أكثر اليوم؟ إن الله سبحانه يصف الصالحين بقوله : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ولما أُلقي عبء الرسالة الثقيل على كتف النبي ﷺ قال الله له: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ولم يقل: استرح ونم لأننا سنلقي عليك قولا ثقيلاً !

وكان سفيان الثوري إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط ، ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه، من قيام الليل"[٤] .

وجاء عن محمد بن الحسن الشيباني - تلميذ أبي حنيفة - أن "حزبه في كل يوم وليلة ثلث القرآن" [٥]

وجاء عن الحسن أنه قال: " أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه"[٦] . ولا شك أن العمر أثمن من الدراهم والدولارات. فالوقت رأس مال الإنسان إذا ضاع انتهى عمره ، ولم يبق له إلا ما قدم والوقت ليس - كما يقولون - من ذهب ، بل أغلى من الذهب ، فهو إذا ضاع لا يمكن تعويضه - أما الذهب فيمكن تعويضه .

ولقد أقسم الله تعالى بالوقت فى أكثر من سورة من كتابه.. فأقسم بالفجر والصبح

(١) صفة الصفوة ٢/٢١٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/١٣٢.
(٣) حلية الأولياء ٧/٦٠.
(٤) الجرح والتعديل ١/٩٥.
(٥) سلسلة أعلام المسلمين رقم ٤٧، ص ٢٣٧
(٦) شرح السنة للبغوي ١٤/٢٢٥.

والشمس والضحى والعصر والليل والنهار ، وفى ذلك دلالة على أهمية الوقت .

وقد أوصى الرسول ﷺ باستثمار الوقت فقال : ((اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك)).

ابدأ يومك باسم الله ، وحدد لنفسك أعمال يومها .. الأهم فالمهم .. واستعن بالله ولا تعجز ، وتذكر دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

" اللهم إنا نسألك صلاح الساعات ، والبركة فى الأوقات " .

قسِّم الوقت المتاح على الأعمال المطلوبة ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد فيتراكم عليك عمل اليومين ، واعلم - كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، " أن لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار ، فقم بالأعمال فى أوقاتها .

وكن مثالاً فى الاهتمام بالمواعيد ، واعلم أن الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وإن كان لك مهمة فأوجز فى قضائها .

ورحم الله الحسن البصرى الذى قال : " ما من يوم ينشق فجره إلا ينادى مناد ، يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزوَّد منى فإنى إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة ". وصدق من قال :

والوقت أثمن ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيعُ

وبخاصة أوقات رمضان الغالية، التي لا ينبغي للمسلم أن يتركها تذهب سدى في غير فائدة، وخير فائدة أن يعمل على رفع درجاته وتكفير سيئاته، ولذا فيجب على الصائم ألا يدع نفساً من أنفاسه يخرج بغير ذكر الله، وليكن له في استغلال كل لحظة همة عالية، يقول ابن القيم رحمه الله: ((إذا طلع نجم الهمة في ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة، أشرقت أرض القلب بنور ربها)) [1]

================= رمضان (٥) ================

من الخصائص العامة الإسلامية

الربانيـــــة

أولاً : مدلولُ الربانيةِ ومعناها :

الربانيَّـةُ نسبةٌ إلى الـربِّ ، وقدْ وَرَدَتْ هـذهِ الكلمـةُ في قولِهِ تَعَالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [2].

(١) الفوائد ص ٧٩ .

(٢) آل عمران : ٧٩.

والربانيُّ على قولِ سيبويهِ منســـوبٌ إلى الربِّ على معنى التَّخصُّصِ بمعرفةِ الرَّبِّ وبطاعَتِهِ وعلى قولِ المبِّرد منسوبٌ إلى التربيةِ ، على معنى أنَّ الربانيَّةَ أربابُ العِلْمِ، فهُمُ الذين يُرَبُّونَ الناسَ ويعلِّمُونَهُم ويصلحونَهُمْ [1] .

وجاءَ في الظلال:"كونوا ربَّانِيِّينَ : مُنْتَسبينَ إلى الرَّبِ عباداً لهُ وعَبيداً، تَوجَّهُوا إليه وَحْدَهُ بالعبَادَةِ، وَخُذُوا عَنْهُ وَحْدَهُ مَنْهَجَ حَيَاتِكُمْ حتى تُخْلِصُوا لَهُ فتكونوا ربَّانِّيينَ " [2].

ثانياً : أنواعُ الرَّبَّانيةِ وَصُوَرُهَا :

١- رَبَّانِيَّةُ المَصْدَرِ :

مَعناهَا : أنَّ الشريعةَ - كالعقيدةِ - مصدرُها خالقُ الكونِ سبحانَهُ، الذي يَعْلَمُ مَا ينفعُ وما يضرُّ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [3] وليستْ نَاشِئَةً مِنْ تَصَوُّرٍ بَشَرِيٍّ، أو إرادَةِ فردٍ أو طَبقةٍ أو حزبٍ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [4].

الدليلُ عليهَا : كثيرٌ مِنَ النصوصِ القرآنيَّةِ كقولِهِ تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [5] وقولــه تعــالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [6].

ومصدرُ الشريعةِ إمَّا مصادرُ أصليَّةٌ مُنْشِئَةٌ لِلأَحْكَامِ كالقرآنِ الكريمِ، أوْ مَصَادِرُ تَبَعِيَّةٌ كَالسُّنَّةِ التي تَكْشِفُ عَنْ حُكمِ اللهِ ، ولا تُنْشِئُهُ لقولِهِ تعالى : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [7] وكذلكَ الإجماعُ والقياسُ... إلخ .

ولا يصحُّ القولُ بأنَّ مِنْ مصادرِ التشريعِ ما هو نَقْلِيٌّ سماعِيٌّ، ومنها ما هو عَقْلِيٌّ لأنَّ العقليَّ هو ما اسْتَقَلَّ العقلُ بإيجَادِهِ، وانفردَ بإحْدَاثِهِ، وليسَ مِنْ مَصَادرِ الشريعةِ وَلا مِنْ أحكامِهَا مَا هُوَ كذلكَ، فليسَ للعقلِ مَدْخَلٌ في إيجادِ شريعةٍ بأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، إذْ كُلُّ مسألَةٍ لا دليلَ عَلَيْهَا مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ أَوِ الإِجْمَاعِ أَوِ القياسِ الصحيحِ لا تَلْزَمُنَا وَلَيْسَتْ حُجَّةً علينَا .

٢- رَبَّانِيَّةُ الغَايَةِ :

معناهَا : أنَّ سائِرَ التشريعاتِ الإسلاميةِ لها غايةٌ واحدةٌ تتجسَّدُ في مَرْضَاةِ اللهِ سبحانَهُ، وربطِ الناسِ بهِ، مَهْمَا تعدَّدَتْ مَجَالاتُهَا، وتنَوَّعَتْ صُوَرُها وأشْكَالُهَا .

---

(١) انظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٨/١٢٢-١٢٣ .
(٢) الظلال ١/٦٢١ .
(٣) البقرة : ٢١٦ .
(٤) النمل : ٦.
(٥) الجاثية :١٨.
(٦) الشورى : ٥٢.
(٧) المائدة : ٩٩.

الدليلُ على ربانِّية الغايَة كثيرٌ مِنَ النُّصوصِ القرآنيَّة التي تُصرِّحُ بأنَّ عبادَةَ اللهِ، وابتغاءَ وَجْهِهِ هِيَ هَدَفُ كلِّ جَهْدٍ بَشَرِيٍّ فَرْدِيٍّ أَوْ جَمَاعِيٍّ، يقولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(1)، ويقولُ سُبْحَانَه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾(2).

والمأموراتُ والمَنْهيّاتُ الواردَةُ في القرآن الكريم ، لا يَتَصَوَّرُ الامتثالَ لما فِيها إلا مَنْ غَمَرَ الإيمانُ قلبَهُ، وجعلَ مِنَ الفوزِ برضا خالقِهِ غايةَ الغاياتِ التي يعملُ لها في جَلْوتِهِ وخَلْوَتِهِ.

وقدْ عَبَّرَ القرآنُ الكريمُ عَنْ هذهِ الغايَةِ باصْطِلاحَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فتارَةً يُطْلِقُ عليها "سبيلَ اللهِ " كَمَا في قولِهِ تعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(3) وتارةً يُسَمِّيها : " ابتغاءَ وَجْهِ اللهِ " كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾(4) وقولِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾(5) وتارَةً يُسميِّها " الإخلاص ": ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(6)

٣- ربّانيّةُ الوَسِيلَةِ :

مَعْنَاه : أنَّ الوسائِلَ التي يُرادُ التَّوَصلُ بها إلى رضا اللهِ سبحانَهُ ، يَجبُ أَنْ تكونَ وَسَائِلَ يَرْضاها اللهُ سبحانَهُ، ويُقرُّها شَرْعُهُ الحنيفُ ، فالغايةُ الشريفَةُ لابُدَّ لَهَا مِنْ وَسِيلَةٍ شَرِيفَةٍ فمَا عندَ اللهِ لا يُنالُ بغيرِ طاعَتِهِ : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(7).

الدليلُ عليهُا : أَنَّ اللهَ سبحانَهُ رفض التَّحايُلَ لعدم تطبيقِ الأَحْكَامِ، كَما في قِصةِ أصحابِ السبتِ ، إِذْ سَمَّى صيدَهُم فيهِ عُدْوَانا، فقالَ سبحانَهُ : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾(8).

ومِنَ الأدلَّةِ أيضاً رفضُ البِدْعَةِ ، مَعَ أَنَّ صَاحِبَهَا يريدُ بها التَّقَرُّبَ إلى اللهِ ، فَقَدْ جَاءَ في الحديثِ المتفقِ عَلَيْهِ : ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) .

(1) الأنعام: ١٦٢.
(2) البقرة: ٢٠٧.
(3) النساء: ٧٦.
(4) البقرة: ٢٧٢.
(5) الرعد: ٢٢.
(6) البينة : ٥ .
(7) الأعراف : ٤٣.
(8) الأعراف: ١٦٣.

من الخصائص العامة الإسلامية

الشمــــول

أولاً : مفهومُ الشمولِ :

النظامُ الإسلاميُّ شامِلٌ لِشُئُونِ الحيَاةِ ، بمعنى أنَّهُ ليس في الإسْلام شيْءٌ يَتَعلَّقُ بالإنسانِ والحياةِ يمكنُ بحثُهُ بمَعْزِلٍ عَنِ الدينِ ، وأنَّه ما مِنْ تشْريعٍ أوْ حُكْمٍ أو فِعْلٍ يُمْكِنُ أن يَخْرُجَ عَنْ إطارِ حُكْمِ الشَّرِيعَةِ وتَنْظِيمِهَا، والنِّظَامُ الإسْلامِيُّ يُمثِّلُ منهجاً مُتَكامِلاً لِتنْظِيمِ الحياةِ عَقَائِدِياً مِنْ حيثُ عَلاقَةُ الإنْسَانِ بِرَبِّه، وقَانُونيا مِنْ حَيْثُ علاقَتُهُ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ، وَسِيَاسَتُهُ مَعَ الدولةِ، واقتصاديًّا مَعَ العمَلِ، بما يُمَثِّلُ أطرافَ الحياةِ كُلِّها وحَرَكَتِها : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١).

ثانياً : مظاهرُ الشمولِ : وهِيَ أربَعةُ مَظاهِر :

١ - **شمولُ الزَّمانِ :**

فالإسلامُ مِنْ حَيْثُ الزمانِ دينُ كُلِّ الأزْمِنَةِ والأحْقابِ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٢) ، فالأنبياءُ جَميعًا وأتْباعُهُمْ كانوا مُسلِمِينَ ، فالأُصولُ الكُلِّيَّةُ والمقاصِدُ العامَّةُ واحِدَةٌ، وهِيَ الَّتِي دَعَا إليها كُلُّ نَبِيٍّ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٣). ويَقُولُ سُبْحَانَهُ أيضاً : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (٤).

وكما أنَّ الإسلامَ دينُ الأنْبياءِ السابقِينَ - جَميعًا - فَهُوَ أيْضاً الدِّينُ الذي يُخاطِبُ أهلَ الأزْمانِ الآتيةِ في يومِ القيامةِ ، يقولُ تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٥).

فشريعةُ الإسلامِ صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، لأنَّها مِنْ عِنْدِ اللَّطيفِ الْخَبيرِ: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٦).

٢ - **شمولُ المكانِ :**

فالإسلامُ دينُ اللهِ إلى كلِّ مكانٍ على ظَهْرِ الأرْضِ، لَيْسَ لِمنْطَقةٍ جُغْرافِيَّةٍ خاصَّةٍ ،

---

(١) المائدة : ٣.
(٢) آل عمران : ١٩.
(٣) الأنبياء : ٢٥.
(٤) الشورى : ١٣.
(٥) الجمعة : ٣.
(٦) الملك : ١٤.

فَهُوَ لا يعرفُ الحدودَ الْمُصطَنَعَةَ، وقَدْ قَالَ تعالى : ﴿ .... لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (١) ، والْعَالَمُ كلُّه حولَ أمِّ القُرى لأنَّها في مَرْكزِ الكرةِ الأرضيَّةِ، وهَذا مِنْ إعْجازِ القرآنِ الذي أَثْبَتَهُ العلمُ الحديثُ ، وصَارَ مِنْ مُسلَّمَاتِ الْجُغْرَافِيةِ الْحَالِيَّةِ .

٣ ـ **شمُولُ الإنْسانِ : وتَعْنِي أمْرَيْنِ :**

أ) أَنَّ الشَّريعَةَ عالَميَّةٌ، لأنها عامَّةٌ للنَّاسِ كافَّةً، ليسَ لِجنْسٍ دونَ جِنْسٍ، أَوْ أُمَّةٍ دونَ أُمَّةٍ، قَالَ تعَالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢)، ولِذَلِكَ عامَلَتِ الأَجْنَاسَ جَميعًا مُعامَلَةً واحِدَةً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٣) وكَانَ مِنْ أوائلِ مَنْ أَسْلَمَ بلالُ الْحَبَشيُّ وَصُهَيْبُ الرُّومِيّ وَقدْ جاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحيحِ : ((وَكَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلى قَوْمِهِ خاصَّةً، وبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)).

وَهُنَا يُرَدُّ عَلَى بَعْضِ الْجَهَلَةِ وَالْمارِقِينَ الذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الإسْلامَ لِلْعَرَبِ فَقَطْ، مَعَ وُضوحِ الأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى عَالَمِيَّةِ الإِسْلامِ، لَكِنَّهُ الْعَمَى عَنِ الْحَقِّ!.

ب) إنَّ الشَّريعَةَ تَحْفِلُ بِكِيانِ الإِنْسَانِ مِنْ جَمِيعِ الزَّوايَا : الْعَقْلِيَّةِ والروحيةِ والجسديةِ ، وشمولُ تعاليمِ الإسلامِ تُنَظِّمُ مراحلَ أطْوارِ حياتِهِ جَميعًا، مُذْ هُوَ جَنِينٌ في بَطْنِ أمِّهِ ، وتجعلُ لهُ ١٠/١ (عُشْرَ الدِّيَةِ) لَوِ اعْتُدِيَ على حياتِهِ، وإذْ هُوَ وَلِيدٌ رَضِيعٌ، فَأَوْجَبَتْ عَلَى أمِّهِ رضَاعَتَهُ: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (٤) وعَلَى والِدِهِ الإِنْفَاقَ عَلَيْهِ، ثُمَّ حُسْنَ تَربيَتِهِ، ثُمَّ تَهديهُ الشَّريعةُ بما يُصْلِحُهُ مِنَ التوجيهاتِ والتشريعاتِ ، مِنْ مِثْلِ مُعَامَلَتِهِ لِوَالِدَيْهِ، وَلِوَلَدِهِ، وَلِزَوْجِهِ ، وَلِجيرانِه ..... الخ .

٤ ـ **شمولُ الْمَنْهَجِ :**

فالشريعةُ الإسلاميةُ شافيةٌ وافيةٌ مِنْ حيثُ تَنَاوُلُها لكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ مِنْ شُئُونِ الدِّينِ والدُّنْيَا، فَهِيَ منهجٌ كاملٌ في الحياةِ، وليستْ مُجَرَّدَ عَلاقَةٍ رُوحيةٍ بينَ المرءِ وَرَبِّهِ ، كَمَا يُرَدِّدُ بعضُ الْمُرْجِفِينَ، الذينَ يُشِيعُونَ عِبَارَاتٍ مِنْ مِثْلِ: لا عَلاقَةَ بالسِّيَاسَةِ، وَلا لِتَسْييسِ الدِّينِ، وَضَرُورَةِ فَصْلِ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، إنَّ هَذِهِ عِبَاراتٌ خَطِيرَةٌ ، مَنْ قَالَها ـ بِاقْتِنَاعٍ ـ خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ بلا خِلافٍ.

والعَجَبُ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ بَعْضَ أَجْزَاءِ الشَّرِيعَةِ لا يَصْلُحُ اليومَ ، وَقَدْ يَكُونُ القَائِلُ

(١) الشورى: ٧ .
(٢) الأعراف: ١٥٨.
(٣) الحجرات: ١٣.
(٤) البقرة: ٢٣٣.

شَيْخاً - ينطبقُ عليه قولُ القائلِ : وَلَكِنَّ دِيناً قَدْ أَردْتُ صَلاحَهُ أُحَاذِرُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ الْعَمَائِمُ ! يقولُ تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (1) .

ومن أبرز جوانب شمول المنهج :

١- شمولُ العقيدةِ والتَّصوُّرِ؛ لأنَّ الْعَقِيدَةَ الإسلاميَّةَ تَعْطِي تفْسِيراً واضحاً كامِلاً للقضايا الكُبْرى، كالألوهيَّةِ، والنبوةِ، والكونِ والحياةِ ، كما أنَّها تَعْتَمِدُ عَلَى العقلِ والعاطفةِ معًا .

٢- شمولُ العبادةِ، فالعبادةُ أتَمُّ مِنْ أنْ تقْتَصِرَ عَلَى شَعَائِرَ مُحَدَّدَةٍ ، بَلْ هِيَ اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

٣- شمولُ الأخلاقِ، فَلا يَخْلو جانبٌ مِنْ جَوَانِبِ الحياةِ إلا للشريعةِ منهُ توجيهٌ خُلُقيٌّ كريمٌ ، وجماعُ أخلاقِ الإسلامِ: الحياءُ ، فقدْ جاءَ في الحديثِ : ((الحياءُ والإيمانُ قُرِنا جَميعاً، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخرُ)) (2).

٤- شمولُ المعاملاتِ : والمعاملاتُ نوعانِ :

أ- معاملاتٌ اقتصاديّةٌ، وَضَعَ لها الإسلامُ مَنْهَجاً مُحَدَّدًا، فلا يجوزُ للإنسانِ أنْ يَسْتَغِلَّ غيرَهُ أو يَسْرِقَهُ أو يأخذَ مالَهُ بغيرِ حقٍّ ، ولا يَكْسِبُ إلا مِنْ حلالٍ ، ولا يُنْفِقُ إلا في حلالٍ .

ب- معاملاتٌ اجْتِماعيَّةٌ، وقدْ وجَّهَ الإسلامُ الفَرْدَ فيها إلى أن يتعاملَ مَعَ النَّاسِ بالمعروفِ ، وأنْ يتجاوزَ عنِ الهفواتِ ، وَنَظَّمَ عَلاقَتَهُ بزوجِهِ ، وبولدِهِ، ووالدَيْهِ ، وَنظَّمَ عَلاقَةَ الحاكمِ مَعَ المحكومِ .... الخ.

٥- شمولُ العقوباتِ ، فقدْ وضعَ الإسلامُ نوعينِ مِنَ العقوباتِ ، الأوَّلُ :الحدودُ ، وَهِيَ عقوباتٌ مخصوصةٌ لجرائمَ مخصوصةٍ ، والثاني: التَّعْزِيرَاتُ ، وَهِيَ عقوباتٌ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ متروكةٌ للقاضي بحَسَبِ حَجْمِ الجَرِيمَةِ .

وهذه العقوباتُ كفَّارَاتٌ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَزَوَاجِرُ عَنِ اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

ثالثاً : واجِبُنَا نَحْوَ الشُّمُولِ :

١- أنْ نُؤْمِنَ بِهِ، فإنَّ اللهَ ﷻ نَعَى على مَنْ جَزَّؤُا الدِّينَ مِنْ قَبْلِنَا هَذَا الصَّنيعَ فقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (3) وقال تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (4).

---

(1) النحل: ٨٩.
(2) رواه الحاكم وصححه الذهبي والألباني.
(3) البقرة: ٨٥.
(4) الحجر ٩٠: ٩٣.

٢- أنْ نُطبِّقَهُ في حيَاتِنا تطْبيقاً كامِلاً، بحيْثُ يظْهَرُ لي في عقيدتي وعبادتي وأخْلاقِي ومُعامَلاتِي، فإنَّ بدايةَ عودةِ الإسْلامِ الشّامِلِ، أنْ أُطبِّقهُ على نفسي " أقيمُوا دوْلةَ الإسْلامِ في قلُوبكُمْ تقمْ على أرْضِكُمْ".

٣- أنْ أُربِّيَ أوْلادِي عليْهِ، ليحْدُثَ لهُمُ التّوازنُ والاعْتِدالُ ، فلا يتضخَّمُ جانبٌ منْ جوانِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ على حِسابِ جانِبٍ آخرَ .

٤- الدَّعْوَةُ إليْهِ، وهذِهِ هيَ معْركَةُ الإسْلامِ الكُبْرَى الآن: فإنَّ المجْرمينَ يُريدُون حصْرَ الإسْلامِ في المسجد - إنْ سمَحُوا بذلكَ أيْضاً - وربَّما يُريدونَ حصْرَهُ في الشَّعائِرِ دُونَ الشَّرائِعِ .

واللهُ ﷻ يقولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [1] فالداعيةُ المخلصُ هو الذي يدعو إلى الدينِ كلّه لا بَعْضِهِ، إلى العقيدةِ والشريعةِ معًا .

وليسَ مِنَ الإخلاصِ أنْ نُغْرِقَ الناسَ في جُزْءٍ مِنَ الدينِ ، لِنُلْهِيَهُمْ عَنْ بَقِيَّةِ الأَجْزَاءِ، فالدينُ هوَ مجموعُ هذهِ الأمورِ الخمسةِ (العقيدةِ والعبادةِ والأخلاقِ والمعاملاتِ والعقوباتِ) وليسَ واحدًا منْهَا !

فمَنْ أنكرَ الحدودَ ، أو قالَ إنَّهُ لا يُمْكِنُ تَطْبيقُها، فَقَدْ أنكرَ الإسلامَ كلَّهُ ، يقولُ تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [2].

وهذِهِ السورةُ تُسَمَّى سورةَ الشَّريعةِ لأَجْلِ هذِهِ الآيةِ .

=================  =================

من الخصائص العامة الإسلامية

اليســر ورفع الحرج

أولاً : مفهومُ (الدِّين يُسْرٌ) :

يظنُّ بعضُ الناسِ أنَّ اليُسرَ هوَ التخفيفُ على الناسِ مطلقاً، وبغيرِ دليلٍ ، وأصبحتْ كلمةُ (الدِّينُ يُسرٌ) - معَ أنَّها كلمةُ حقٍّ - كلمةٌ مشبوهةٌ ، لأنها صارتْ مِشْجَباً لِكُلِّ مَنْ يريدُ أنْ يتَفلَّتَ مِنْ حُكْمِ اللهِ فالمرأةُ إذا دُعيتْ إلى الزِّيِّ الشَّرْعيِّ، تقولُ ببَجاحَةٍ: (الدِّينُ يُسْرٌ)، والقادةُ إذا دُعوا إلى تحكيمِ شرعِ اللهِ ، يقولونَ بجهلٍ وتَعالٍ: (الدِّينُ يُسْرٌ!) والأمثلةُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ حَتَّى أصبحتْ هَذِهِ الكلمةُ عندَ كثيرٍ مِنَ الناسِ تَعْنِي: لَنْ أُطبِّقَ الدِّينَ!

---

(١) البقرة: ٢٠٨.　　(٢) الجاثية ١٨: ١٩.

مَعَ أنَّ المفهومَ الصحيحَ (الدِّينُ يُسْرٌ) حُجةٌ عليهم لا لَهُمْ إذْ مَعْنَى الدِّينُ يسرٌ أنَّ كُلَّ ما شَرَعَهُ اللهُ يُسْرٌ، فلا ينبغي أنْ نستثْقِلَهُ، فَقَالَ سبحانَهُ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] وهذهِ الآيةُ ـ على عكسِ ما يَفْهَمُ كثيرٌ مِن النَّاسِ ـ تَعْني أنَّ اللهَ ﷻ لا يكلِّفُ النفسَ إلا ما يَتَّسِعُ فيه طَوْقُها، ويَتَيَسَّرُ عَلَيْها، دونَ مَدى غايةِ الطاقةِ والمجهودِ، فقدْ كَانَ في طاقةِ الإنسانِ أنْ يُصَلِّيَ أكثرَ مِنَ الخَمْسِ ويصومَ أكثرَ مِنَ الشَّهْرِ، ويَحُجَّ أكثرَ مِنْ حَجَّةٍ "[2].

فاليسرُ الذي نَعْنِيه هُنا هُوَ اليسرُ الذي عليهِ الدليلُ الراجحُ، أما التخفيفُ بلا دليل، فليسَ يُسرًا بلْ فَوْضَى!

ثانياً: اليسرُ مرادُ الله:

أَرَادَ الله لِهذهِ الشريعةِ أنْ تكونَ أسهلَ الشرائعِ، إذْ يقولُ في وصفِ النبيِّ: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[3].

ويقولُ اللهُ ﷻ: ﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[4]، قَالَ قتادةُ رحمه الله في تفسيرها: (أريدُوا لأنفسِكُمُ الذي أرادَ اللهُ لَكُمْ)[5]، وعَنْ أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنَّه قَالَ: أَقْرَأَنِي النبيُّ ﷺ: أنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الحنيفةُ السَّمْحَةُ، لا اليهوديَّةُ ولا النصرانيَّةُ[6]، قالَ ابن القَيِّم: "جمعَ اللهُ ﷻ في هذهِ الشريعةِ بينَ كونِها حنيفيَّةً"، وكونِها سَمْحَةً، فهي حنيفيةٌ في التوحيدِ، سَمْحَةٌ في العَمَلِ".

ثالثاً: اليسرُ مختارُ رسولِ اللهِ ﷺ ووصيَّتُهُ:

عَنْ عائشةَ رضي الله عنها أنها قالتْ: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بين أمرين قطُّ إلا أخذَ أيسرَهُما، ما لَمْ يكُنْ إثماً؛ فإنْ كانَ إثماً كانَ أبعدَ الناسِ منه ...))[7].

وفي الحديثِ الصحيحِ: ((إن خيرَ دينكُم أَيْسَرُه " ثلاثاً، وقالَ في لفظ آخرَ: إنَّكُم أُمَّةٌ أُريدَ لكمُ الْيُسْرُ))[8]، وأوصى النبيُّ ﷺ باليسرِ، كما في قصةِ الأعرابيِّ الذي بالَ في المسجدِ، إذ قالَ في خاتمةِ كلامِهِ: ((إنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِين ولم تُبْعثوا مُعَسِّرِين))[9] وعن أبي موسى قَالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا بعثَ أحداً من أصحابه في بعث أمرَهُ، قَالَ بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا[10]، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " إن الدِّينَ

---

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) ابن كثير ١/٤٠٨.
(٣) الأعراف: ١٥٧.
(٤) البقرة: ١٨٥.
(٥) تفسيرُ الطبريّ بتحقيق أحمد شاكر ٧٦/٣.
(٦) فوائد أبي عمر بن منده وقال سنده صحيح.
(٧) متفق عليه.
(٨) رواه أحمد وصححه الحافظ في الفتح ٤/١.
(٩) متفق عليه.
(١٠) متفق عليه.

يُسْـرٌ ولنْ يُشادَّ الدِّين أحـدٌ إلا غلبَهُ ، فسَدِّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغُدْوَةِ والرَّوْحة، وشيءٍ من الدلَجَة [1]، والسدادُ هو التَّوَسُّطُ في العمل، وقاربوا : أيْ إنْ لَمْ تستطيعوا الأخذَ بالأكمل.

فاعملوا بما يقربُ منهُ ، والغدوةُ : السيرُ أولُ النهار، والرَّوْحَةُ : السيرُ بعدَ الزَّوال، والدُّلَجَةُ: السيرُ آخرَ الليل .

رابعاً : بعض مظاهر اليسر في الشريعة :

تكاليفُ الإسلام يسرٌ كلُّها، ومعَ ذلكَ فقدْ يمرُّ الإنسانُ بحالاتٍ استثنائيَّةٍ طارئةٍ يستحيلُ معها القيامُ بهذهِ التكاليفِ على الرُّغمِ مِنْ يُسْرِها، لِذا شُرِعَتِ الرُّخَصُ في مُقابلِ أحكَامِ العزيمةِ؛ ولأنَّ المشقةَ يتفاوتُ الناسُ في احتمالِها؟ فقدِ اختلفَ الفقهاءُ فيما هوَ الأولَى : العزيمةُ أم الرخصةُ ، ويرى الإمامُ الشاطبُّي أنَّ الصوابَ في هذهِ المسألةِ : إسنادُ الأمرِ إلى المُكلَّفِ ، فهو الذي يختارُ ما يُناسبُه انطلاقًا مِنْ وَضْعِهِ وحالَتِهِ ، ولِذا فهو يرى عدمَ صِحَّةِ تقسيمِ الرُّخْصَةِ إلى: واجبةٍ ومندوبةٍ ومباحةٍ ، وخلافُ الأولى ، إذِ الرخصةُ - عندَه - حُكْمُهَا مُطلقاً هوَ الإباحةُ .[2].

ولما كانَ قصدُ الشريعةِ مِنْ أحكامِها جَلْبَ النفعِ ودفعَ الضَّرَرِ ، فإنَّ الفقهاء وضعوا بعضَ القواعدَ التي يَتَجَلَّى فيها طابعُ اليُسْرِ ورُوحُ السَّمَاحَةِ وَدَفْعُ الحَرَجِ، وهذهِ القواعدُ مأخوذةٌ مِنَ النُّصوصِ الشَّرْعِيَّةِ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - وَمِنْهَا :

١- **لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ : وَمِنْ تَطْبيقَاتِهَا :**

أ - منعُ الغِشِّ والتَّدْليسِ وَالغَرَرِ لما فيهِ مِنْ ضَرَرٍ بالمُشْتَرِي وهو مَنْهيٌّ عَنْهُ.

ب - الْحَجْرُ عَلَى السَّفيهِ والمُفْتِي الماجِنِ والطَّبيبِ الجاهِلِ، لما في أعمالِهم مِنْ إضْرَارٍ بأنْفُسِهِمْ وبِغَيْرِهِم.

ج - فَسْخُ النِّكاحِ بالعَيْبِ والإعْسارِ بالنفقةِ وَغَيْبةِ الزَّوْجِ وحَبْسِهِ .

٢- **ارتكابُ أخفِّ الضَّرَرَيْنِ : وَمِنْ تَطْبيقَاتِهَا في مجالِ العِبَادَاتِ :**

أ - رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ لو سَجَدَ سَالَ جُرْحُهُ، وَإنْ لَمْ يَسْجُدْ لَمْ يَسِلْ، فَإنَّهُ يُصَلِّي قَاعِداً، يُؤْمِئُ بالركوعِ والسجودِ؛ لأنَّ تركَ السجودِ أهونُ مِنَ الصَّلاةِ مِنَ الحَدَثِ.

ب - لو عجزَ من يريدُ الصَّلاةَ عن التطهرِ أو سَتْرِ العورةِ أو استقبالِ القبلةِ، صلى كما قَدَرَ، لأنَّ تَرْكَ هذهِ الشُّروطِ أَخَفُّ مِنْ تَرْكِ الصَّلاةِ .

٣- **الضَّروراتُ تُبيحُ المَحْظُوراتِ : وَمِنْ تَطْبيقَاتِهَا في مجالِ العقيدةِ :**

أ- جوازُ التَّلَفُّظِ بكلمةِ الكُفْرِ عندَ الإكْرَاهِ .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٣٨..

(٢) راجع أدلته في الموافقات ٣٢٣/١ وما بعدها، وانظر أصول الفقه للخضري ٧٦-٧٩.

ب- إباحةُ الفِطْرِ للمُسَافِرِ والمريضِ في رمضانَ.
ت- إباحةُ الصلاةِ في السفينةِ ولو كانَ لغيرِ القبلةِ.
ج- إباحةُ النظرِ للعورةِ لضرورةِ التَّطْبِيبِ.
د- إباحةُ مَحْظُورَاتِ الإحرامِ من حَلْقٍ أو لُبْسِ مخيطٍ لِمَنْ يتضررُ مِنْ تَرْكِهَا .

٤- المشَقَّةُ تَجْلِبُ التيسيرَ : ويُقْصَدُ بالمشَقةِ هُنا : المَشَقَّةُ المتجاوِزَةُ للحدودِ الطبيعيَّةِ العاديَّةِ. والتي يَعُمُّ حدوثُها وليسَ المرادُ المشقةَ العاديةَ ومِنَ الأسبابِ الموجِبةِ للتَّخْفِيفِ في الشريعةِ الإسلاميَّةِ :

أ - الجَهْلُ، ولذلكَ شَرَعَ رَدَّ المبيعِ لوجودِ عَيْبٍ فيه جَهِلَهُ المُشْتَرِي وقتَ الشِّرَاءِ.
ب - المرضُ و مِنْ أَجْلِه رُخَصٌ في التَّيَمُّمِ، والقعودِ في الصلاةِ للعاجزِ ... الخ .
ج - السفرُ، فلأَجْلِهِ أُبيحَ الإفطارُ وقَصْرُ الصَّلاةِ وجَمْعُهَا.
د - النسيانُ ، ولذلكَ لا يُؤْخَذَانِ مَنْ أَفْطَرَ نَاسِياً في رمضانَ أَوْ مَنْ نَسِيَ صلاةً حَتَّى خَرَجَ وَقْتُهَا .
و - الإكراهُ ، ورُخَصٌ بسَبَبِه في أكلِ المَيْتَةِ، وشُرْبِ الخمرِ.
ز - عمومُ البلوى ، ولذلكَ تُسومِحَ في الغَبْنِ اليسيرِ في البيعِ، وفي رَشَاشِ النَّجساتِ، وطِينِ الشوارعِ .

ومِنَ التطبيقاتِ العمليَّةِ لهذهِ القاعدةِ :

أ - أنَّ الخَطأَ في الأَفْعَالِ والتَّصَرُّفَاتِ يَجْعَلُ الحُكْمَ يَخْتَلِفُ عَنْ حَالِ العَمْدِ كَمَا في القَتْلِ مَثَلاً.
ب - أنَّ جَهْلَ الوكيلِ بعَزْلِ مُوكلِه لَهُ تَسْتَمِرُّ معه وكَالَتُه، وتُنَفَّذُ عقودُه دفْعاً للحرجِ.

رابعاً : أولويَّةُ التَّيْسِيرِ على التَّعْسِيرِ :

الفقهُ حَمَّالُ أوجهٍ، ومسائلُ الإجماعِ في الفقهِ قليلةٌ، والخلافُ الفِقْهِيّ وَارِدٌ في أكثرِ المسائلِ، ولا بَأْسَ بالخلافِ ، فقد قالَ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ رضي الله عنهم : "أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ في أعمَالِهم، لا يعملُ العاملُ بعملِ رجلٍ منهُم إلا رَأَى أَنَّهُ في سَعَةٍ، وَرأى أنه خَيْرٌ منْهُ قد عَمِلَهُ" (١) ، ويقولُ عُمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله : ما أُحِبُّ أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ لم يَخْتَلِفوا، لأنه لو كانوا قولاً واحداً لكانَ الناسُ في ضيقٍ ، وإنَّهم أئِمَّةٌ يُقْتَدى بهِمْ، فلو أَخَذَ الرجلُ بقولِ أَحَدِهِمْ كَانَ في سَعَةٍ " (٢)

---
(١) الآثار لأبي يوسف ٢٨٥.
(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/٨٠.

والعلمُ الرَّبَّانِي هُـوَ الذي يأخذُ بأَيْدِي الناسِ ويَدُلُّهم على الأَيْسَرِ لَهُ والأرْفَقِ بحَالِهم، كَمَا كَانَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ يَفْعَلُ، فَمَعَ تَشْدِيدِهِ على نَفْسِهِ، فَقَدْ كَانَ يُسَهِّلُ على الناس، فقدْ جاءَ عَنْه أنهُ سُئِل : أيُّهمَا أَفْضَلُ فِي السَّفَرِ : الفطرُ أو الصَّوْمُ ؟ فقَالَ : أَيْسَرُهُمَا أَفْضَلُهُمَا. وقَالَ إبراهيمُ النُّخَعِيّ رحمه الله : إذا تخالَجَكَ أمْرانِ فظُنَّ أنَّ أحبَّهُمَا إلى اللهِ أَيْسَرُهُمَا " [1].

ونقلَ القاسمي في تفسيره [2] عن الشَّعْبيّ رحمه الله كلاماً قريباً مِنْ هذا .

ولعلَّ كلامَ هؤلاءِ الأئمةِ راجعٌ لقولِ النبيّ ﷺ : ((إنَّ اللَّهَ يُحبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)) [3].

ولذا عَرَّفَ سفيانُ الثَّوْرِي رحمه الله الفِقْهَ بقولِهِ : " الفقهُ رخصةٌ مِنْ ثِقَةٍ، أَمَّا التَّشدِيدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ".

وعندَ الخلافِ ينبغي للفقيهِ أنْ يَدُلَّ الناسَ على ما يَغْلِبُ على ظَنِّهِ أنَّه الراجحُ في الْمَسْأَلَةِ. مَعَ اعْتِقَادِهِ أنَّ الراجحَ عِنْدَهُ رُبَّمَا لا يَكُونُ رَاجِحاً عِنْدَ غَيْرِه، ولِهَذَا قَالَ العُلَمَاءُ - بحَقٍّ - إنَّ المختلفَ فيهِ لا أَمْرَ فيه ولاَ نَهْيَ فِيه، وهَذَا هُوَ اليُسْرُ بعَيْنِه، أَمَّا أَنْ يُسَفِّهَ الفقيهُ رَأْيَ غَيْرِهِ في الأمورِ الخِلافِيَّةِ، أَوْ يَحْمِلَهُمْ على الأَشَدِّ في كُلِّ مَسْأَلَةٍ زَعْمَا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الأَحْوَطُ، فَلَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ في شيء - فالأحوطُ هو الذي عَلَيهِ الدليلُ ، وليسَ الأشَدَّ مِنَ الأَقْوَالِ، وَلِذا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يختارُ الأيسرَ لا الأحوطَ لأنَّ الأيسرَ هوَ الذي يتَّفِقُ مَعَ المقاصدِ العامَّةِ للشريعةِ ، واللهُ أَعْلَمُ .

================= رمضان (٨) =================

من الخصائص العامة الإسلامية

الوَاقِعِيَّـةُ

أولاً : الشريعةُ مزيجٌ منَ الواقعيةِ والمثالية :

من خصائصِ الشريعةِ الإسلاميةِ البارزةِ أنها شريعةٌ واقعيةٌ ، لأنها جاءتْ مِنْ لَدُنْ حكيمٍ حميدٍ. يعرفُ طبيعةَ الإنسانِ وهو القائلُ سبحانَه: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [4]

غيرَ أن واقعيةَ الشريعةِ ليستْ بالتي تنحدرُ بالإنسانِ ليُخْلِدَ إلى الأرضِ، بَلْ إنَّها واقعيةٌ تَسْمُو بهِ وتأْخُذُ بيَدِهِ إلى عالَمِ المُثُلِ والكَمَالِ، باعتبارِهِ نَسْمَةً مِنْ نَسَمَاتِ الْجَنَّةِ، فيها نَفْخَةٌ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، رَفَّتْ حيناً على الأرضِ ، وإلى الجنةِ تعودُ إنْ شاءَ اللهِ ، فالمنهجُ الإسلاميُّ واقعيٌّ لأنه لا يُغْفِلُ طبيعةَ الإنسانِ، مِنْ حَيْثُ هو مَخْلُوقٌ مُزْدَوَجُ الطبيعةِ، قَابِلٌ

(١) الآثار لأبي يوسف ٢٨٥.
(٢) ٤٢٧/٣.
(٣) رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، وصححهما الشيخ أحمد شاكر ١٣٥/٨.
(٤) البقرة: ٢١٦.

للسَّيْرِ في طريقِ الخيرِ، وللسَّيْرِ في طريقِ الشَّرِّ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[1].

وفي ضوءِ هذا النَّظرِ الواقعيِّ جعلَ الإسلامُ حدّاً أدنى من الكمالِ لا يصحُّ أنْ ينزلَ عنْهُ الإنسانُ بحالٍ، ويَتَمَثَّلُ في فعلِ الفرائضِ والواجباتِ، وتركِ المُحَرَّماتِ، وهيَ أمورٌ يَسْتَطيعُها أقلُّ النَّاسِ استعداداً لفعلِ الخيرِ، ولا عُذْرَ لأحدٍ في التَّخَلُّفِ عَنْهَا. إلى جانبِ هذا المستوى هُناكَ أرفعُ منه، ويتمثَّلُ في تركِ المكروهاتِ، والمحافظةِ على المندوباتِ، ومحاولةِ الوصولِ للرقيِّ الإنسانيِّ الممكنِ في كلِّ الأمورِ.

ثانياً: التدرجُ في التشريعِ من الواقعية:

التدرجُ - كما هو معلومٌ - سُنَّةٌ شرعيةٌ، سَلَكَها القرآنُ الكريمُ في تشريعِهِ كَمَا سَلَكَها الرسولُ ﷺ في دَعْوَتِهِ.

فالقرآنُ لم ينزلْ جملةً واحدةً، وإنما نَزَلَ مُنَجَّماً، يتدرجُ في الرقيِّ بالمجتمعِ شَيْئاً فشيئاً، وهكذا العقيدةُ قبلَ أحكامِ الشريعةِ، وفي العقيدةِ بدأ بالإيمانِ باللهِ قبلَ الإيمانِ بالأركانِ الأخرى، وفي العباداتِ بدأ بالصلاةِ قبلَ غَيْرِهِ.

وهو منهجٌ تربويٌّ حكيمٌ لولاه لَصَعُبَ معالجةُ الظواهرِ الاجتماعيةِ الفاسدةِ، لذا قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: ((وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا))[2]

ولم تَحِدْ سُنَّةُ النبيِّ ﷺ عَنْ هَذا الْمَنهجِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ إلى اليمنِ أَوْصَاهُ بالتدرجِ في الدَّعْوى بَادِئاً بالعقيدةِ؛ فَقَالَ: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ))[3].

وإذ كانَ التَّدَرُّجُ في التَّشْريعِ قدِ انْتَهَى أَمْرُهُ بَعْدَ اكْتِمَالِ الشَّرِيعَةِ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[4] فإنَّ التدرجَ في الدعوى لم يَنْتَهِ، ولهذا لا مانعَ مِنَ التدرجِ في التطبيقِ، كما فعلَ الخليفةُ الراشدُ عمرُ بنُ عبد العزيز فقدْ روَى المؤرخونَ عنْ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ أن ابنَهُ عبدَ الملكِ - وكانَ أفضلَ أبنائِهِ - قالَ له يوماً: يا أبتِ؟ ما لكَ لا تُنَفِّذُ الأمورَ؟! فو اللهِ ما أُبالي لو أنَّ القدورَ غلَتْ بي وبكَ في الحقِّ، فقالَ عمرُ: لا تعجلْ يا بُنَيَّ؟ فإنَّ اللهَ

---

(1) البلد: ١٠.

(2) رواه البخاري - الفتح ٩/٣٩.

(3) رواه البخاري- الفتح ٥/١.

(4) المائدة: ٣.

ذمَّ الخمرَ في القرآنِ مرَّتَيْنِ، وحرَّمَهَا في الثَّالثَةِ، وإنِّي أخافُ أنْ أحملَ النَّاسَ على الحقِّ جملةً، فيَدْفعُوهُ جُمْلَةً، ويكونَ مِنْ ذَا فِتْنَةٌ "[1]، وقد دخلَ على ابنِهِ هَذَا مَرَّةً أُخرى، ودارَ بَيْنَهُم حوارٌ طويلٌ، قالَ عُمَرُ في نهايتِهِ لابنِهِ المتحمِّسِ : أَوَ مَا تَرْضَى أَنْ لاَ يَأْتِي على أبيكَ يومٌ مِنْ أيامِ الدنيا، إلا وهوَ يُميتُ فيهِ بِدْعَةً، ويُحْيِي فيه سُنَّةً؟ "[2]

كُلُّ ما نُؤكِّدُهُ : ألا يكونَ هذا مجردَ تُكَأَةٍ لتأجيلِ العملِ بالشريعةِ، وتمويتِ تطبيقِها بمرورِ الزمنِ، باسمِ التدرجِ والتهيئةِ، فإنَّ هناكَ كثيراً مِنَ الأمورِ لا تحتاجُ إلى هذا التدرجِ ولا التهيئةِ، وإنَّما تحتاجُ إلى صدقِ التوجُّهِ وصحَّةِ العزيمةِ .

ثالثاً : الواقعية في مجال العبادات : من صورِ الواقعيةِ فيها:

١) مراعاةُ واقعِ الحياةِ وظروفِها الأُسْرِيَّةِ والاقتصاديةِ، لذلكَ لم يطلبِ الإسلامُ مِنَ المسلمِ أن ينقطعَ للعبادةِ، فلا رهبانيَّةَ في شريعتِنَا، بَلْ فرضَ عليهِ عبادةً محدودةً لا تَقْتَطعُ من طاقتِهِ ووقتِهِ إلا القليلَ، وذلكَ كي يتفرغَ لسدِّ حاجاتِهِ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[3].

٢) تنوعُ العباداتِ في طبيعتِها، لِتُلائِمَ ظروفَ الإنسانِ المختلفةِ، فلو كانتِ العباداتُ بدنيةً فقطْ لَحُرِمَ منها العاجزونَ بَدَنِيًّا، ولو كانتْ ماليَّةً فقطْ لَحُرِمَ مِنْهَا الفقراءُ، كَمَا أنَّ العباداتِ لو كانتْ مِنْ نَوعٍ واحدٍ تَسَرَّبَ إلى نفسِ الإنسانِ المللُ، لأنه بطبْعِهِ يَسْأَمُ مِنْ الشيءِ ذي الطبيعةِ الواحدةِ .

٣) إيجادُ المخارجِ للمسلمِ في أوقاتِ العُسرِ والشدةِ والضيقِ، لذلكَ شُرِعَتِ الرُّخَصُ، حتى لا يُضْطَرُّ الإنسانُ للوقوعِ في المعصيةِ بسببِ ظروفِهِ القاسيةِ، ومِنْ ذلكَ : إباحةُ التيممِ عندَ العجزِ عنِ استعمالِ الماءِ لمرضٍ أو غيرِهِ وإباحةُ قصرِ الصلاةِ للمسافرِ... الخ مصداقاً لقولِهِ تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[4].

رابعاً : الواقعيةُ في مجالِ الأسرةِ : ومِنْ مَظاهِرِهَا :

١) إباحةُ الزواجِ سَيْراً مَعَ الفطرةِ، على خلافِ بعضِ المِلَلِ التي تجعلهُ مسألَةً دونيَّةً، ونقصًا ينبغي التنزهُ عنهُ، وفرضتِ الرهبنةَ وتركَ الزواجِ على أصحابِ المناصبِ الدينيةِ العُلا، وكانتِ النتيجةُ هذهِ الانحرافاتِ الجنسيةِ الخطيرةِ التي يُصْدِرُ بها تقريرٌ سَنَوِيٌّ مِنَ الفاتيكانِ يُقِرُّ بها في أكثرَ مِنْ ثَمَانِينَ دولةً في العالَمِ! .

٢) إباحةُ تَعَدُّدِ الزوجاتِ، باعتبارِ ذلكَ عَمَلاً أخلاقيًّا مُشَرِّفاً؛ لأنه لا يسمح للرجلِ أن يَتَّصِلَ بأيةِ امرأةٍ شاءَ، وأيَّ وقتٍ شاءَ، كَمَا يَحْدُثُ عِنْدَ مَنْ يَزْعُمُونَ الحضارةَ

(١) انظر الموافقات للشاطبي ٢/٦٤.
(٢) تاريط الخلفاء للسيوطي ٢٢٢-٢٢٤ .
(٣) الجمعة: ١٠.
(٤) المائدة: ٦.

في الغَرْبِ، بَلْ لابُدَّ مِنْ إجْراءِ العَقْدِ وإعلانِهِ لَوْ بَيْنَ نَفَرٍ مَعْدُودٍ ولابدَّ مِنْ عِلْمِ وَلِيِّ الزوجةِ، ولابد مِنْ توافرِ نيَّةِ العدلِ بين زوجاتِهِ في ما يُمْكِنُ العدلُ فيه، وهذا نظامٌ إنسانيٌ مُشَرِّفٌ لأنه ينقلُ امرأةً لا زوجَ لها إلى مصافِّ الزوجاتِ المصُوناتِ المُحْصَنَاتِ، ولأنه يَفْرِضُ على الزوجِ التزاماتٍ مسئولياتٍ مِنْ دَفْعِ مَهْرٍ، وتأثيثِ مَسْكَنٍ، ونَفَقَةٍ مُناسبةٍ، واعترافٍ بالأولادِ، ومعاملةٍ بالحُسنى وإذا كانَ بعضُ المسلمينَ قد أساءَ استخدامَ رخصةِ التعددِ، فإنَّ العيبَ فيهِ هو لا في الحكمِ الشرعيِّ !

٣) إنشاءُ العلاقةِ بينَ الزوجينِ على أُسسٍ واقعيةٍ، فينبغي أنْ ينظرَ كلُّ طرفٍ إلى الآخرِ على أنَّهُ إنسانٌ مِثْلُهُ فيهِ الخيرُ والشرُّ وليسَ أحَدَهُما فَقَطْ فتقومُ العلاقةُ على أساسِ العَفْوِ والمسامحةِ وغضِّ الطَّرْفِ والصَّبْرِ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (١)

وجاءَ في الحديثِ الصحيحِ عندَ الإمامِ مسلمٍ : " لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن سخط منها خلقاً رضي منها آخر" .

٤) تشريعُ الإسلامِ للطَّلاقِ، عِندَمَا تَسْتَحْكِمُ الخلافاتُ الزوجيَّةُ، وتَسْتَعْصِي على العلاجِ، فيكونُ التسريحُ بإحسانٍ : ﴿ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ (٢) وقدْ كانتْ بعضُ المِلَلِ تَسْتَنْكِرُ هَذَا التشريعَ ثُمَّ أَلْجأَهَا الواقعُ إلى الاعترافِ بهِ، فعادتْ إليه تحتَ ضَغْطِ الْجَماهِيرِ .

خامساً : الواقعيّةُ في مجالِ الاقتصادِ : ومِنْ مَظَاهِرِهَا :

١) إباحةُ التملكِ، بشرطِ أن يكْسِبَ مِنْ حَلالٍ، وأنْ يُنْفِقَ في حَلالٍ، أمَّا الْكَسْبُ الخبيثُ فَقَدْ حَظَرَهُ الإسلامُ الذي جاءَ يُحِلُّ الطيباتِ ويحرمُ الخَبَائِثَ.

================== رمضان (٩) ==================

من الخصائص العامة الإسلامية

الجمع بين الثبات والمرونة

أولاً : مفهومُ الثباتِ والمرونةِ : تنقسمُ أحكامُ الشريعةِ الإسلاميةِ على قِسْمَينِ :

الأول : أحكامٌ ثابتةٌ : وهذهِ لا سبيلَ إلى البحثِ فيها، ولا تَقْبلُ التجدُّدَ أو التطوُّرَ، وَهيَ المسائلُ التي وردتْ فيها نصوصٌ قطعيَّةٌ في ثبوتِها وفي دلالتِها، وبالتَّالي فهيَ لا مجالَ فيها للاجتهادِ، ولا تتغيَّرُ بتغيُّرِ الزمانِ والمكانِ، فقدْ جاءَ عنْ أبي الدَّرْداءِ ﷺ أنَّه قالَ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلالٌ وما حرَّمَ فهو حرامٌ ، وما سكتَ عنه فهو عافيةٌ ، فاقبلوا من اللهِ العافيةَ ، فإنَّ اللهَ لم يَكُنْ نَسيًّا ثُمَّ تلا هذه الآيةَ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

(١) طه : ١٣٢.

(٢) النساء: ١٣٠.

نَسِيًّا ﴾ (1)، وهذا النَّوعُ يُطلَقُ عليه اسمُ: الثوابتُ في الإسلام.

الثاني: احكامٌ قابلةٌ للاجتهادِ والرأيِ والنظرِ، وتشملُ جانبين، الأولُ: ما استَجَدَّ منَ الحوادثِ، ولا نصَّ فيهَا، فالاجتهادُ منْ خلالِ القياسِ والمصالحِ المُرسَلَةِ والاستحسَانِ وغيرِها منَ المصادرِ جائزٌ لاستنباطِ حكمٍ مناسبٍ لَها.

والجانبُ الثاني: الأحكامُ الظنِّيَّةُ مِنْ حيثُ ثُبوتُها أو دلالَتُها، فهيَ قابلَةٌ للاجتهادِ البشريِّ، ويُسَمَّى هذا النوعُ باسمِ: المتغيراتِ، أو الأمورِ القابلةِ للتَّجديدِ والتطوُّرِ.

ثانياً: الأصولُ التي ترتكزُ عليها فكرةُ الثبَاتِ:

١- **ربانيةُ المصدرِ**، فالمجتمعُ ليسَ هوَ واضعَ المنهجِ الإلهيِّ، كي يَخضعَ ذلكَ المنهجُ لهُ، وينحنى لظروفِهِ بلْ هوَ صادرٌ عنِ اللهِ ﷻ، ووظيفةُ الإنسانِ فيهِ التَّلقِّي والاستجابةُ: ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (2) فذلكَ يَقتَضِي وجودَ إطارٍ ثابتٍ يتحركُ المجتمعُ وَفقًا لهُ.

٢- **ثباتُ الفطرةِ**، فلمَّا كانتِ الفطرةُ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (3) لا تختلفُ في جوهرِهَا بينَ عصرٍ وآخرَ وأمَّةٍ وأُخرى، ومَهْمَا تَطوَّرتْ الجزئياتُ والفروعُ، فإنَّ ذلكَ لا يعدو أن يكونَ تَنَوُّعًا في شَقِّ السبيلِ إلى الأمورِ الخمسةِ التي أَناطَ اللهُ بها سلامَةَ الوَضْعِ الإنسانيِّ في الدنيا، وسعادَةِ الأَبَدِ في الآخرةِ، وهيَ: الدينُ والنفسُ والعقلُ والنَّسلُ والمالُ.

٣- **ثباتُ اللغةِ**، فثباتُ الإسلامِ في أصولِهِ العَّامةِ يرتبطُ بثَبَاتِ اللغةِ، حتَّى يُمْكِنَ تثبيتُ المفاهيمِ والمعاني الأصليَّةِ، دونَ أنْ تحدثَ فجوةٌ بينَ الأَصْلِ اللغويِّ المستعمِلِ، ومَا انتهى إليه في صورتِه ومعنَاهِ. لأنَّ الحكمَ يُبْنَى على تَصَوُّرٍ صحيحٍ، فالمعنى الشَّرْعِيُّ للصلاةِ مَثَلاً، لا يمكنُ أن يَتَغَيَّرَ، وكذلكَ الزكاةُ، والحجُّ والصومُ، فهذهِ العباداتُ لها مفهومٌ ثابتٌ لا يتغَيَّرُ بمرورِ الزَّمَنِ.

ثالثاً: مبّررُ وجودِ المرونةِ والتطورِ في التشريعِ الإسلاميِّ:

١- تطوُّرُ الحياةِ وتجَدُّدُها: فالإنسانُ في حالةِ بحثٍ دائمةٍ عَنْ أَسْرارِ الحياةِ، وَعَنِ المجهولِ الذي يتكشَّفُ لهُ رُوَيْداً، وقدْ قالَ ربُّ العزَّةِ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(4). فعلى الإنسانِ ألاَّ يقنعَ بمَا علِمَ، وَأَنْ يعتقدَ أنّ فوقَ علمِهِ عِلْمًا، وأَنْ يَطْلُبَ المزيدَ

(١) مريم: ٦٤، الحديثُ أخرجهُ الحاكمُ ٢/٢٧٥ وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الهيثميُّ في مجمع الزوائد ١/١٧١، وعزاه للبزّار والطبرانيّ في الكبير)

(٢) الأحزاب: ٣٦. (٣) الروم: ٣٠. (٤) الإسراء: ٨٥.

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1]. وقدْ نصَّ القرآنُ الكريمُ على تطورِ الحياةِ وأسرارِ الكونِ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]، وأشارَ - على سبيلِ المثالِ - إلى تطورِ وسائلِ النقلِ بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

٢- عالميةُ الإسلامِ؛ فقدْ جاءَ الإسلامُ لكافةِ الأممِ والشعوبِ، فكانَ لابدَّ أنْ يكونَ قادراً على مواكبةِ حاجاتِ هذهِ الشعوبِ، ومسايراً للحضاراتِ التي تعيشُ في ظلِّها، وتحقيقِ مصالحِها المشروعةِ التي تتطوَّرُ وتتجدَّدُ في كلِّ عصرٍ، وفي كلِّ مصرٍ، وسَنِّ التَّشْريعاتِ المناسبةِ والملائمةِ لكلِّ مجتمعٍ بالاستعانةِ بذوي الخبرةِ العمليَّةِ.

رابعاً: مجالاتُ الثباتِ في التشريعِ الإسلاميِّ:

١) الأصولُ والقواعدُ والمبادئُ العامَّةُ والسننُ الثابتةُ. والنظرياتُ الأساسيةُ.

فالأصولُ تشمُلُ العقائدَ؛ مِنْ مثلِ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، وحقيقةَ أنَّ العقيدةَ الصحيحةَ بأركانِها كلِّها شرطٌ لصحةِ الأعمالِ وقبولِها عندَ اللهِ، وحقيقةَ أنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وحقيقةَ أنَّ الرابطةَ المقبولةَ للتجمعِ البشريِّ هي العقيدةُ لا الأرضُ أو الجنسُ أو اللونُ، فهذهِ بعضُ الأصولِ الثابتةِ التي لا تتغيَّرُ، ولا تزدادُ معَ الأيامِ إلا رسوخاً وتمكُّناً.

وأمَّا القواعدُ العامَّةُ والمبادئُ الكليَّةُ؛ فمنها على سبيلِ المثالِ قاعدةُ العدلِ، فهي قاعدةٌ ثابتةٌ تحكمُ العلاقاتِ في البيتِ والدولةِ والقضاءِ، وكذلكَ قاعدةُ الشورى، يجبُ العملُ بها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ لأنَّ الاستبدادَ يؤدِّي إلى الفسادِ، كمَا هوَ حالُنا في بَلْدَتِنا المنكوبةِ، وكذلكَ قاعدةُ المساواةِ في الحقوقِ والواجباتِ أمامَ القانونِ وفي تطبيقِ الأحكامِ،، الخ.

وأمَّا السننُ الإلهيةُ الثابتةُ؛ فمنها على سبيلِ المثالِ: سُنَّةُ التَّدافُعِ بينَ الحقِّ والباطلِ، كمَا قالَ ربُّ العالمينَ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[4]، فهي سُنَّةٌ ثابتةٌ لا تتغيَّرُ، ففي كلِّ عصرٍ نجدُ أنَّ الحقَّ لَهُ أَهْلُهُ، وأنَّ الباطلَ له حِزْبُهُ، والصراعُ بينهُما مُسْتَعِرٌ، لكنَّ الحقَّ - بإذنِ اللهِ - صائرٌ إلى بقاءٍ وظهورٍ، والباطلَ إلى زوالٍ وضُمورٍ.

وأمَّا النظرياتُ الأساسيَّةُ فمنها مَثلاً أنَّ نظامَ الأسرةِ يَرْتَكِنُ على الزواجِ الشرعيِّ لا السِّفاحِ، وأنَّ القِوامَةَ للرجُلِ في البيتِ، وعلى المعامَلَةِ بينَ الزوجيْنِ بالمعروفِ، وعلى مشروعيِّ الطلاقِ ... إلخ.

---

(١) طه: ١١٤.
(٢) فصلت: ٥٣.
(٣) النحل: ٨
(٤) البقرة: ٢٥١.

وفي النِّظام الاقتصاديِّ نجدُ منَ الثَّوابتِ: حُرْمَةَ الرِّبَا وتحريمَ الكسبِ الخبيثِ ، وفرضيَّة الزَّكَاة ... الخ .

وفي نظام العقوباتِ هُناك أمورٌ لا تتطورُ ، كقتلِ القاتلِ عَمْداً، وقطعِ يَدِ السَّارقِ، فَقَدْ رَفَضَ النبيُّ ﷺ الشفاعةَ في الحدودِ، وقالَ: ((لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا)) [1].

وفي نظامِ الميراثِ : للذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأُنْثَيَيْنِ وعدمُ حرمانِ الأصولِ والفروعِ وأَحَدِ الزَّوْجين منَ الميراثِ مُطْلَقاً .

٢) في مَجَالِ الأمُورِ التَّعَبُّدِيَّةِ والقيمِ الأَخْلاَقِيَّةِ :

فالعبادات في الإسلام لا تتطور في شكلها، كهيئة السجود والركوع، وحقيقة الصوم ووقته، وكيفية الإحرام والطواف، ومقدار الزكاة ... الخ .

والأخلاق الأساسية للمجتمع؛ من صدق ووفاء وعفة وحياء وإيثار وذلك الآداب الاجتماعية كالتسمية على الطعام، وإفشاء السلام، ومنع الخلوة بالأجنبية، كلها فضائل لا يستغني عنها مجتمع كريم.

وبهذا يتضح أن الثبات يمنح البشرية الميزان العدل المستقر الذي يرجع إليه الإنسان في كل ما يعرض له من مشاعر وأفكار وتصورات، وبالتالي يبقى دائماً في دائرة الأمان التي تقيه من التيه والضلال، وهذا الميزان للمجتمع الإسلامي مبادئ ثابتة يتحاكم عليها هو وحكامه على السواء ليفر من الضنك والشقاء الذي وقعت فيه المجتمعات التي انطلقت من عقال المعتقدات والتصورات الأساسية للكون والحياة، وراحت تغير تصوراتها ومرجعيتها، كما تغير أزياءها وفق أهواء بيوت الأزياء ! ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [2].

خامساً : مجالات المرونة والتطور في التشريع الإسلامي :

إن جانب المرونة في التشريع الإسلامي جعله قادراً على التكيف ومواجهة التطور والملاءمة مع كل وضع جديد، بحيث لا يحدث جديد إلا وللإسلام فيه حكم، إما بالنص، وإما بالاجتهاد، وبذا فهو لا يضيق بالوقائع المستجدة وحاجات الناس ومصالحهم .

كما أن إقرار المنهج الإسلامي بفكرة التطور والمرونة، وجمعه بينها وبين الثوابت أفضى إلى أن يقر التناقضات الاجتماعية الموجودة في الحياة، ويعدها كالسالب والموجب أداة للتعاون والتكامل لا للصراع والاقتتال، ويرى أن الحقيقة ذات شقين، فهي تتكامل

(١) متفق عليه.
(٢) الكهف: ١٧.

بالتقائهما: الفرد والجماعة، والمادة والروح، العقل والقلب، فالإسلام يري ضرورة وجود هذه المتقابلات التي توصف بأنها متناقضات ويوافق بينها .

أما الفكر الغربي فقد كان إلى ما قبل عصر النهضة يؤمن بالثبات الذي قال به أرسطو، ثم اتخذ من نظرية دارون التي تقول بالتطور البيولوجي منطلقاً للتغير الاجتماعي الذي نادي به هربرت سبنسر ومدرسته، ثم انتقلت الفلسفة الغربية نقله خطيرة حين أعلن هيجل نظريته في التغير المطلق إلى جوار فكرة التناقض والصراع، وهذه هي الفلسفة المادية التي أصبحت دين المدنية الغربية في العصر الحاضر.

أما المتغيرات في الإسلام فميدانها ما يلي :

١) **الفروع والجزئيات التي تستند إلى دليل ظني**، كالاختلاف في عدد الرضعات التي تثبت بها التحريم، فجعلها بعضهم واحدة وبعضهم خمسا، والاختلاف في الطلقات الثلاث هل تقع لفظ واحد أم لا ؟ فإن نظر الفقيه نفسه يمكن يتغير لتغير اجتهاده من مكان لآخر، استمداداً من قاعد : " لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان " .

٢) **الأساليب والوسائل**، فهدف الأرض يمكن تحقيقه بوسائل شتى، وهذه الوسائل تتطور من عصر إلى عصر، حتى أصبحنا في عصر الأقمار الصناعية التي يمكن أن تكشف عن وجود الكنوز في الأرض، أو المجوهرات في البحر ... الخ .

وحصول الإنسان على الثوابت والأجر له وسائل شتى، فمنها : زيارة المريض، وتفريج الكربات، وطلب العلم .. الخ وكذلك تحقيق وتطبيق قاعدة الشوري فهو ليس مقيداً بصورة معينة، فلا يأس من التجديد بشرط الوصول للشورى فعلاً .

================== رمضـ(١٠)ـان ==================

ذكرى العاشر من رمضان (١٣٩٣ هـ)

حرب العاشر من رمضان علامة فارقة فى تاريخنا الحديث ، وحدث كبير فى سلسلة أحداثنا مع الكيان اليهودى الغاصب يستحق النظر والتأمل ، لاستخلاص الدروس والعبر .

١ـ تحوّلٌ حاسم :

إن أهمية حرب العاشر من رمضان أنها تمثل تحولاً هائلاً فى النظر إلى عدونا الخطير، فبينما كانت المرحلة السابقة على الحرب تمثل مرحلة الطنطنة ، والصوت العالي ، دون تحرّك حقيقى ولو خطوة واحدة للأمام على طريقة (مالى أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا !) ، فإن هذه الحرب تعد بداية جديدة لمرحلة شعارها ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ . ولولا أننا نكصنا عن هذا الشعار وتنكبنا الطريق ، لاختفى الكيان اليهودى من الوجود

٢ـ بين حربين :

نتساءل وأين كانت روح العاشر من رمضان في المعركة التي سبقتها مباشرة، والتي سميت ـ تضليلاً ـ بالنكسة ؟

أقول : إن جميع المعارك التي كسبها اليهود في عدوانهم علينا في السنين الأخيرة لم تكن لبسالة المقاتل اليهودي ، أو لعظمة أسلحته ، بل كانت ـ ونقولها محزونين مقهورين ـ لعربدة الشهوات في صفوفنا إلى حد أن كان الترفيه عن الجنود في المعركة عن طريق الحفلات الغنائية الساهرة، وعن طريق إرسال صور الفنانين والفنانات إلى الميدان لتوزيعها على المحاربين لرفع روحهم المعنوية ! تمامًا كما فعل أبو جهل في بدر (نطعم الطعام ، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان ـ أي المغنيات) !

ووقتها ـ بهذه الخصال ـ لو كنا نقاتل جيشًا من القردة لانهزمنا ، فأنّى لنا النصر ، وبعضهم يأكل بعضًا ، ويتربص به الدوائر ، والكل بعيد عن الإسلام منسلخ من تعاليمه .

(إن أبناءنا المخدوعين دفعوا من لحومهم ودمائهم ثمنا فادحا لمسالك أناس فقدوا الدين والشرف وجعلوا اليهود يقولون في تبجح : إن جيشهم لا يقهر !! أضحوكة نرويها ونحن نهز رأسنا عجبًا ! متى كان لليهود جيشٌ لا يُقهر ؟ ولكن حفنة منا أطاشت الأهواء ألبابها هي التي صنعت هذه الفرية !) [1]

٣ـ الإيمان صاحب النصر : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾  . نعم والله !

لئن كان للنصر من صاحب فهو الإيمان بلا ريب ، فقد انتهز المؤمنون الفرصة ـ بعد غيبوبة الهزيمة ـ وراحوا ينشرون الوعي الإسلامي بين أفئدة الرجال ، فعادت الصلوات ، وارتفع الأذان ، واستيقظ حب الله وطلاب الآخرة ، والغضب العارم للعار القديم ، فإذا هذا الفيضان من الرجال ، وهذا الهدير من طلاب الآخرة ، وهذا العشق للاستشهاد في سبيل الله .

وبدأت المعركة ، وتم عبور القناة ، وأخذوا يتدفقون حول خط بارليف والتكبير يقصف كدوي الرعد ... وتلاشى الخط المنيع المبني من أحدث الاستحكامات ، أمام هذا السيل الذي يضرب باسم الله ، ويسحق ما يعترضه .

لقد قاتل جنودنا بفطرتهم الإسلامية ! وكانت جمهرة الضباط والجنود أهلاً لكسب أعتى المعارك ولا تزال مخايل البطولة والشرف والفداء تتألق في شمائلهم ، وهم يؤدون واجباتهم بسرور ورضا في أحرج المواقف ، لولا المؤامرات العالية التي كانت تريد

(١) انظر هموم داعية للغزالي ص ١١٨.

أن تحافظ على أسطورة (جيش اليهود لا يقهر) .

ومرة أخرى يتألق دور الإيمان فى المعركة ، حيث حدثت (الثغرة الخطيرة) ، وكاد العدو أن يُضيع النصر الكبير كله ، ولكن الحناجر المؤمنة فى مدينة السويس الباسلة انشقّت بالتكبير مرة أخرى وصرخ أهل الفداء يطلبون الشهادة ، ويبذلون أغلى التضحيات ، وتراجع اليهود مذعورين ، وقد أحسوا أن الزبانية سوف تتخطفهم إن تقدموا ، فنكصوا على أعقابهم ، ونجت المدينة المعزولة ، لقد تحوّل المسجد إلى غرفة عمليات جاهزة ، إنه لا يسهر على الدفاع فحسب ، وإنما يرسل بالمؤن إلى الجيش الثالث الذى كان قد خُطط له أن يموت جوعًا وعطشًا .

آه ما أعظم تلك النجدة والبطولة التى قام بأعبائها رجال بحق يتقدمهم إمام مسجد ! والغريب أن صنيعهم الفذ قد أهيل عليه التراب عمدًا !

٤ـ الحرب لم تتوقف : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾

إن أعداءنا من اليهود وأعوانهم لا يزالون في حالة استنفار كامل ، وتهيؤ تام لتدميرنا إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، إن الحرب لم تضع أوزارها إلا فى الظاهر فقط ، أمّا هم : فإن عداوتهم لنا متأججة فى نفوسهم ، تدفعهم إلى العدوان بين الحين والحين ، وإلى محاربتنا فى كل مجال : (اقتصاديًا وثقافيًا وعسكريًا) فمن عجب أن نظن أنهم سيجنحون يومًا إلى الهدوء والسلام ، إن الله (سبحانه) لا يحب المعتدين ، وقد بيّن لنا نهايتهم المرتقبة فى سورة الإسراء ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ أفلا نصدق وعد الله ؟

أفلا نتعلم من أحداث التاريخ ؟ إن سفالتهم لن تزول إلا حينما تعود المعركة من جديد ، ويتصورها الوحيد : حق وباطل ، وإيمان وكفر ، معركة وجود لا صراع حدود !

================= رمضان (١١) ================

رجال صدقوا

١ ـ **هم القدوة الحقة :**

ما أشدّ افتقارنا فى هذا الزمان إلى القدوات ، إلى النماذج العليا ، ونحن نخبط فى بيداء الأرض ، نلتفت يمنة فلا نرى إلاّ المهازيل ، ونلتفت يسرة فلا نرى إلاّ أشباحًا فارقتها روح اليقين ، فما أشد حاجتنا إلى أن نقتدى، وأن نتاسى، وقد صدق ابن مسعود حين قال : " من كان منكم متأسيًا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم ، فإنهم كانوا

على الهدى المستقيم " .

لقد تميز أصحاب محمد ﷺ بأمرين لم يعرفا في تاريخ النبوات الأولى :

الأمر الأول : أنهم نقلوا الوحى السماوى كله فما سقط منه حرف ، ونقلوا السنة كذلك ، وربوا من الأتباع من عمل عملهم ؛ فإذا الإسلام يبقى فى أصوله النظرية مصونًا من كل شائبة ، فتوفرت للرسالة الخاتمة عناصر الخلود .

والأمر الآخر : أن الصحابة رضي الله عنهم ، هم الذين جعلوا عالمية الرسالة حقيقة واقعة ، فإن النبى ﷺ لم يتجاوز حدود جزيرة العرب ، وقد علم الصحابة الكرام أنه ﷺ مبعوث للعالم كله ، فشرعوا ينساحون فى الأرض مبشرين ومنذرين ، ولم يكن الطريق سهلاً غير أن الجيل الذى رباه محمد ﷺ كان صلب المعدن ، شديد البأس ، جمع بين الصرامة والكرامة ، فلم تلن قناته ، ولم يضرع أمام قوى الباطل بل نازلها كلها ، حتى كسر شوكتها وأسقط دولتها .[1]

فهل لنا أن نقتدى بهم فى الأمرين معًا ، فى توريث الدين ، وتربية جيل يحمل الإسلام ، ولا يحمله الإسلام من جهة ، ثم فى حب الدعوة إلى الله ، والجهاد من أجل تبليغها للعالمين من جهة أخرى .

ليت شعرى ! إن الفضل من أطرافه :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاحٌ

٢ - **عدول ثقات ليس فيهم نخالة :**

أخرج مسلمٌ فى صحيحه [٢]((أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَقَالَ لَهُ اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ)) [٣]

نعم والله ، حُق لهذا الصحابى الجليل أن يستنكر : وهل كانت فيهم نخالة ؟

بل صفوة الناس ، وسادات الأمة وخير أجيال المسلمين ، ألم يقل فيهم النبى : ((خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) [٤].

قال مالك بن أنس رضي الله عنه : بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون : (والله لهؤلاء خير من الحواريين) .

---

(١) انظر: علل وأدوية - للشيط الغزالى.
(٢) كتاب الإمارة - حديث رقم ١٣٨٠.
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، حديث رقم ٣٤١١.
(٤) رواه البخارى فى صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - حديث رقم ٣٦٥١ .

وذكر الخطيب البغدادي في الكفاية أن (عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

ويقول ابن حزم : (الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآيات السابقة) .

٣ - الطعن فيهم زندقة :

روى أبو عروة الزبيري قال : " كنا عند مالك بن أنس ، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ فقال مالك : (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية) قال القرطبي رحمه الله تعليقًا على هذا الأثر عن مالك : (قلت : لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله ، فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردّ على الله ربّ العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين) [(١)]

يقول الحافظ أبو زرعة : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما بلغنا ذلك كله عن الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يهدموهم ليبطلوا الكتاب والسنة) [(٢)]. صدق والله أبو زرعة ، فهاهم ملاحدة عصرنا يحاولون هدم الدين عن طريق الطعن في عظمائه السابقين بالفضل ، ولكن هيهات هيهات ، فمهما فرّخت بيضة الكفر فإن الله يصدّ عن أوليائه ، وإلى صاحب كتاب (شدو الربابة بأحوال الصحابة) نقول محاولاتكم

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٩٧/١٦ .
(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠/١ .

مكشوفة وحيلكم معروفة ، فما كانت هفوات بعض الصحابة - وهم بشر ليسوا بمعصومين - لتهدم تاريخ جهاد ودعوة لأطهر جيل ، وصدق القائل :

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ !

البدار البدار

أكثر الناس خبرة بالدنيا ، يعلمون كيف يصلون إلى ما يريدون وإن كان حقيرًا ، وضاع عمرهم فى (أكلوا وأكلنا ، وشربوا وشربنا ، ولبسوا ولبسنا ، وجمعوا وجمعنا) كما قال الكيلانى رحمه الله.

ولذا فلست أدعوهم الآن إلى المسارعة لشيء من هذا ، وإنما أقول كما قال عطاء بن يسار : (دينكم دينكم ، لا أوصيكم بدنياكم ، أنتم عليها حرّاس ، وأنتم بها مستوصون).

الأوامر تطالبك بالإسراع :

الله ينادينا : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ . فهذا هو ميدان السباق الحقيقى ، وقد قال أحد الصالحين : (إن استطعت ألا يسبقك أحدٌ إلى الله فافعل) . والتنافس على هذا مندوب : ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ ، وقد مدح الله أئمة الخير قبلنا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾

إن الناس درجات متفاوتة ، ولكن السابق هو صاحب الفضل الكبير : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أولئك قال الله عنهم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

الأوقات محدودة والأنفاس معدودة :

الإنسان - فى الدنيا - أوقات ولحظات ، وكل يوم يمضى يأخذ قطعة منه دون أن يدرى وصدق الله حين قال : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ، (وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ ، ولذا قال ابن هبيرة شيخ ابن الجوزى :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

وقال أحد الصالحين : (من علامات المقت إضاعة الوقت) .

والجاهل هو الذى يقول : أقتل الوقت ، إذ هو فى الحقيقة يقتل نفسه !

ففى الحديث : ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)).

وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة .

والوقت رأس مالك ، فإن أضعته هباءً ، وبدّدته سدًى ، فستقول - بلا جدوى - مع القائل : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

ولكن هيهات هيهات ، وأمرك كله قد انكشف ، ونفسك لا يخفى منها شيء، وقلبك الذي أصابه الهلع لم يتغير تغيرًا حقيقيًّا ، إنما يريد الفرار وليكن ما يكون ! ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ وقال رجل لعامر بن قيس ، وهو يريد الجمعة : قف حتى أكلمك ، فقال : لولا أنى أبادر لوقفت لك ،

قال : وما تبادر ؟ قال : أبادر خروج روحى !

بادر قبل حلول الفتن :

الشر حولنا كثير ، ولكن الوقت الآن هو خير الأوقات للمبادرة بالخيرات ، فإننا لا نعلم ما يكون فى غدٍ ، ولذا ينصحنا خير ناصح ﷺ : ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). (١)

فأدرك الآن قبل أن لا تستطيع ، وكن مثل هذا ((الرجل الذى قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا قَالَ فِي الْجَنَّةِ فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ)) (٢) إنه لم يُضع الفرصة ، ولم يتركها تفلت ، وقد صنع أبو دجانة صنيعه ((حين أخذ النبى ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا أَنَا قَالَ فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ قَالَ فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ)) (٣)

والفتن المنتظرة رهيبة ، وإن بدت فى أبهى زينة ، سوداء مظلمة ، وإن كانت - أحيانا - مغرية متلألئة .

قال ﷺ : ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ)).(٤) فماذا ننتظر ؟

((مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٦٩. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم . (٤) رواه الترمذى عن أبى هريرة ، وقال حسن ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه .

وصدق الشاعر :

وما المرء إلا راكب ظهر عمره ... على سفر يثنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحى كل يوم وليلة ... بعيدًا عن الدنيا قريبًا من القبر

================= رمضـ (١٢) ـان =================

الرجولة في ضوء الكتاب والسنة

الرجولة كلمة عظيمة . لها إيحاءات كريمة ، تختلف - بلا شك - عن إيحاءات كلمة الذكورة ، وإن شئنا الدقة قلنا : إن الذكورة لبيان النوع والجنس ، والرجولة لبيان الحقيقة والكيف .

أما من ناحية النوع . فقد قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ وأما من ناحية الكيف ، فقال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ ولم يقل (كل المؤمنين) مع أنهم جميعاً ذكور فتنبه !

الرجولة والسن :

عند كثير من اللغويين لا تعدو الرجولة أن تكون مرحلة عمرية يمرُ بها كل إنسان ، فهم يقولون: " لا يُسَمى الإنسان رجلا إلاَّ إذا احتلم وشبّ "[1]

والحقيقة أن السن لا علاقة لها بالرجولة . فربما كان الطفل بصفاته رجلاً ، وكان الرجل - بصفاته - طفلاً صغيراً !

وكم رأينا من أناسٍ تخطوا - بأعمارهم - مرحلة الرجولة التى حددها اللغويون ، بل تخطوا الكهولة إلى الشيخوخة ، ومع ذلك فهم أرجل الرجال بعزائمهم ، كم قال الشاعر :

عمري بروحي لا بعدّ سنيني ... فلأسخرنّ غداً من التسعين
جسمي إلى السبعين يزحف مسرعاً ... والروح ثابتة على العشرين

والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ؛ ولذا فإن أطفال الانتفاضة وفتيانها يضربون للأمة كلها - من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر - أروع الأمثلة في الرجولة على الرغم من حداثة أسنانهم :

إنّ الفتى حمّالُ كلِّ مُلمّةٍ ... ليس الفتى بمُنعّم الشبّانِ

وكيف لا ؟ وهم اليوم أصحاب الملحمة ، ورمز الصمود والمقاومة ، يقدمون صدورهم للموت في شجاعة أذهلت الغافلين ، وجعلت العدو يفرّ من قطاع غزة مدحورًا مقهورا وقد قيل قديماً : الشجاع محبّبٌ حتى إلى عدوّه ، والجبان مُبغّضٌ حتى إلى أمه !

---

(١) بصائر ذوى التمييز ٢/٤١.

الرجولة والجسد :

أضحى معيار الرجولة عند كثير من السطحيين يتمثل في مجموعة من المواصفات الجسدية ، فهي عندهم تعنى القدرة الجنسية أو الفحولة ، والعضلات المفتولة ، والقامة الطويلة ، والشوارب التي أطلقوها خلافاً للسنة لتقف عليها الصقور !

فإن وجد الناس هذه المواصفات قالوا : رجل شديد !

لكن النبي ﷺ ردّ هذا التصور السقيم حين قال : ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)) (١)

وحين هَبت الريح مرّةُ ، وابن مسعود صاعداً شجرةً ، ضحك أصحابه من دقة ساقيه ، لكن النبي ﷺ أعادهم سريعاً إلى المعيار الصحيح حين قال : " والذي نفسي بيده لقدم ابن عبد في الميزان أثقل من جبل أحد "(٢).

وإن تعجب حقاً فمن أولئك الشباب الأغرار ، الذين تعلّموا من بيئاتهم الفاسدة ، أن دخولهم عالم الرجولة مرتبطٌ بالسيجارة والنارجيلة (الشيشة) ، واللقاءات المحرمة مع الخليلة ، حتى ارتفع معدل الجريمة في بلادنا ارتفاعاً مذهلاً ، وبخاصة جرائم الإدمان والبلطجة والمخدرات والجنس في الوقت الذي يظن فيه هذا الجيل المنفلت من الشباب - وبعض الظن إثم - أنهم بهذه الأفعال الشائنة يقدمون أوراق اعتمادهم للمجتمع كرجال يمثلونه .

كما أن كثيرًا من الشباب المتدين ينظر إلى الرجولة نظرة سطحية ، تتعلق بالهدى الظاهر فقط ، بلا اعتبار للجوهر والمضمون . وما هكذا يقاس الرجال أيضًا ؛ فالرجل يقاس بعطائه لدين الله ، وليس بشيء آخر .

الرجولة والنبوة :

درجت عادة الناس على قدم التقدير الواجب للقيم المجردة ، حتى تتجسد في نماذج محددة ، ولذلك أراد الله سبحانه أن تتلبّس شرائط الرجولة ومقوماتها بأعظم النماذج الإنسانية طرًا وهم الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وليس عجيباً أن يتركز مناط القدوة في هؤلاء الصفوة ، فقد قال سبحانه لأعظم البشر : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ، وحين امتثل ﷺ لأمر ربه ، واقتفى أثر الرجولة الكاملة ، لم يكن عجيباً أيضاً أن يصير أنموذج النماذج : ﴿ أَكَانَ

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه ابن حبان بسند صحيح.
(٣) النحل : ٤٣ .

لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١).

وحتى تتحقق الرجولة فينا فقد أمرنا بأن ننهل كأمة من معينها الذي لا ينضب: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ (٢).

وانظر إلى عائشة رضي الله عنها وهي امرأة لما نهلت من نبع الرجولة في بيتها ، كيف قيل عنها : " كانت عائشة رضي الله عنها رجلة الرأي " أي تشبه الرجال في حسن رأيها ، ووفرة حكمتها فمعين الرجولة - إذن - ليس حكراً على الذكور ، بل ربما تصيب بعض النساء منه أكثر من بعض الرجال !

ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

من معالم الرجولة في القرآن :

إذا أردت أن تكوّن في مخليتك صورة متكاملة لمعالم الرجولة فما عليك إلاّ أن تقرأ القرآن الكريم الذي جاء منهج هداية وحبل إنقاذ للبشرية ، وستجد من هذه المعالم:

أ) الطهارة بشقيها المادي والمعنوي : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (٣)

ب) الصدق مع الله : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٤)

جـ) إيثار الآخرة على الدنيا : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٥).

د) القوامة وحسن التوجيه لبيوتهم وذويهم : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (٦)

هـ) الإيجابية : وتتمثل في :

١ - مؤمن يس والسعي لتبليغ دعوة الله ومناصرة الأنبياء : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٧).

---

(١) يونس : ٢ .
(٢) الأحزاب : ٢١.
(٣) التوبة : من الآية ١٠٨ .
(٤) الأحزاب : من الآية ٢٣ .
(٥) النور : ٣٧ .
(٦) النساء : ٣٤.
(٧) يس : ٢١ .

٢ - مؤمن آل فرعون والدفاع عن رمز الدعوة ضد مؤامرات الكفار : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ (١).

٣ - التحرك السريع لدرء الخطر وبذل النصيحة : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ (٢)

من معالم الرجولة في السنة :

وكما ذكر القرآن الكريم كثيرًا من معالم الرجولة ، فقد أضافت السنة بعض تلك المعالم ومنها :

١ - **القيام بالفرائض** : ((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ به شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)) (٣)

٢ - **الصلاح** : ((عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ طَارَتْ إِلَيْه قَالَ فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَرَى عَبْدَ اللَّه رَجُلا صَالِحًا)) (٤) .

٣ - **قيام الليل** : عن سالم عن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبي ﷺ قال : ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللَّه لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ قَالَ سَالِمٌ فَكَانَ عَبْدُاللَّه لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلا)) (٦) .

٤ - **ترك التشبه بالنساء** : فقد جاء في الحديث الذي يرويه أبو داود والترمذي بسند صحيح : ((لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ))

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس ﷺ قال : ((لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّسَاءِ)) والمقصود بالمترجلات : من تسعى إلى التشبه بالرجال في المظهر والهيئة ، أما التي تتشبه بالرجال في تحمل الأعباء الثقال ، والقيام بالواجبات فهي ممدوحة في الشرع وليست مذمومة " .

٥ - **الشجاعة وقول الحق** : فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح : ((لا يَمْنَعَنَّ رَجُلا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُومَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ)) وفي الحديث الصحيح أيضًا : " سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى سلطان جائر فنهاه فقتله "

---

(١) غافر : ٢٨ .
(٢) القصص : ٢٠.
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه
(٥) متفق عليه

الرجولة وعلو الهمة :

الهمة العالية هي السر الخفي وراء وصول مرتبة بعض الناس دون غيرهم إلى مرتبة الرجولة ، فالرجال لا تحملهم الأقدام ، وإنما تحملهم الهمم .

ومن أراد اللحاق بذلك فعليه بقول ابن عيينة : " لا تتمّ الرئاسة للرجال إلاّ بأربع: علم جامع ، وورع تام ، وحلم كامل ، وحسن التدبير ، فإن لم تكن هذه الأربع ؛ فمائدة منصوبة ، وكفٌ مبسوطة ، وبذل مبذول ، وحسنُ المعاشرة مع الناس ، فإن لم تكن هذه الأربع ؛ فبضرب السيف ، وطعن الرمح ، وشجاعة القلب ، وتدبير العساكر ، فإن لم يكن فيه من هذه الخصال شيءٌ فلا يبنغي له أن يطلب الرئاسة "[1] ، فما أحوج الأمة اليوم إلى رجال ، فقد قيل : رجلٌ ذو همّة يحيى الله به أمة .

================== رمضان (١٣) ==================

الاختلاط وموقف الإسلام منه

١- دعاة الاختلاط :

إن إبليس لم يقل لآدم عليه السلام : " كُل من الشجرة يغضب الله منك يطردك من الجنة " ، وإنما قال له : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾[2]

وكذلك شياطين الإنس اليوم لا يقولون للنساء تبرجن كي تعصين الله وتدخلن النار ! ولا يقولون للشباب : اجروا وراء شهواتكم وتمتعوا ، كي تكون النار مثوى لكم ! وإنما يقولون : لماذا لا تخالط المرأة الرجال : أليست واثقة من نفسها ؟ ولماذا لا تشارك المرأة فى رفاهية المجتمع ؟ ويقول أدعياء العلم منهم : إن الاختلاط يمنع الكبت فى المجتمع !

وقد حذرنا النبى ﷺ من أمثال هؤلاء وقال فيهم : ((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)) . وقال فى وصفهم ((هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)).[3] .

٢- ضرورة الاختلاط :

إن الاختلاط ليس مطلوبًا بحال إلاّ لحاجةٍ عارضة أو ضرورة طارئة ، والضرورة تقدر بقدرها ومن أمثلة ضروراته : التمريض والتطبيب والقضاء والبيع والتعليم (بمعنى أن يُدرس الرجل للفتيات والعكس عند الضرورة لعدم وجود مُعلمة للنساء أو العكس).

٣- شروط الاختلاط : أولا : ستر العورة :

فلا يجوز للمرأة أن تظهر على الرجال فى أى محفل إلاّ وهى ساترة لعورتها، ومعلوم أن

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧٦/٦. (٢) طه ١٢٠. (٣) متفق عليه.

عورة المرأة كل بدنها - على خلاف فى الوجه والكفين - قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ولا يجوز للمرأة أن تخرج بأى نوع من الزينة ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وما ظهر هل هو الوجه والكفان أو هو الثياب ؟ خلاف معروف !

أما غير ذلك من التبرج وستر البدن بلباس ضيق وشفاف أو قصير ، فيعرّض المرأة للحرمان من الجنة ، لأن النبى ﷺ قال عن المتبرجات : ((لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّـةَ وَلا يَجِـدْنَ رِيحَهَا)) .[1]

فيحـرم علـى المرأة إذن كـل عمـل يـدعوها للتبـرج وتـرك الاحتشـام ، كعمـل السكرتيرة ، والمضيفة ، والبائعة التى يراد منها أنوثتها لا حسن إدارتها ، والرزق مضمون . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

ثانيا . غض البصر :

قـال تعـالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [2]

ولذا قـال العلمـاء : لا يجـوز للرجـل أن ينظـر إلى امـرأة أجنبيـة ، ولـو كانـت غير مشتهاة سواء أكان النظر بشهوة أم بدون شهوة، بدليل عموم الآية ، وشمول قوله ﷺ : ((اصْرِفْ بَصَرَكَ)) حين سئل عن نظر الفجاءة .[3]

وقد لوى النبى ﷺ عنق الفضل بن العباس ، حين نظر لامـرأة ، وقال : ((رَأَيْـتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا)) [4].

فوائد غض البصر : ذكـر ابـن القيـم فـى كتابـه (الـداء والـدواء) فوائـد جليلـة لغض البصر ، نختار منها :

- غض البصر يؤدى إلى زكاة القلب لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾.
- غض البصر يوجب حلاوة الإيمان ولذته : ((النظرة سهم من سهام إبليس ، ومـن تركها مخافتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه)).
- من أمسك نور بصره عن المحرّمات ، أطلق الله نور بصيرته وقلبه .

ثالثا : عدم الملامسة :

الملامسة والمصافحة بين الرجال والنساء عـادة غربية ذميمـة تحكمت فى حياتنا

---

(1) رواه مسلم . (2) النور ٣٠،٣١ .
(3) رواه مسلم . (4) متفق عليه .

حتى أصبح كثير من الناس ينظرون للذين لا يصافحون الجنس الآخر على أنهم متزمتون أو متكبرون ، أليس لنا في رسول الله أسوة وقد قالت عنه زوجته عائشة رضي الله عنها : ((لا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ)) [1].

وأخرج الطبراني والبيهقي عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال : ((لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له)). قال المنذري في الترغيب : (ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح) والمخيط : آلة الخياطة كالإبرة ، وهذا القول وإن كان لا يكفي لإثبات صحة الحديث لأنه قد يكون فيه علة خفية - إلا أن الحديث متسق مع القواعد العامة للإسلام في سد الذرائع ، وقطع الطريق على المحرمات .

رابعا : عدم الخلوة :

قال ﷺ : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)). [2]

وفي الحديث المتفق عليه : ((لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلاَّ وَمَعَهَا مَحْرَمٌ)) ولذا لا يجوز الدخول على النساء بلا محرم : ((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ)) .

خامسا : عدم الخضوع بالقول :

إذا دعت الحاجة إلى المحادثة بين الرجل والمرأة ، فلا بد أن يكون الكلام طيبًا عفيفًا جادًا في محتواه ، دون تكسر أو ميوعة أو خضوع في القول ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

وقد أمر بذلك أمهات المؤمنين فما بالك بغيرهن !

وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً للمرأة الجادة المستقيمة في قصة موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ وهذه القاعدة الشرعية يجب أن تطبق أيضًا على الاتصالات الهاتفية ، فلقد عمت الشكوى منها .

٤- خطورة الاختلاط :

إن الاختلاط الفاسد بلا ضوابط مدعاة لكل رذيلة ، فهو المسئول عن انتشار الزنى والدعارة ، وتحلل البيوت ، وحدوث الطلاق ، وميوعة الشباب من الجنسين وضياع الحياء وحب المباهاة والمظاهر ، وحدوث كثير من المشكلات الأسرية والتربوية ، وانتشار الزواج السري بأنواعه المستنكرة .

---

(١) رواه البخاري. (٢) رواه أحمد .

إن الاختلاط المفروض على شبابنا في الجامعات والمؤسسات لم يحل في الغرب مشكلة الكبت الجنسي ؛ وإنما زاد الأمر اشتعالاً ، فالزنا منتشر ، ونوادي الفجور قائمة ، والأمراض التناسلية لا حصر لها ، والشهوات لا تهدأ إطلاقاً ، لأن وقودها متوافر في كل مكان ! وصدق الله حين قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

================= رمضان (١٤) ================

التسويف .. إلى متى ؟

(سَوْفَ) مرض عضال استشرى عند أصحاب الهمم الميتة ، حتى جعلهم يكتفون بالأماني والأحلام ويبنون قصوراً على الرمال ، ولذا صدق من قال : ((أكثر عذاب أهل النار من كلمة سَوْفَ)) . وقيل لرجلٍ من عبد القيس : أوصنا ، فقال : احذروا سَوْفَ .

= **نحن والتسويف** :

الغريب في أمر التسويف أن الكثيرين منا قد جعلوه مشجبًا يعلقون عليه تكاسلهم وتقصيرهم واستمراءهم للدعة والنقصان :

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على التمام

فمن قائل : لا زلت صغير السن ، والوقت أمامي ؟ وقائل ! سوف أصلي حينما تتيسر الظروف !

وقائلة : سوف ألتزم ، وأتوب ، وأرتدي الخمار عندما أتزوج !

وكأنهم غفلوا عن الحقيقة الكبرى : الموت ، أو ظنوا أنهم اتخذوا عند الله عهداً بتأخيره ريثما ينتهون من تحقيق الأحلام وبلوغ الأماني !

ولكن الله قد حسم الأمر : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾

ولو يؤخر شغل اليوم عن كسلٍ ... إلى غدٍ إن يوم العاجزين غدُ

= **التسويف والحجج الباطلة** : ما أكثر الحجج الباطلة التي تقال لتبرير التسويف .

١ - **الاعتقاد بأنه سيتفرغ في مستقبل أيامه** :

وهذا ولا شك وهم كاذب ، وسراب خادع ، لأن كل وقت له عمله ، وليس هناك فراغ .

ولما قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وقد بدا عليه التعب من كثرة العمل : أخّر هذا العمل إلى الغد ؛ فقال : (لقد أعياني عمل يوم واحد ، فكيف إذا اجتمع عليَّ عمل يومين) . ومعروف أنه كلما تقدمت السن زادت المسئوليات وضاق الوقت .

٢ - **الاعتقاد بأنه سيعيش إلى غدٍ** :

روى أن أميرًا دعا رجلاً صالحاً إلى طعام ، فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير : أفطر

وصم غدًا . فقال له : وهل تضمن لى أن أعيش إلى غدٍ ؟!

وإن ضمن الإنسان أنه سيعيش إلى غد ؛ فهل يضمن ألا يكون هناك مزيد من الشواغل والعوائق وربما الأمراض التى تمنعه عن فعل ما فاته ؟

= **أقوال السلف فى التسويف :**

اجتهد أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه قبل أن يموت اجتهادًا شديدًا ، فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق ؛ فقال : (إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها ، أخرجت جميع ما عندها ، والذى بقى من أجلى أقل من ذلك) ، ولم يزل على ذلك حتى مات رحمه الله .

وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : (ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر) ، حتى كرّر ذلك ستين مرة ، أسمعه ولا يرانى .

وقال الحسن البصرى رحمه الله :(إياك والتسويف ؛ فإنك بيومك ولست بغدك ؛ فإن يكُن غدٌ لك فكُسْ فيه (يعنى كن كيّسًا) كما كُست اليوم) .

وقال أيضًا : (يابن آدم إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ذهب بعضك) .

= **رمضان فرصتك !**

ها هو رمضان يُقبل ، بنفحاته وبركاته وخيراته ، وقت الطاعة ، وموسوم الخير ، أفلا تغتنم الفرصة ، وتبادر بالتوبة ؟

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين)) [1]

إن الأجواء كلها تدعوك إلى الإنابة ، فأىّ مناخٍ للطاعة تريد بعد ذلك ؟ ألا يكفيك ما فات إسرافًا على نفسك ؟ ألا يكفيك وقوفك وقوافل الخير تسير ؟

ويلٌ لك لو ذهب رمضان وأنت سادرٌ فى تسويفك ، وغارقٌ فى غفلتك .

بادر الفرصة واحذر فوتها   فبلوغ العز فى نيل الفرص

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ((.. وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ..)). [2]

والأمنيات وحدها لا تكفى . فهيّا تحرّك ويا باغى الخير أقبل .

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وسنده جيد.

قم الليل إلاّ قليلا

الصالحون لهم شوق خاص ، وترقب مشبوبٌ لليل ، كيف لا وقد وصفهم الله بقوله ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وقال عن عباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾

إن الصلاة فى جوف الليل لها روح خاصة ، وأجرٌ وفضلٌ يبينه النبى ﷺ بقوله : ((أَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ)) (١).

= **أيقظ أهلك :**

ما أجمل أن يلتحق أهل البيت جميعًا بمدرسة الليل ، وأن يكون للزوجة والولد نصيب من هذه المناجاة ، فأنت راع ومسئول عن رعيتك ، ونبينا ﷺ يوصى الزوجين فيقول : ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)) (٢).

وذلك لأن البيت الذى يتخرّج في مدرسة الليل يؤثر فى الأجيال التى بعده إلى ما شاء الله ، والمتخلف عنها يابس قاس ، ولذا كان صلاح الدين الأيوبى يتفقد رجاله بالليل ، فإن رأى خيمة مظلمة قد نام أهلها قال : (من هنا يبطئ علينا النصر) !

وصدق أحد المخلصين حين قال : (دقائق الليل غالية ، فلا ترخصوها بالغفلة).

= **الليل في رمضان :**

إذا كانت دقائق الليل غالية ، فهى فى ليل رمضان أغلى ، لأن اللحظات فيه كثيرة النفحات ، ولذلك جاء فى الحديث المتفق عليه : ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) .

وقد كان النبى ﷺ يصلى قيام الليل مع بعض أصحابه أيامًا دون أيام مخافة أن تفرض عليهم .

فعن أبى ذر قال : ((عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ ثُمَّ كَانَتْ سَادِسَةٌ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث رقم ١٩٨٣.
(٢) رواه أحمد والثلاثة والحاكم وصححه .

اللَّيْلَة قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ قَالَ ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا بَقِيَ ثُلُثٌ مِنَ الشَّهْرِ أَرْسَلَ إِلَى بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَحَشَدَ النَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلاحُ ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ قَالَ دَاوُدُ قُلْتُ مَا الْفَلاحُ قَالَ السُّحُورُ)) [1]

وانظر معى إلى ما جاء فى الحديث : ((إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة)) ، فلا ينبغى أن ندع شواغل الدنيا تنتصر علينا فى أيام الخير والمجاهدة ، فلا أقل من أن نصلى مع الإمام فى المسجد ليكتب لنا قيام الليلة كلها .

= **أيها المقصر .. لا تتفلّت :**

كلنا ذنوبٌ ، والتقصير يلفنا من بين أيدينا ومن تحت أرجلنا ، فهل نستمر فى هذه الحالة البائسة ؟

إن الذنب لا يغسل إلا بدمع ، وهكذا كان رجال الإسلام كما قال ابن القيم فى وصفه لهم :

يحيون ليلهم بطاعة ربّهم ... بتلاوة ، وتضرّع ، وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطّال
فى الليل رهبان ، وعند جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالى

وما أعظم دموع المنيب فى السحر ، حين يقوم فى وقت الغفلة ، ونزول الرحمة ، ومناجاة الرب : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟

قلت لليل : كم بصدرك سر ... أنبئنى ما أروع الأسرار ؟
قال : ما ضاء فى ظلامى سرٌّ ... كدموع المنيب فى الأسحار

= **احذر الغفلة !**

آه كم أرخصنا الدقائق الغالية بالغفلة ، فترى الواحد منا يتفلّت منها رويدًا رويدًا ، حتى إذا جاء نصف رمضان ، وجدت أكثر الناس قد انفضوا عن القيام ، فثقل المغرم ، ولم يجعل الله لنا من أمرنا يسرا ! إن تعلم الإخلاص ، والشعور بلذة القرب والمناجاة ، وفضح الأمل الدنيوى الكاذب أجلى أعطيات مدرسة الليل:

يا ليل قيامك مدرسة ... فيها القرآن يدرّسنى
معنى الإخلاص فألزمه ... نهجًا بالجنة يجلسنى
ويُبصّرنى كيف الدنيا ... بالأمل الكاذب تغمسنى
مثل الحرباء تلونها ... بالإثم تحاول تطمسنى

(١) رواه الأربعة وسنده صحيح.

فأباعـــــدها وأعانـــــدها   وأراقبهـــــا تتهجســـــني
فأشـــد القلـــب بخالقـــه   والـــذكر الـــدائم يحرســـني

إن الغافلين عن الليل ومدرسته كثيرون ، فاحذر أن تنجرف ، فإن البعير الأجرب يُعدى غيره ، واطلب لنفسك السلامة ـ قبل أن تضيع الفرصة وتقع الندامة ، وهذا منهاجنا الذى لا يميل : (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)

================== رمضـ(١٦)ـان ==================

معاملات جائزة مع غير المسلمين [أهل الكتاب]

١ـ البيع والشراء:

روى البخارى فى كتاب البيوع [1] عن عبد الرحمن بن أبى بكر ﷺ قال : ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً قَالَ لا بَلْ بَيْعٌ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً)).

وثبت أيضًا عنه ﷺ فى مسند أحمد [2] أنه أخذ من يهودى ثلاثين وسقًا من شعير ورهنه درعه ، قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وإذا سافر الرجل إلى دار الحرب ليشترى منها جاز عندنا ، كما دل عليه حديث تجارة أبى بكر ﷺ فى حياة الرسول ﷺ إلى أرض الشام ، وهى حينذاك دار حرب) [3] ، ولكن لا يجوز بيعهم سلاحًا يقاتلون به مسلمًا ، أو عنبًا يتخذونه خمرًا أو ما أشبه ذلك .

أما إذا أدى التعامل التجارى مع المحاربين إلى ضعف اقتصادنا ، فيجب منع التعامل معهم إلا لضرورة ملحة .

٢ـ عيادتهم وتهنئتهم :

روى البخارى فى كتاب الجنائز [4] ((عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِه فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيه وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)).
وليس ذلك مختصًا بما إذا طمع فى إسلامه ، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى. [5]

ويقول الإمام ابن القيم : (أما تهنئتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق) . [6] أما تهنئته بأموره الخاصة ، فلا بأس بذلك.

---

(١) حديث رقم ٢٢١٦ .
(٢) حديث رقم ٣٤٠٩.
(٣) الصراط المستقيم ص ٢٩٩ .
(٤) حديث رقم ١٣٥٦.
(٥) انظر فتح البارى ١١٩/١٠.
(٦) انظر أحكام أهل الذمة ٢٠٥/١.

٣ـ الوقف عليهم أو وقفهم على المسلمين :

يرى الفقهاء جواز وقف غير المسلمين على فقراء المسلمين أو إصلاح الطرق العامة والمصالح العامة أو على أولادهم وأنسالهم وأعقابهم من المسلمين، أما وقف المسلم عليهم : فإنه يصح منه ما وافق حكم الله ورسوله ، فيجوز أن يقف على معين منهم ، أو على أقاربه ، ونحوه .

قال ابن القيم : (وأما الوقف على كنائسهم وبيعهم ومواضع كفرهم ، فلا يصح من كافر ولا مسلم) .[١]

٤ـ الزواج من نسائهم :

جاء في صحيح البخاري كتاب الطلاق [٢] عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية ، قال : (إن الله حرّم المشركات على المؤمنين ، ولا أعلم من الإشراك شيئًا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى ، وهو عبد من عباد الله).

وقد حكى ابن تيمية الإجماع على جواز نكاح المسلم من الكتابية . وأجاب على ما جاء عن ابن عمر بوجوه منها :

١ - أن آية البقرة : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ عامة ، وآية المائدة : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ خاصة ، والخاص يقدم على العام .

٢ . أن يقال : آية المائدة ناسخة لآية البقرة ، لأن المائدة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء ، وهذا الرأى هو ما مال إليه أكثر أهل العلم [٣] غير أن الزواج منهن مشروط بأن تكون محصنة عفيفة لا تتخذ عشيقًا ، وأن يكون الغرض من الزواج إعفاف الطرفين وذلك منطوق قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ .

٥ـ السلام عليهم :

اختلف الفقهاء في حكم ابتداء غير المسلم بالسلام . فمنعه الجمهور ، وأجابوا عن قول الله تعالى في قصة دعوة إبراهيم لأبيه : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ قالوا : المراد بسلامه المسالمة التي هي المشاركة لا التحية .

وجوز بعض الفقهاء تحية الكافر ، قيل لابن عيينة : هل يجوز السلام على الكافر؟ قال : نعم ، قال: الله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ ، وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ وقال

(١) أحكام أهل الذمة ٢٩٩/١. (٢) حديث رقم ٥٢٨٥ .

(٣) انظر دقائق التفسير لابن تيمية ٢٥٢/١ ، والمغني لابن قدامة ١٢٩/٧ .

إبراهيم لأبيه : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾

قال القرطبى [1]: قلت : والأظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة .

وقال النخعىّ : إذا كانت لك حاجة عند يهودى أو نصرانى فابدأ بالسلام .

وقال الطبرى : قد روى عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه فى طريقه قال له علقمة : يا أبا عبد الرحمن : أليس يكره أن تُبدءوا بالسلام ؟ قال : نعم ، ولكن حق الصحبة .

وقال الأوزاعى : إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك ، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك .

قال القرطبى : فبان بهذا أن حديث أبى هريرة : لا تبدءوهم بالسلام إذا كان بغير سبب يدعوكم إلى أن تبدءوهم بالسلام من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق صحبة أو حوار أو سفر [2]

وقال ابن القيم : إن صاحب هذا الوجه - أى جواز ابتدائهم بالسلام - قال : يقال له : السلام عليك .. فقط بدون ذكر الرحمة ، وبلفظ الإفراد [3]

رد السلام :

قال ﷺ : ((إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ)) [4]

والجمهور على وجوب رد السلام عليهم ، وقالت طائفة : لا يجوز ، والحديث يرد عليهم . [5].

================= رمضان (١٧) ================

دروس من بدر

سمّى يوم بدر يوم الفرقان ، لأنه كان فرقانًا بين الحق والباطل ، بين الضعف والقوة ، ويحق لنا أن نقف ونحن فى ذكرى هذا اليوم المشهود الذى قال اللهّ عنه ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾ للنظر ونتدبر ، فما أشبه الليلة بالبارحة !

١- البدريون :

البدريون لقب ارتبط من الناس ، أراد الله لهم الشرف والفخر والسيادة على مر التاريخ ، لما علم فى نفوسهم من حب لله ورسوله ﷺ .

هذا اللقب (بدرى) ناله خمس عشرة وثلاثمائة رجل فقط ، خرجوا ينصرون الله

---

(١) فى تفسيره ١١/١١١.
(٢) تفسير القرطبى ١١/١١٢ .
(٣) زاد المعاد ٢/٤٢٥.
(٤) متفق عليه.
(٥) انظر زاد المعاد ٢/٤٢٥.

ورسوله ﷺ في بدر، وباعوا أنفسهم لله في موطن عصيب، رغم قلة العتاد والأعداد.

لذلك أعطاهم الله بتلك الوقفة عزًّا لا يدانيه عز، وجعل إسهامهم في هذه الغزوة العظيمة مدعاة للتجاوز عما بدر منهم في الماضي، وعما قد يبدر منهم من أخطاء بشرية في المستقبل.

فها هي عائشة رضي الله عنها، تقول لأم مسطح (التي كانت تسبّ ابنها لخوضه في حادثة الإفك): أتسبين رجلاً شهد بدرًا ؟!

وهاهو النبي ﷺ يعفو عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه على الرغم من الخطأ الجسيم الذي ارتكبه يوم الفتح ولكن تاريخ الرجل شفع له، وقال ﷺ: ((لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)).

٢- المعركة يحدد الله زمانها ومكانها:

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾، لقد خرج النبي ﷺ إذن بأمر الله، وبتدبيره وحده سبحانه. أما المؤمنون فلم يخرجوا إلاَّ للعير ولم يخرجوا للنفير وما دار بخلدهم أن الله سيكتب لهم هذا العز الذي لم يتوقعوه: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾.

" والذين كرهوا لقاء قريش، ما كانوا ليهابوا الموت، ولكنهم لم يعرفوا الحكمة في خوض معركة مباغتة دون إتقان ما ينبغي لها من عدد وعدة.[1]".

ولكنهم بعد أن صدرت إليهم الأوامر، اختلفت - على عجل - مشاعر التردد من نفوسهم، وخفوا سريعًا إلى معركة الكرامة والشرف: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

إن موعد المعركة ليس بيد زيد أو عمرو، إن الله من وراء المؤمنين يختار لهم أعظم مما يختارون لأنفسهم !

٣- بين القصور والتقصير..

لقد وقف الله سبحانه وتعالى بجوار أوليائه، وثبتهم وأنزل عليهم النعاس أمنة منه وأيَّدهم بالملائكة الكرام تثبيتًا لقلوبهم ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وتحديد العدد بألف يدل على أن نزول الملائكة كان حقيقة لا ريب فيها، ويبطل ما يدَّعِيهِ بعضهم أن المراد بالملائكة رفع القوة المعنوية !

(١) فقه السيرة للغزالي ص ٢٣٥.

وأين هذا من ذاك ؟!

علم الله سبحانه أن عباده فعلوا ما لديهم ، وأخذوا بالأسباب ، ولكن القصور في الإمكانات بينهم وبين عدوهم لا يزال كبيرًا ، فسدَّ الله سبحانه هذا القصور . ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ وشتان بين القصور والتقصير ، فالله سبحانه يغفر القصور ، ويجبره ويسد الثغرة عن أصحابه الموحدين ، ولكنه لا يرضى بالتقصير والتخاذل والتهاون فى الأخذ بالأسباب ، كيف وهو القائل سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ إن التفريط والتقصير ، وتخاذل الأمة عن جهاد أعدائها اليوم لن يؤدى بها إلاَّ إلى الهوان والذلة ، فلا تتوقع أن ينصرها الله ، وقد خذلت نفسها : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ .

================= رمضان (١٨) =================

أخلاق الشباب المسلم

لا شك أن مجتمعنا مريض ، وأن أمتنا تتقاذفها الأهواء ، وتتجاذبها المغريات ، ولا شك أنها بأمسّ الحاجة إلى من ينتشلها إلى شاطئ الأمان ، ومن يأخذ بيدها إلى سفينة النجاة ، وإن كان لهذه الأمة من أمل إنقاذ ، فإن الشباب أملها ورجاؤها ، وسر نهضتها وبقائها .

والمتأمل فى أحوال شباب الأمة يجد الشباب قد انقسموا فريقين :

فريق الشباب المؤمن الملتزم بدينه (ولكنه يحتاج إلى بعض التوجيه والإرشاد) وفريق الشباب الغافل عن دينه ، الذى استعبدته الشهوات ، وجرفته عن الطريق المستقيم.

ولكل من الفريقين نوجه الحديث ، ونسدى النصح (بما يناسبه ويتلاءم مع أحواله)

أولاً : أخلاق يحتاجها شباب الصحوة :

١ - الثبات على المبدأ :

ما أكثر العوائق الصادة عن دين الله ، والفتن الصارفة عن الجادة . فتارة تثار الشبهات المشككة ، وتارة تعرض المغريات الفاتنة ، وتارة تقع الابتلاءات المزلزلة .

والشاب الصادق هو الذى يعرف أن رضا الله غايته : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١) ، وأن الطريق إلى الجنة ليس مفروشًا بالورود : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

---

(١) البقرة : ٢٠٧.

وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(1) وأن الثابتين على الحق هم صفوة المؤمنين : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾

فليحذر المسلم أن يبدل وأن يغير فقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو : ((يَا عَبْدَاللَّه لا تَكُنْ مِثْلَ فُلان كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْل)) (2).

فما بالك بمن يترك طريق الدعوة كلية ! إنه يلقى بنفسه إلى التهلكة كما قال الله ﷻ فيمن قعدوا عن الجهاد : ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾.

٢ - **الأخوة الصادقة** : إن من أعظم الأمور التى تعين الشاب المسلم على السير فى طريق الدعوة أن يجد من يعينه على طريق الحق ، ومن يبصره إن أخطأ ، ويكون معه كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. وكما قال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

فلا بد من الحب فى الله بين جميع العاملين فى حقل الدعوة ، والشعور بالولاء والتناصر بينهم : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾.

وليحذر الشاب المسلم من الطعن فى إخوانه العاملين لدين الله ، من أجل أنه يخالفهم فى فكرة ، أو فى فتوى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ .

وليعلم أن أعداء الإسلام يترصدونهم جميعًا ـ لا طائفة بعينها ـ فلا ينبغى أن نعطيهم الفرصة بل نتعاون معهم لتبليغ الدعوة . ولصد المؤامرات والفتن عن الأمة : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾

٣ - **التواضع وخفض الجناح** : آفة كثير من الشباب الملتزم اليوم أنه يترفع على الناس بدينه . ويستعلى عليهم بإيمانه وكأنه ينظر إليهم من عل ! مع أنهم مسلمون مثله ، وقد قال ﷺ : ((بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)). (3)

والتواضع الحقيقى هو ألا يظن الإنسان أنه خير من أحد ! ولذا قال الله تعالى فى وصف الصحابة : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4)، وقال تعالى : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (5) وأمر نبيه ﷺ بهذا : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (6)

---

(1) البقرة : ٢١٤. (2) متفق عليه . (3) رواه مسلم والترمذى وقال حسن صحيح .
(4) المائدة ٥٤. (5) الفتح ٢٩. (6) الحجر ٨٨.

وقد قال تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ والناس اليوم يحتاجون من يذكرهم بالله برفق وشفقة وأخوة ، لا بترفع واستعلاء ، والجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ! وليس الطريق لمن سبق وإنما لمن صدق !

أما الشباب الغافل فنحذره من هذه الأمور السيئة ، والأخلاق الفاسدة :

١ - **التشبه بغير المسلمين** : وهو آفة استشرت بين الشباب المتغرب والمنسلخ عن دينه ، فقد جاء فى الحديث : ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))،[1] وبخاصة فى الزى والثياب : لما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (رأى على ﷺ ثوبين معصفرين ، فقال : إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسنهما) .

٢ - **التخنث ، ولبس ثياب الشهرة** : فقد أخرج البخارى وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه : ((لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّسَاءِ)) ، وقد جاء فى الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قدم معاوية رضي الله عنه المدينة ، فخطبنا ، وأخرج كبّة من الشعر (الشعر المستعار أو الباروكة). فقال : ما كنت أرى أحدًا يفعله إلا اليهود...).

وفى الحديث : ((مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ))[2]. ولتحذر الفتاة المسلمة من هذا التبرج المنتشر بين بنات الأسر الغافلة عن دين الله فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[3] والمتبرجات : ((لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا))[4] .

والتبرج معناه شرعًا أن تكشف المرأة ما أمرت بستره من جسدها .

٣ - **التدخين والمخدرات** : فى الحديث الشريف ((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ))[5]. والمفتر : ما يورث الفتور والخدر فى الأطراف ، ولذلك فحرمة المخدرات بأنواعها ثابتة بالنص لا بالقياس ، وأما التدخين ، فهو قتل بطىء للنفس بلا ريب ، ولذلك أفتى العلماء المحققون بحرمته ، وقد طالب فضيلة المفتى أن تكتب على كل علبة سجائر عبارة (التدخين حرام شرعًا)[6].

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود . (٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه
(٣) النور ٣١ (٤) رواه مسلم (٥) أخرجه أحمد وأبو داود
(٦) راجع فتاوى معاصرة ج (١ من ص ٦٥٤ ـ ٦٦٩ ، وفقه السنة المجلد الثاني من ص ٣٢٧ ـ ٣٣٥)

حول شروط الحجاب

الحجاب فريضة شرعية - بلا خلاف بين المسلمين - واجبة الاتباع ، كسائر أوامر الله (سبحانه وتعالى) ، لما فيها من فوائد عظيمة ، وقد حصر فقهاء المسلمين الشروط الواجب توافرها في الحجاب ثمانية شروط هى :

١- استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى :

وذلك لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[١]

قال ابن جرير - بعد أن حكى الخلاف فى ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ . وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : " عنى بذلك الوجه والكفين "[٢]

وأيًّا ما كان الأمر ، فلا يصح لمسلمة أن تكشف من جسدها شيئا إلا الوجه والكفين ، فإن غطّت المرأة وجهها وكفيها فحسن ، ولا ينبغى التعصب لرأى واحد فى المسائل الخلافية كلها ، فإن المختلف فيه لا أمر فيه ولا نهى فيه كما قال ابن القيم وكلا المرأتين على خير وهدى : المختمرة والمنتقبة معًا ! (وانظر كتاب تحرير المرأة فى عصر الرسالة لعبد الحليم أبى شقة)

٢- ألا يكون زينة فى نفسه :

لعموم قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ فإنه يشمل الثياب الظاهرة إذا كانت مزينة تلفت أنظار الرجل إليها ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾

والتبرج : (أن تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجل) والمقصود من الأمر بالجلباب إنما هو ستر زينة المرأة ، فلا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة .[٣]

٣- أن يكون صفيقًا لا يشف :

لأن الستر لا يتحقق إلا به ، وأما الشفاف فيزيد المرأة فتنة وزينة ، وجاء فى الحديث : ((سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات، على رءوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات))[٤] . وزاد فى حديث آخر : ((لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ

---

(١) النور ٣١
(٢) تفسير الطبرى ١٨/٨٤
(٣) انظر حجاب المرأة المسلمة للألبانى - المكتب الإسلامى ص ٥٥ .
(٤) أخرجه الطبرانى فى الصغير بسند صحيح.

رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)) (١) .

نقل السيوطى فى شرح هذا الحديث قول ابن عبد البر : أراد ﷺ النساء اللواتى يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذى يصف ولا يستر ، فهن كاسيات بالاسم عاريات فى الحقيقة . (٢)

٤ـ أن يكون فضفاضًا غير ضيق :

لا يصح للمرأة أن تلبس جلبابًا ضيقًا يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره فى أعين الرجال ، فإن ذلك من الفتنة وعدم الحياء ، وقد انتشرت هذه البلوى فى زماننا هذا انتشارًا كبيرًا تقليدًا لنساء الكفار ، فأصبح كثير من المسلمات لا يتحرجن من الثياب الضيقة التى تصف النهود والخصور والسوق وغير ذلك ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : ((الحياء والإيمان قرنا جميعًا . فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)) (٣)

وأما الدليل على هذا الشرط فحديث أسامة بن زيد : ((كَسَانِي رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً مِمَّا أَهْدَاهَا لَهُ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ قُلْتُ كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي فَقَالَ مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلالَةً فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا)) (٤) فقول النبى ﷺ : ((فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا)) يدل على تحريم الثياب التى تصف بدن المرأة .

٥ـ ألاّ يكون مطيبًا معطرًا :

فقد وردت أحاديث كثيرة تنهى النساء عن التطيب إذا خرجن من بيوتهن ، ومنها :

١ - ((إِذَا خَرَجَتْ إِحْدَاكُنَّ إِلَى الْمَسْجِد فَلا تَقْرَبَنَّ طِيبًا)) (٥)

٢ - ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ)) (٦) .

وقد ذكر الهيثمى فى (الزواجر) (٧) أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة من الكبائر ولو أذن لها زوجها ، ولا شك أن تعطر المرأة محظور لما فيه من تحريك دواعى الشهوة .

٦ـ ألا يشبه لباس الرجل :

وذلك لما ورد فى لعن المرأة التى تتشبه بالرجل فى اللباس أو غيره ، ومنها :

١ - ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ)) (٨)

٢ - ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ)). وقد أورد الذهبى تشبه المرأة بالرجال فى الكبائر .

---

(١) رواه مسلم.
(٢) تنوير الحوالك ٣/١٠٣.
(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى والألبانى.
(٤) أخرجه الإمام أحمد والبيهقى بسند حسن .
(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه
(٦) رواه النسائى وغيره بسند صحيح
(٧) الزواجر ٢/٣٧ .
(٨) رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى والألبانى ، انظر حجاب المرأة السلمة ٦٦
(٩) رواه البخارى.

٧ـ ألا يشبه لباس الكافرات :

فقد نهانا الله تعالى أن نتشبه بالكفار، فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ وجاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها : ((عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلا تَلْبَسْهَا)) [1]

وحديث : ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)) [2] . قال الصنعاني في سبل السلام : (والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم ، أو الكفار أو المبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة)

٨ـ ألا يكون لباس شهرة :

وذلك لحديث : ((مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَلْهَبَ فِيهِ نَارًا)) [3] وقال الشوكاني: (رجال إسناده ثقات)

وثوب الشهرة : كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس سواء كان نفيسًا يلبسه تفاخرًا بالدنيا وزينتها أو خسيسًا يلبسه إظهارًا للزهد والرياء .

================= رمضان (٢٠) رمضان =================

فتح مكة والأمل المنشود

لا يملك الإنسان سوى أن يندهش من قوة الحق ، حين يراه - بعد غياب طويل - يعود ليتبوأ مكانته في الدنيا ، ويزهق أنفاس الباطل : وما حدث في غزوة الفتح خير مثال على ذلك . وصدق الله حين قال : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ . لقد جاء الفتح الأعظم الذي دخل الناس به في دين الله أفواجًا ، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجًا. بعد طول ترقب وانتظار .

علو الباطل مؤقت :

من كان يظن أن هؤلاء النفر القليل الذين أُخرجوا من ديارهم ، وتركوا الأهل والوطن ، فقراء إلاَّ من القناعة ، وجياعًا إلاَّ من الإيمان ، سوف يعودون مرة أخرى يحملون رايات الشرف والفخار ، ظافرين منتصرين ، بينما يترقب المعتدون الذين أخرجوهم ـ كيف سيقابلون إساءتهم وظلمهم ؟ .

إنها سنة الله في الأرض أن الصولة والدولة للحق في النهاية ، وأن علو الباطل مهما طال مؤقت وطارئ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

(١) رواه مسلم
(٢) رواه أحمد بسند حسن
(٣) رواه أبو داود وابن ماجه

إن الباطل ليعلو حينًا حتى ليخيل إلى الرائى أنه أوشك أنه يطاول نجـــوم السماء ، وأن أوتاده فى الأرض ضاربة بجذورها فى أعمق الأعماق . وأن علوه فى الأرض حقيقة كونية لا ريب فيها ! لكن العناية الإلهية ـ من وراء ستار ـ تأبى أن يستمر هذا الخلل وأن يدوم هذا الاعوجاج .

إن الحق النائم سرعان ما يقيض الله له رجالاً يحملونه ويذودون عنه ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ وإذا الباطل الذى كان منتفشًا قد تصاغر وكأنه هرٌ صغير ، وإذا جذوره الراسخة فيما نرى ، قد استحالت خيوطًا كخيوط العنكبوت : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

اين حمزة ؟ أين سمية ؟

لو تفرَّست في وجه الجنود الزاحفين إلى مكة يوم الفتح فلن ترى فيهم مصعبًا، ولا حمزة ولا سُمَيَّة ، ولن ترى فيمن كبّوا الأصنام على وجوهها وسوّوها بالرغام كثيرا من المجاهدين الأسبقين ، الذين وافتهم المنية إبان المعركة الطويلة بين الإيمان والكفر . إن جزاء هؤلاء مكفولٌ عند ربهم لا ينقص منه شيء . فالموت والحياة بيد الله .

وصدق الإمام البنا حين قال : " يكفينا أن نضع لبنة فى صرح المجد . وليس علينا أن نتم البناء . فلكل أجل كتاب " .

"إنه ليس من الضرورى أن يشهد كل جندى النتائج الأخيرة للكفاح بين الحق والباطل ، فقد يخترمه الأجل فى المراحل الأولى منه ، وقد يصرع فى هزيمة عارضة كما وقع لسيد الشهداء (حمزة) ومن معه " [1] .

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾

ليس مهمًّا إذًا أن يتحقق النصر على أيدينا ، أو على أيدى أبنائنا ، إنما المهم أن نعمل له ، وأن نعيش من أجله .

================= رمضان (٢١) =================

فضل العشر الأواخر

هاهى الأيام تأبى أن تصبر قليلاً ، ريثما نشبع من نفحات رمضان ، وهاهى ليالى العشر أقبلت ، تذكرنا بأن رمضان يلملم أثوابه للرحيل . فليحاول المقصرون إدراك ما فات :

---

(١) فقه السيرة للشيط محمد الغزالى ـ ص٤٠٧ .

تنصف الشهر والهفاه وانهدما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرًا ... مثلى فيا ويحه يا عظم ما حُرما
من فاته البذر فى وقت البدار فما ... تراه يحصد إلاّ الهم والندما !

فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)) . وفى رواية لمسلم ((كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيره)) . ولنقف مع ألفاظ الحديث ، علنا ندرك شيئًا من هذا الهدى النبوى العظيم .

شدَّ مئزره :

ورد فى تفسيره أنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان ، وفى حديث أنس : ((وطوى فراشه واعتزل النساء)) وقد قالت طائفة من السلف فى تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ : إنه طلب ليلة القدر . قال ابن رجب[1] : " والمعنى فى ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء فى ليالى رمضان إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر ؛ لئلا يشتغل المسلمون فى طول ليالى الشهر بالاستمتاع المباح ، فيفوتهم طلب ليلة القدر ، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل ، خصوصًا فى الليالى المرجو فيها ليلة القدر".

ومن هنا كان النبى ﷺ يصيب من أهله فى العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ، ويتفرغ لطلب ليلة القدر فى العشر الأواخر . وشد المئزر كناية معروفة عند العرب كما قال الشاعر :

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهارِ

أحيا ليله :

المراد هنا أحيا ليله كله ، لأنه كان يقوم الليل دائما فى رمضان وغير رمضان ، لكنه فى رمضان كان يكثر من الاجتهاد ، حتى يصل إلى ذروة ذلك فى العشر الأواخر ، إذ كان يعتكف ﷺ ، فى هذه العشر التى كان يطلب فيها ليلة القدر ، قطعًا لأشغاله ، وتفريغًا لباله ، وتخليًا لمناجاة ربه ، وذكره ، ودعائه .

أيقظ أهله :

وقد جاء فى حديث حسن : ((كان النبى ﷺ يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان ، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة)) . قال الهيثمى : إسناد أبى يعلى حسن .[2]

(١) وظائف رمضان ٢٧
(٢) انظر مجمع الزوائد [١٧٤/٣]

وقد صحّ فى الحديث الذى رواه البخارى[1] ((أن النبى ﷺ كان يطرق فاطمة وعليًّا ليلاً، فيقول لهما " ألا تقومان فتصليان ")) .

ولذا قال سفيان الثورى : أحب إلى إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ، ويجتهد فيه ، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك .

وكانت امرأة حبيب أبى محمد تقول له بالليل " قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا " .

السلف فى العشر الأواخر :

كان السلف يعدون الليالى عدًا لانتظار ليالى العشر فى كل عام ، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم ، وخدموا محبوبهم ، ولا غرو فهى الليالى التى يرتجى فيها ليلة القدر.

قال ابن جرير الطبرى : كانوا يحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالى العشر الأواخر وكان النخعىّ يغتسل فى العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب فى الليالى التى تكون أرجى لليلة القدر .

وقال حماد بن سلمة . كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوح والدخنة فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر .

قال ابن رجب : " فتبين بهذا أنه يستحب فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والتطيب واللباس الحسن، كما يشرع ذلك فى الجمع والأعياد"[2] .

أما من ناحية الاجتهاد فى العبادة فيها ، فحدث ولا حرج ! ويكفى القدوة والأسوة ﷺ .

ويكفى أن نقرأ عن اجتهاد السلف رضي الله عنهم الذين كانوا يسابقون الزمن ، ويخافون أن تمر تلك الأيام تباعًا ثم يندموا على التفريط حين لا ينفع الندم ، ويطلبوا الاستدراك فى وقت العدم :

أتترك من تحب ولنت جارٌ ... وتطلبهم وقد بعد المزارُ

وتبكى بعد نأيهم اشتياقًا ... وتسأل فى المنازل أين ساروا

تركت سؤالهم وهمُ حضورٌ ... وترجو أن تخبرك الديَارُ

فنفسك لُم ولا تلم المطايا ... ومت كمدًا فليس لك اعتذارُ

فنسأل الله أن يرزقنا فى هذه الأيام العمل ، وأن يبلغنا فيها الأمل ، إنه المستعان وعليه التكلان .

---

(1) البخاري ٣/١٠ .

(2) انظر مختصر وظائف رمضان ص ٢٩

سمات التغيير الإسلامي المنشود

بعث نبينا ﷺ إلى الناس ، والعالم يومئذ فى جاهلية جهلاء ، وظلمات بعضها فوق بعض ؛ فكانت البعثة تعنى التغيير ، إذ نزل القرآن الكريم لينقل الناس من حالة إلى حالة ، ومن حياة إلى حياة ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)

ولقد عادت البشرية اليوم إلى كثير من مظاهر الجاهلية ، مما يستوجب التغيير قبل أن يتسع الخرق على الراقع !

التغيير مسئولية من ؟

غلب على ظن كثير من الناس ـ وبخاصة المتدينون ـ أن التغيير مهمة أناس بأعيانهم هم الأمراء والعلماء . بل كثير من الناس ينتظر (المنقذ) الذى سيقلب حياة الناس رأسًا على عقب ، والحقيقة القرآنية تقرر عكس هذا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ والغرباء : (هم الذين يصلحون ما أفسد الناس) .

فالتغيير مسئولية كل مسلم : ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ)) (٢) ، وهو ينطلق من النفس وتأديبها ، ثم البيت : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ثم الأقربين : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ثم بقية الناس الأقرب فالأقرب حتى نصل إلى المجتمع المسلم ، فالخلافة وأستاذية العالم ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ .

سمات التغيير الإسلامي :

١ ـ عميق لا سطحى :

التغيير الحقيقى هو تغيير الإنسان من أعماقه ، وهو يبدأ بإصلاح المضغة التى إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب !

وإصلاح هذه النفس إنما يتم بالإيمان الصادق والتزكية المستمرة : ﴿ قد قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أما إذا شبّت النفس على فسادها ، فلا يُغنى عنها تغيير القوانين ، ولا تعديل الأنظمة ! لذلك فالتغيير يجب ألا يتم قسرًا أو جبرًا ، لأنه أمر دين ، فلا يقوم إلا بإرادة واختيار.

(١) المائدة ١٥ (٢) رواه مسلم

٢ - جذرى لا فوقى:

التغيير الجذرى ذو مدخل شعبى وآخر مؤسسى ، أما المدخل الشعبى فنعنى به أن البداية تكون من أفراد المجتمع (أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم على أرضكم) من القاعدة للقمة وليس العكس .

وأما المدخل المؤسسى ، فهو العمل على إيجاد قناعة وعقيدة لدى وحدات المجتمع بضرورة العودة للإسلام ، حتى تحل مشكلات الأمة المستعصية ، وذلك عن طريق الاندماج فى هذه المؤسسات لا الانعزال عنها لنكسب تأييدها ، ونستفيد من فاعليتها ، التغيير الجذرى ينطلق من داخل هذه المؤسسات وبها ، وليس على أنقاضها ، إذ حراسة الإسلام تحتاج لجهود المؤسسات الخاصة والعامة الموجودة في المجتمع : فكل على ثغر من ثغور الإسلام !

٣ - متدرج لا فورى :

التدرج سنة إلهية يجب أن تراعى فى سياسة الدعوة عندما يراد تطبيق نظام الإسلام فى الحياة اليوم . إذ ينبغى ألا نتصوّر أن ذلك سيتم بجرة قلم ! فهو عكس منطق الأشياء ومخالف لسيرة النبى الأسوة المعصوم .

لقد بدأت رسالة الإسلام بتثبيت العقيدة والصبر على استفزازات الجاهلية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] ثم إيجاد مجتمع مترابط متحد بعد الهجرة عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الذين كانوا : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2]

ثم جاء الإذن باستعمال قوة الساعد والسلاح فى النهاية : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[3]

إن هذا المنهج سنة إلهية واجبة الاتباع كلما تشابهت الظروف ، إذ لا ينبغى أن نستدرج إلى حماس زائف قبل الإعداد والتكوين :

وهتفت ليست وحدة الرشاش تجدى يا خليل
أرأيت كيف ارتدّ رشاش الزميل إلى الزميل !
بل وحدة الفكر القويم ووحدة الهدف الأثيل
وبناء جيل مؤمن وهو الصواعق والفتيل

(١) النساء ٧٧ (٢) الحشر ٩ (٣) الحج ٣٩

على أنه ينبغى ألا يفهم أن التدرج يعنى مجرّد التسويف ، وتأجيل التنفيذ مع إمكانه ، إنما يعنى مراعاة الحال كما جاء فى الحديث : ((لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة ، وبنيتها على قواعد إبراهيم)) [1]

ثم يتبع ذلك (تحديد الأهداف) بدقة وبصيرة ، و (تحديد الوسائل) الموصلة إليها بعلم وتخطيط ، و (تحديد المراحل) اللازمة للوصول إلى الأهداف بوعى وصدق .

والتدرج الذى نعنيه أيضًا تدرج فى (التنفيذ) وليس تدرجًا فى (التشريع) ، فإن التشريع قد تم والدين قد كمل والوحى قد انقطع . ولنا فى عمر بن عبد العزيز أسوة راشدة حين قال لابنه الغيور المتحمس للقضاء على المظالم دفعة واحدة : (لا تعجل يا بنى فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين ، وحرمها فى الثالثة ، وإنى أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة ، فيدعوه جملة ويكون من ذا فتنة) [2]

٤ ـ عالمى لا قطرى :

إن الإسلام لم ينزل ليستقر فى قطر دون قطر ، بل نزل لكل الأماكن والبلدان فهو عالمى بطبعه ، تحددت ملامحه منذ فجر الدعوة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [3]

لذلك كان التغيير الذى ننشده عالميًا لا تحدّه الأقطار ولا تحاصره التخوم ، ولهذا نريد (أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية ، ولهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ، ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة ، يسهل ابتلاعها على الغاصبين ، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها ، فكل شبر أرض فيه مسلم يقول ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وطننا الكبير، الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض ، ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حينًا من الدهر ، ودوّى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل ، ليقل القاصرون الجبناء : إن هذا خيال عريق ، ووهم استولى على هؤلاء الناس ، ذلك هو الضعف الذى لا نعرفه ، ولا يعرفه الإسلام ، ذلك هو الوهن الذى قذف فى قلوب هذه الأمة ، فمكن لأعدائها فيها ، وذلك هو خراب القلب من الإيمان ، وهو علة سقوط المسلمين) وصدق الشاعر حين قال :

ولست أبغى سوى الإسلام لى وطنا — الشام فيه ووادى النيل سيّانِ
وحيثما ذكر اسم الله فى بلد — عددت أرجاءه من لُبِّ أوطانى

(١) رواه البخارى (٢) الموافقات للشاطبى ٢/٩٤ (٣) سبأ ٢٨.

٥ ـ مستمر لا وقتى :

ولأن التغيير الذى ننشده (متدرج) ، فلابد أن يكون (مستمرًا) لا وقتيًا ولا مهتزًّا ؛ لأن الدعوة لن تصل ـ فى يوم من الأيام ـ إلى مرحلة الكفاية ! إلى المرحلة التى تقول فيها: وصلنا إلى الإصلاح الشامل الكامل ، وذلك لأن النفس تحتاج إلى تزكية وتربية مستمرة لا تهدأ ولا تتوقف ، ولأن الأجيال الجديدة تحتاج إلى من يشمّر لها لتعليمها وتهذيبها ، ولأن المستجدات فى حياة الأمة لن تنتهى إلاّ بانتهاء الحياة نفسها ! فلنعبأ طاقات الأمة إذن لرحلة تغييرية طويلة المدى .

صحيح أن العمل فى وقت الشدّة يختلف عنه فى وقت الرخاء ، وصحيح أن مرحلة الدعوة تختلف عن مرحلة الدولة ، ولكن لكل وقت مسئولياته وأعباؤه الضخام ، والله المستعان وعليه التكلان .

٦. نقود الأمة إليه ولا ننوب عنها فيه (١) :

إن للتغيير طلائع مؤمنة من العلماء والدعاة المخلصين ، ولكن التغيير يقع على عاتق الأمة كلها ، وما هؤلاء إلا مجرد قادة يدلون الناس عليه ، ويدفعونهم إليه ، إن المعركة لا يقاتل فيها القائد وحده ، بل ربما لا يقاتل أصلاً ، إن دوره ينحصر فى التخطيط والتوجيه ، أما الذين يخوضون المعارك فهم أفراد الجيش كله ، ولذلك صدق مالك رضي الله عنه حين قال : (بلغنا أن العلماء يُسألون عما يسأل عنه الأنبياء!)

================= رمضـ(٢٣)ـان =================

سد ضرورات المسلمين

جاء الإسلام العظيم ليحقق الكفاية لكل مسلم مما يحتاج ، لأن المسلم له حرمة ومكانة فى هذا الكون لا تدانيها مكانة أخرى . فمن حق كل مسلم أن يعيش فى هذا الكون غير مهدّد فى رزقه وحياته .

١ ـ المسلمون جسد واحد :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وقال ﷺ : ((المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله)) (٢) ، وقال ((مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَد إِذَا اشْتَكَى منْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائرُ الْجَسَد بالسَّهَر وَالْحُمَّى)) (٣). وقال ((الْمُسْلمُ أَخُو الْمُسْلم لا يَظْلمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقرُهُ)) (٤) ، وقال ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً منْ كُرَب الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَب يَوْم الْقيَامَة)) (٥)

هذه الرابطة العظيمة التى تربط بين المسلمين جميعًا لها تبعاتها وتكاليفها ، إذ

---

(١) راجع كتاب (رياض الجنة) لجاسم عبد الرحمن ، ١٢/ ١٢٤ ، ففيه كلام طيب حول هذه الأفكار ، حاولنا تعميقه .

(٢) رواه مسلم (٣) متفق عليه (٤) متفق عليه. (٥) رواه مسلم

لابد أن يكون المسلمـــون كالبنيان المرصوص ، يشعر بعضهم ببعض ، ويعين بعضهم بعضًا على نوائب الدهر ، وليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم . ومن ترك مسلمًا يجوع ويعرى ، وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد خذله .

٢ ـ **الكفاية التامة لكل مسلم :**

إذا لم يكن للإنسان دخل يكفيه ، كان على أقاربه الموسرين أن يحملوه لأنه جزءٌ منهم وهم جزء منه ، قال تعالى ﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

وإن لم يكن له أقارب موسرون ـ أو تخاذل عنه هؤلاء : وجبت كفايته من الزكاة التى فرضها الله على المسلمين ، تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم ، والزكاة هى الحق الواجب فى المال ، متى قامت بحاجة الفقراء ، وسدّت خلة المعوزين . فإذا لم تكف الزكاة ، ولم تفِ بحاجة المحتاجين ، وجب فى المال حق آخر سوى الزكاة : فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذى يقوم بكفاية الفقراء .

وقد تعرّض الفقهاء فى كتبهم لحق الفقير فى مال الدولة ، ففى بدائع الصنائع للكاسانى[1] : (وأما النوع الرابع ـ أى من مصارف بيت المال ـ فيصرف إلى دواء الفقراء والمرضى وعلاجهم ، وإلى أكفان الموتى الذين لا مال لهم وإلى نفقة اللقيط وعقل جنايته ، وإلي نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له من تجب عليه نفقته ، ونحو ذلك) .

وذكر الفقهاء أن الكفاية لا تجب للفقير فقط ، بل له ولمن يعول من أهل وأقربين، وقالوا : (إن الحد الأدنى المطلوب للفقير فى المجتمع الإسلامى ، ليس هو حد الكفاف ، ولا حد الكفاية ، بل تمام الكفاية ، ولقد ذكر الفقهاء أن كتب العلم من تمام الكفاية، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية ، بل اعتبروا الزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية ، والمطلوب : تمام الكفاية له ولأسرته لمدة سنة كاملة)[2] .

وقد صحّ عن عمر قوله : (إذا أعطيتم فأغنوا) ، وقوله : (والله لأكررن عليهم الصدقة ولو راح على أحدهم مائة من الإبل)[3] .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه (الأموال)[4] عن الليث بن سعد : أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى ولاته : أن اقضوا عن الغارمين ، فكتب إليه : إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث . فكتب عمر : (إنه لا بد للمرء المسلم من مسكن يسكنه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه، ومن أن يكون له الأثاث فى

(١) بدائع الصنائع ٩٦/٢
(٢) انظر الخصائص العامة للإسلام للقرضاوى ص ٨٠
(٣) انظر فقه الزكاة ٥٦٤/٢ .
(٤) الأموال ص ٥٥٦

بيته . نعم فاقضوا عنه ، فإنه غــــارم) آه يابن عبد العــزيز ، بل نطلب سـد الضرورات فقط !

وجاء فى كتاب الخراج ليحيى بن آدم[1] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (أما والله لئن عشت لأرامل أهل العراق لأدعنّهم لا يفتقرن لأمير بعدى) الله الله يا عمر ، فمن لأرامل المسلمين اليوم ؟

سد ضرورات المسلمين أحب الأعمال إلى الله :

جاء عن عمر - بسند صحيح - : (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء، فقسمتها على فقراء المهاجرين).

ولا شك أن سد ضرورات المسلمين ، وقضاء حوائج المحتاجين ، فرض كفاية على الأمة المسلمة كلها، فقد اتفق العلماء : (على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة ، بعد أداء الزكاة ، فإنه يجب صرف المال إليها)[2] وما أكثر ضرورات المسلمين اليوم !

ولذا فإنه من الخطأ إذن اشتغال الناس بالسنن والتطوعات من الصلاة والصيام والحج عن الفرائض كما نجد عند كثير من المتدينين الذين اعتادوا الحج والعمرة كل عام ، من كل الأقطار ، حتى إن أكثر من سبعين فى المائة من الحجاج كل عام ممن حجوا من قبل ، بينما المسلمون فى بلدانهم يتعرضون لخطر الغزو التنصيرى ولا يجدون مدرسة للتعليم ، ودارًا للرعاية ، ولا مركزًا للدعوة ، بل إن كثيرًا من المسلمين فى العالم يتعرضون لخطر الإبادة الجماعية ، وهم فى حاجة إلى أية معونةٍ من إخوانهم ، لإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وإيواء المشرد ، وكفالة اليتيم . (فلو فقهوا دينهم وعرفوا شيئا من فقه الأولويات لقدموا إنقاذ إخوانهم المسلمين على استمتاعهم الروحى بالحج والعمرة)[3] .

ولا شك أن الفريضة مقدمة على السنن ، وأن إنقاذ المسلم من محنته من أحب الأعمال إلى الله ، كما جاء فى الحديث العجيب المبهر : " أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل : سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضى عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحبّ إلى من أن أعتكف فى المسجد شهرًا))[4]. قال الشاعر :

لعمــرك مــا ضــاقت بــلاد بأهلهــا ... ولكـــن أخـــلاق الرجـــال تضـــيق

---

(١) الخراج ص ٧٦

(٢) فقه السنة ٣٥٢/١ ٧٩

(٣) انظر فقه الأولويات للقرضاوى ص ١٣٨

(٤) رواه الطبرانى وغيره، وحسن فى صحيح الجامع الصغير

قضية القدس .. رؤية إسلامية

القدسُ نشيدنا ونشيجنا ، وأملنا وألمنا ، زهرة المدائن ، وعبق التاريخ ، ومهد الحضارات وموطن النبوات ماذا يراد بها ولها ؟

هل ستحل مفاوضات الوضع النهائى مشكلتها ؟! وهل ستعود إلى أهلها ؟! إنها أسئلة تقلق بال الصادقين ، وتقض مضاجع المؤمنين ، وهم فى الإجابة عنها جد مختلفون ، فمنهم من استبد به اليأس القاتل إلى حد اعتقاده أن مجرد الحديث عنها أصبح غير ذى فائدة ، ومنهم من جنح به الأمل الذى يشبه الخدر اللذيذ ، فظن أنها ستعود كما كانت إسلامية وعربية عن طريق مفاوضات الوضع النهائى!

ويهمنا أن نطرح أسئلة أربعة تمثل الإجابة عنها مدخلاً مناسبًا للحديث عن هذه القضية من وجهة نظر إسلامية ، لا تتبنى اليأس ، ولا تتوكأ على الخيال والسراب .

وأولها : **لماذا هذا الولع والاهتمام الكبير بالقدس وقضيتها؟**

وأقول : لأنها بالنسبة للمسلمين جزء من عقيدتهم ، وركن من ثوابتهم ، فقد وصفها القرآن العظيم بأنها مقدسة: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾(1) ، ووصفها بأنها مباركة ﴿ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾(2) ﴿ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾(3)، ويكفى أن بها المسجد الأقصى ! " ثانى مسجد بنى فى الأرض "(4)، إذ وضع آدم عليه السلام قواعده بعد المسجد الحرام بأربعين عامًا ، وجددها سليمان عليه السلام بعد أن اندرست عبر القرون المتطاولة . وهو القبلة التى صلى إليها المسلمون ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا(5)، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها(6) ، وهو المكان المبارك الذى وطئته قدما رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، واختاره رب العزة ليجمع فيه الأنبياء ليؤمهم حبيبه ﷺ (7) ، والصلاة فيه على الراجح بألف صلاة ، ((مَيْمُونَةَ مَوْلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّه أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ أَرْضُ الْمَنْشَرِ وَالْمَحْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيه فَإِنَّ صَلَاةً فِيه كَأَلْف صَلَاة فِيمَا سِوَاهُ قَالَتْ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يُطِقْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْــه أَوْ يَأْتِيَهُ قَالَ فَلْيُهْدِ إِلَيْه زَيْتًا يُسْرَجُ فِيه فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى لَهُ كَانَ كَمَنْ صَلَّى فِيه)) (8)

وفى الحديث: ((إن الدجال يطوف بالأرض إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة ، ومسجد

---

(1) المائدة ٢١ — (2) الإسراء : ١ — (3) الأنبياء : ٧١
(4) متفق عليه — (5) فتح البارى ١١٨/١ — (6) متفق عليه
(7) رواه مسلم وأحمد
(8) رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له بسند رجاله ثقات ، انظر سنن ابن ماجه ٤٥١/١

مكة، والأقصى، والطور)) (1) ، فكيف لا نهتم بالقدس إلى حد العشق ؟ ونسعى إلى تحريرها إلى حد الموت ، وكتب الفقه تقرر : "شبر من أرض المسلمين ديس بالمشرق وجب على أهل المغرب تحريره". وهذا خاص بكل أرض ، فما بالك بالقدس ؟!

أما السؤال الثانى فهو : من العدو الذى نواجهه فى هذه القضية؟

وأقول : ليته كان عدوًا واحدًا ، إذًا لهان الخطب وسهل الأمر ، ولكنهم أعداء كثر مجتمعون:

تفـــرّق شـــملهم إلا علينـــا … فصـــرنا كالفريســـة للكـــلاب

شـــيوعيون جـــذر مـــن يهـــود … صـــليبيون فـــى لـــؤم الـــذئاب

هذا بالإضافة إلى أناس من بنى جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .. جعلوا همهم الأكبر تخذيل المسلمين عن الجهاد ، وتثبيط عزائمهم عن المقاومة يقولون كما قال أساتذتهم من قبل : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ (2)

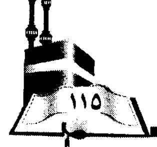
اجتمع هؤلاء وأولئك وأسفرت جهودهم عن قيام كيان لأحفاد القردة والخنازير ، اعترفت به روسيا الملحدة بعد ثماني دقائق من إعلانه ، وأمريكا بعد نصف ساعة ! ولا يزالون إلى هذه اللحظة يقفون من وراء يهود ، ويقدمون لهم الدعم المادى والمعنوى ، وصدق الله العظيم حين قال : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ﴾(3) . ولسنا بحاجة إلى التأكيد على خيانات اليهود ، ونقضهم للعهود ، فهذا أمر معروف ، وسلوك مألوف حدثنا عنه الله تعالى ، وقد عرفناه بأنفسنا وجربناه ، ولعل الآية التى تنطبق كل الانطباق على أوضاعهم المعاصرة ، قوله تعالى ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ (4).

وكلمة " أو كلما " بإيحاءاتها وظلالها تفيد كثرة نقض العهود وتجدده واستمراره ! بينما تشير كلمة "فريق"، إلى لعبة : الصقور والحمائم ، ففريق يعاهد ، وفريق ينقض ، ويظن السذج أن الأوائل مسالمون طيبون وأن الآخرين متشددون كارهون للسلام ، بينما الجميع - صقور وحمائم ، وعمل وليكود - متفقون على ثوابت محددة .

ويأتى السؤال الثالث بدهيًا ليفرض نفسه : وما مستقبل هذه القضية من وجهة النظر الإسلامية ؟

وأقول: اليأس فى ديننا قرين الكفر ، أو هو الكفر بعينه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾.

(1) رواه الإمام أحمد.
(2) آل عمران ١٦٧
(3) البقرة ٢١٧
(4) البقرة : ١٠٠



وقد حدثنا الله عن إفسادتين كبيرتين لليهود فى الأرض راجع الآيات من ٤ :٨ من سورة الإسراء ، الراجح أن الأولى حدثت بالفعل إما فى زمن بختنصر أو فى عهد رسول الله ﷺ ، وهو ما نقويه لأسباب تفسيرية ولغوية كثيرة ، أما الإفسادة الثانية ، فهى التى بدتْ معالمها ، واتضحت مقدماتها فى زماننا هذا ، وستنتهى إنْ شَاءَ اللهُ تعالى بهزيمتهم وكسر علوهم فى الأرض ، ودخول المسجد الأقصى ثانية كما دخله المسلمون أول مرة فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب (وقد رجح هذا الرأى كثير من المعاصرين منهم الشيخ / سعيد حوى فى تفسيره القيم " الأساس" ، والشيخ عبد المعز عبد الستار فى (واقترب الوعد الحق يا إسرائيل) والشيخ الشعراوى فى تسجيلاته الإذاعية لسورة الإسراء) وإلى هذا يشير الحديث الشريف : ((لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحـق ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة وهم على ذلك)) وفى رواية : ((قيل يا رسول الله وأين هم ؟ قال : يقاتلون على أسوار بيت المقدس)) [1].

فالإشارة هنا واضحة ، وهى أن الطائفة الظاهرة على الحق . فى كل مكان تجعل القدس فى لب اهتماماتها وميدان جهادها ، وأنها ستتجمع يومًا ـ قريبًا بإذن الله ـ فى القدس لجهاد اليهود ، فيا لها من معجزة نبوية !

كما أن لنا جولة أخرى مع اليهود ، أشار القرآن إليها بقوله المعجز ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [2] ، ولكنها ستكون قرب الساعة حينما يتجمع سبعون ألفًا من اليهود تحت قيادة الدجال يحاولون دخول المسجد الأقصى ، فيقتلهم المسلمون وعندها ـ على الراجح لدينا ـ ينطق الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله ورائى يهودى تعال فاقتله" [3].

أى أننا ننتظر معركتين مع اليهود ، أولاهما قريبة ، والثانية قرب الساعة .

فإن قال قائل : ولكن كيف والشواهد الواقعية لا تدل على ذلك ؟ فأقول : وهل كانت الشواهد تدل على سقوط الاتحاد السوفيتى ؟ وهل كنت تتوقع أن تخرج إلى الوجود هذه الجمهوريات الإسلامية من رحم هذا العملاق الراحل ؟

إن النظرة الإيمانية تختلف عن النظرة المادية ، فالمسلم يؤمن أن الأيام دول ، وأن الأمور تجرى بإرادة الله وحده ، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، اقرأ قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [4]

(١) رواه أحمد وصححه الألبانى فى الصحيحة
(٢) الإسراء : ٨
(٣) متفق عليه.
(٤) الحشر : ٢

وهـو القائل سبحـانه ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (١) .

ويبقى السؤال الرابع والأهم : ما واجبنا نحو هذه القضية؟

وأقول : المسلم دائمًا له دور فى صناعة الأحداث ، وليس سلبيًا((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً)) (٢) ، ولذا فيجب على المسلم فى هذا الزمان أمور منها :

١. استشعار الهم ، وحمل عبء القضية ، لأنها قضية كل مسلم ، وذلك عن طريق الحديث عنها ، ونشر الموقف الصحيح منها ، لأن التحرك لا يأتى إلا بعد الفهم) .

٢ - إعداد النفس إيمانيًا وبدنيًا للتضحية ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ وليكن كل منّا كما قال الشاعر :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى — عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

٣. الدعوة إلى الله ﷻ ، والعمل لتربية جيل النصر المنشود ، الذى يحرر المقدسات ، ويطهر الأقصى الأسير من رجس اليهود (على الأقل كما فعل اليهود ، إذ كان أطفالهم يقول بعضهم لبعض : إلى اللقاء فى القدس !) .

٤ - رفض التطبيع بكل قوة ، وإحباط محاولاته الخائنة ، ومقاطعة العدو ومنتجاته الاقتصادية وقيمه الدخيلة ، وعدم الذهاب للأرض المحتلة ، فقد قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٣)

٥ - بث روح الأمل والتفاؤل ، فاليهود ـ بفضل الله ـ فشلوا فى إقامة دولتهم الكبرى ، لأن الأمة المسلمة لا تزال تلفظهم ، وترفض التعاون معهم على المستوى الشعبى ، فلنسهم فى نشر هذه الروح ، ولنعمل على استمرارها .

٦. تمنى الشهادة فى سبيل الله ، فقد جاء فى الحديث : ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) (٤).

---

(١) آل عمران ١٩٦-١٩٧.
(٢) حديث رواه الترمذى عن حذيفة مرفوعا وسنده حسن .
(٣) الممتحنة : ١.
(٤) رواه مسلم.

الثقافة الشرعية للمسلم

إن أول ما يلزم الفرد المسلم من عدة فكرية أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول ، باسقة الفروع ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

ونعنى بالثقافة الإسلامية :

الثقافة التى مصدرها ومحورها الإسلام : أصوله وعلومه المتعلقة به والمنبثقة عنه، وهذا أمر منطقى، فإن المسلم من أولى مهامه التربية ، فلابد أن يعرف : ما الإسلام الذى يربى نفسه عليه ، ويدعو الناس إليه ولهذا كان لا بد من أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ، بعيدا عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين.

أولاً : مع القرآن :

القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام ، وبالتالى للثقافة الإسلامية ، ولذا فيجب على المسلم الذى يريد أن يكون نموذجًا وداعية أن يقوم ببعض الأمور منها :

(١) أن يحفظ من القرآن قدر ما يستطيع ، ليكون قادرًا على استحضاره والاستشهاد به فى كل مناسبة ممكنة ، وليصلى به لنفسه أو إمامًا لغيره ، فالقرآن ذخيرة لا تنفد .

(٢) أن يحسن تلاوة القرآن بإتقان ، وأن يدرس من أحكام التجويد ما يصحح به قراءته .

(٣) دوام التلاوة لكتاب الله (للحافظ ولغير الحافظ) ، بخشوع وتدبر ، فيكون له ورد يومى لا يقل عن جزء .

(٤) أن يتعرف على خصائص القرآن الخمسة : (١ـ كلام الله ٢ـ الإعجاز ٣ـ التيسير ٤ـ الخلود ٥ـ الشمول) وأن يفهمها ويهضمها ليسهل عليه نقلها ، والدعوة إليها.

(٥) الحذر من أن يفسر بهواه ، أو أن يقول على الله بغير علم ، ولذا فلابد من الرجوع لكتب التفسير المعتمدة ، كابن كثير من القدامى ، وفى ظلال القرآن لـ (سيد قطب) من المعاصرين .

(٦) الاهتمام بلباب التفسير ، والإعراض عن الإسرائيليات ، والحذر من الروايات الموضوعة والضعيفة (كقصة داود ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ ، وقصة سليمان فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ ﴾ ، وقصة الغرانيق ، وتفسير الهجر فى قوله تعالى : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾

(٧) حسن الاستدلال بالآيات القرآنية فى موضعها تمامًا ، فكثير من الناس يستدلون على أن من ثمار التقوى أن يعلمه الله ما لم يكن يعلم ، وذلك بقول الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ والآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرًا وجوابه ، فيلزم الاستدلال بآيات أخر .

(٨) العناية بالنماذج القرآنية ، مثل : نموذج الشاب المتعفف عن الحرام (يوسف) ، ونموذج الشاب الممتثل للأمر وإن كان فيه تقديم عنقه قربانا له (إسماعيل) ، ونموذج الابن المؤمن وأبوه الكافر (إبراهيم) ، وعكس ذلك (نوح) ..... إلخ .

ثانيًا ـ مع السنة النبوية :

(أ) الاهتمام بالسيرة النبوية :

السيرة هى الناحية العلمية من سنته ﷺ ، ففيها نجد الإسلام مجسمًا فى حياة بشر ، ونجد القرآن حيًّا مشخصًا يسعى على قدمين .

فكل المبادئ والقيم التى جاء بها الإسلام تتجلى فى حياته ﷺ . ولذا فيحسن بالمسلم أن يذكر فى حديثه نماذج عملية من أخلاقه ﷺ مع أهله ، فقد كان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ... إلخ . ويجلس مع أصحابه كواحد منهم ، حتى يأتى الغريب فلا يعرفه من بينهم ، ولا يميز نفسه عنهم لا فى سفر ولا فى حضر فلا أقل من أن يكون لدينا كتاب واحد في السيرة ، ولعل من النافع اليوم أن يقتنى المسلم إلى جانب ذلك كتابًا فى فقه السيرة لاستخلاص العبر والدروس المعاصرة من أحداث السيرة مثل كتاب (فقه السيرة) للبوطى أو الغزالى ، أو المنهج الحركى لمنير الغضبان) .

(ب) الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية :

حذر علماء السنة من رواية الحديث الموضوع ، إلا مع التنبيه عليه ، ليحذر سامعه أو قارئه ، وذلك لحديث : ((من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)) [(١)]

وقد تخصص لهذه الأحاديث من علماء الأمة من كشف عوارها ، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ! فقال : تعيش لها الجهابذة .

أما الأحاديث الضعيفة فقد تسللت إلى كثير من كتب التفسير والرقائق والفقه بل قل أن تجد اليوم محدثًا فى الإذاعة أو خطيبًا فى مسجد ، أو مدرسًا فى مدرسة يفلت من شرك الاستشهاد بالأحاديث المردودة.

كيف تتسرب الأحاديث الضعيفة إلى الدعاة؟

إنما تتسرب هذه الأحاديث إلى الدعاة ، لاعتمادهم على كتب لا تعنى بانتقاء الأحاديث التى توردها وربما لا تعزوها مجرد عزو إلى من خرجها ، مع أن هذا العزو ـ لو

(١) رواه مسلم.

حصل - لا يكفى لاشتمال معظم الكتب على الصحيح والضعيف ! ولذا فلابد من الاعتماد على الكتب المخرجة علميًا ، أو سؤال أهل العلم ما أمكن .

ثالثا ـ مع العقيدة :

نعنى بدراسة علم العقيدة معرفة الله ﷻ وتوحيده توحيدًا خالصًا من الشوائب، والنبوة، والحياة الأخرى ، والقدر . ولابد ونحن ندرس العقيدة من الحذر من أمور معينة منها :

١ - الإغراق فى مباحث علم الكلام ، إذ يجب توفير الجهد الذهنى الذى يبذل فى هضم هذه المباحث لما هو أجدى وقد هاجم السلف علم الكلام وأهله وشددوا الحملة عليه.

٢ - صرف الهمة إلى مشكلات تاريخية فى العقيدة، مثل : خلق القرآن، أو الصفات وعلاقتها بالذات ، فلا ننفق الجهد والوقت فيها على حساب ما نحن فى حاجة إليه فعلاً لمواجهة معضلات زماننا ، مثل الردّ على شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم ردًا علميًا فكريًا بلسان العصر .

ويجب أن نعتقد فى الله ﷻ اعتقاد السلف الصالح وأن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسول الله ﷺ من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل .

ويلزم لذلك دراسة أحد الكتب التالية : عقيدة المسلم للغزالي أو العقائد الإسلامية لسيد قطب . أو شرح العقيدة الطحاوية ، أو الإيمان لمحمد نعيم ياسين أو حقيقة التوحيد للقرضاوى .

رابعًا : مع الفقه :

لا بد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية ، بحيث يعرف أهم الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات ، وذلك ليعمل هو بمقتضاها أولاً ، ثم ليمكن تصحيح ما يقابله من أخطاء ، وتقويم ما يواجهه من انحرافات فى ضوء الأحكام الشرعية - بعلم وفقه ، لا بمجرد غضب وعاطفة .

❖ وعليه أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة ، فلا فقه بلا دليل ، والدليل يكسو الحكم أو الفتوى نورًا وجمالاً .

❖ وليحذر من المبالغة فى تعليل العبادات بأمر غير جامع (بمعنى أنه لا ينطبق على كل الحالات) ، ولا مانع (بمعنى أنه ينطبق على غير العلل مما لم يأخذ حكمه) .

ومثال ذلك : تعليل تحريم الخنزير بأنه يأكل القاذورات ، فقد يقول قائل :

هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية ، أو تعليل تحريم الخنازير بأن فى بطونها ديدان خطيرة ، فذلك ينطبق على الأبقار أيضًا .... إلخ .

ومثل ذلك القول بأن الربا حرام ، لأنه استغلال لحاجة الفقراء لمصلحة الأغنياء ، فهذا التعليل إنما ينطبق على صورة معينة وتكاد تنقرض اليوم ، بل يكاد الذين يستقرضون الآن من المصارف هم الأغنياء وكبار التجار الذين يريدون أن يوسعوا تجارتهم ، أو يزيدوا من ثرواتهم .

وهو الأمر الذى جعل بعض الفقهاء يجترئون على القول بأن الفوائد فى عصرنا ليست حرامًا !

وفى النهاية فلو أخذ المسلم الداعية بهذه العلوم الشرعية واستفاد منها لأصبح على (بيِّنة من ربِّه)، وتكون دعوته على بصيرة والله يقول الحق وهو يهدى السبيل [1] .

================= رمضـ(٢٦)ـان =================

ليلة القـــدر

فضلها :

ليلة القدر عند المؤمنين ليلة الحظوة والرفعة والتكريم ، إنها الليلة ذات القدر العظيم ، والفضل العميق، والثواب الجزيل إليها تهفو النفوس ، وتتطلع القلوب .

★ **فهى فى الفضل ليست كألف ليلة . بل هى خير من ألف شهر :** ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾

وفى موطأ الإمام مالك ـ بسند مرسل ـ [2]: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أُرِيَ أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّته أَنْ لا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمْرِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)) .

وقد حسب بعض أهل العلم ألف شهر فوجدوها تزيد على ثلاثة وثمانين سنة .

★ **وهى الليلة التى نزل فيها القران الكريم :** ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ .

فقد أطبق السلف على أن القرآن الكريم فُصِل من اللوح المحفوظ ، وأنزل إلى بيت

---

(١) ولمزيد من التفصيلات راجع : ثقافة الداعية للدكتور يوسف القرضاوى وثقافة الداعية للدكتور عبدالله ناصح علوان .

(٢) الموطأ ٣٢١/١ .

العزة فى سماء الدنيا ليلة القدر من رمضان ، ثم كان ينزل على الرسول ﷺ منجما بحسب الوقائع بعد ذلك .

* وهى الليلة التى يُفرق فيها كُلُّ أمْرٍ حكيم : قال تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ قال النووى : "وسميت ليلة القدر لما فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التى تكون فى تلك السنة، كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وقيل : سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها ".

* وهى الليلة التى تنزل فيها الملائكة إلى الأرض : ففى الحديث عن أبى هريرة مرفوعًا : ((إِنَّ الْمَلائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى))[1] وفى حكمة نزول الملائكة تلك الليلة إلى الأرض يقول ابن رجب : "إذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض ، لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة فى ليالى رمضان ، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح ، فيقول الرب تعالى أنتم طعنتم فى بنى آدم ، وقلتم ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ فقلت لكم ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ اذهبوا إليهم فى هذه الليلة ، حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين ، لتعلموا أنى اخترتهم على علم على العالمين "[2] .

وقال الخليل بن أحمد : إنما سميت ليلة القدر، لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فى تلك الليلة ، من (القدر) وهو التضييق ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ أى : ضيق عليه رزقه .

تحرّيها:

لا شك أن ليلة القدر فى رمضان ، ولذا فإن من شمّر واجتهد فيه كله لن يُحرم خيرها ، ولن يفوته أجرها ، وهو السعيد حقًا ، والفائز صدقًا .

غير أن التماسها يشتد فى العشر الأواخر ، لما جاء فى الحديث : ((الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ))[3] وهى فى وتر الأواخر إذن أرجى وأحرى ، فقد جاء فى صحيح البخارى[4] ((عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ)) .

(١) رواه احمد والبزار والطبرانى] فى الأوسط ورجاله ثقات ـ مجمع الزوائد [٣/١٧٦] .
(٢) انظر مختصر وظائف رمضان ص ٣١-٣٢
(٣) متفق عليه
(٤) صحيح البخاري رقم ١٩١٩

وفى الصحيحين ((عَن ابْن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رِجَالا مِنْ أَصْحَاب النَّبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)) .

وفى صحيح مسلم[1] عنه أن النبى ﷺ قال ((التمسوها فى العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى)) .

وأما الجمهور ، فيذهب إلى أنها ليلة السابع والعشرين ، فقد جاء ذلك فى حديث مرفوع فى مسند أحمد وسنن أبى داود[2] ، حتى إن أُبيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه حَلَفَ لا يَسْتَثْنِي أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ)) [3] .

وكثير من الناس يُغرق نفسه فى استنباطات عجيبة، وحسابات غريبة، لا تلزمنا، إذ لا دليل عليها . وقد قال عنها ابن عطية : هذا من مُلح التفسير لا من متين العلم ، وهو كما قال ، ولا نشغل الناس بذكرها هنا .

وأقول : وكونها ليلة سبع وعشرين أمر راجح ، لكنه ليس يقينيًا، وغالب، ولكنه ليس دائمًا، فإن قيل إن مما يرجح أنها ليلة السابع والعشرين ما ورد أنه ﷺ " أريها فى تلك الليلة ، وأرى صبيحتها أنه يسجد فى ماء وطين " قلت : لكن يُعكّر عليه أنه ﷺ قد جاء عنه فى الحديث المتفق عليه عن أبى سعيد " أنه سجد صبيحة إحدى وعشرين فى ماء وطين" .

العمل فيها :

جاء فى الحديث المتفق عليه، عن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) . فانظر رعاك الله إلى ليلةٍ واحدة تغفر فيها ذنوب الإنسان كلها كيف يكون شأنه فيها ؟ فالمبادرة المبادرة ، فعسى أن نستدرك ما فات من ضياع العمر، واعلم أن المعوّل فى القبول على الإخلاص لا مجرد الاجتهاد، والاعتبار ببر القلوب لا بعمل الأبدان. " ورب قائم حظه من قيامه السهر " .

قال الشعبى : ليلة القدر ليلها كنهارها وقال الشافعى فى القديم : أستحب أن يكون اجتهاده فى نهارها كاجتهاده فى ليلها " وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد فى جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره .

وقالت عائشة رضي الله عنها للنبى ﷺ ((أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو قَالَ تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)) [4]

وقال سفيان الثورى : "الدعاء فى تلك الليلة أحب إلى من الصلاة " .

---

(١) فى صحيح مسلم ٥٩١٨
(٢) فى مسند أحمد رقم ١٣٨٦
(٣) رواه مسلم رقم ٧٦٢
(٤) رواه الترمذى وغيره وصححه النووى.

لماذا هذا الدعاء ؟

قد يقول قائل ولماذا طلب العفو فى ليلة القدر بعد الاجتهاد فيها فى الأعمال ؟

يجيب العلامة ابن رجب : " لأن العارفين يجتهدون فى الأعمال ، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مالاً ، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنبين المقصرين. قال يحيى بن معاذ : ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله العفو من الله ".

وهذا تأويل الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾

وكان مطرف يقول فى دعائه : اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا

إن كنت لا أصلح للقُرب فشأنكم العفو عن للذنبِ

علاماتها:

١ - فى صحيح مسلم عن أبى بن كعب مرفوعًا ((وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لا شُعَاعَ لَهَا)) [١] .

٢. وعن ابن عباس، عند ابن خزيمة [٢] بسند صحيح أن النبى ﷺ قال: ((ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة، ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة)) .

٣ - وعند الطبرانى [٣] بسند حسن: (ليلة القدر بلْجة (مضيئة)، لا حارة ولا باردة ، لا يرمى فيها بنجم) وقوله : لا يرمى فيها بنجم أى : لا ترسل فيها الشهب . [٤]

مزاعم أخرى :

واعلم أن الناس قد أكثروا القول فى ليلة القدر، وفى أماراتها دون هدى أو كتاب منير، حتى ظن كثير من العوام أنها طاقة نور تفتح فى كوة من السقف أو الجدار! وذكر بعضهم أن الكلاب لا تنبح فيها ، وأن المياه المالحة تصبح فى ليلة القدر حلوة، وأن الأنوار تكون فى كل مكان، وأن الأشجار تسقط على الأرض ثم تعود ثانية ، إلى آخر هذا الكلام الذى لم يصح فيه شيء، فلا ينبغى ذكره إلا للتنبيه على عدم صحته . وفى النهاية أقول إن فضل ليلة القدر يكتب لمن اجتهد فيها، علم أنه أدركها أم لم يعلم ، فاللهم اجعلنا فيها من الفائزين ، وارزقنا فيها من العمل ما ترضى به عنا، إنك عفو كريم تحب العفو يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين .

---

(١) حديث رقم ٧٦٢
(٢) حديث رقم ٢١٩٢
(٣) انظر مجمع الزوائد ١٧٩/٣
(٤) انظر دروس رمضانية للشيخ سلمان العودة ص ٩١ .

صور معاصرة للزور

شهادة الزور، وقول الزور، وعمل الزور، كلها بمعنى متقارب، وقد كثرت في هذا العصر كثرة فاحشة، لذا وجب علينا جميعاً التصدي لهذه الأمور من باب حديث النبي ﷺ : من رأي منكم منكراً فلغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك اضعف الإيمان[1]

الزور لغة :

الزور مأخوذ من (الزور). وهو ميل في الزور، وهو بمعنى الميل عن الحق ويقال: زور فلان الشئ تزويراً، وزور الشئ في نفسه : هيأه، وقيل للكذب زور، لأنه مائل عن جهته، ويقال : الزو : الكذب والباطل والتهمة ، وزور الكلام زخرفة، وأزور عن الشئ مال عنه، والزور مجالس اللهو [2]، وقال ابن حجر : ضابط الزور وصف الشئ على خلاف ما هو عليه، وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها"[3].

الزور اصطلاحاً :

قال القرطبي : شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل، من إتلاف نفس، أو اخذ مال حرام أو تحليل حرام ، أو تحريم حلال[4].

حكم شهادة الزور :

عدها النبي ﷺ من الكبائر، بل من أكبرها، فقد جاء في الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ((قَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللَّه وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)) [5].

وعن أيمن بن خزيم الأسدى رضي الله عنه ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّه ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [6].

---

(١) رواه مسلم حديث رقم ٤٩
(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٣٦ والمفردات ٢١٧
(٣) فتح الباري ٥/٤٢٦
(٤) الفتح ٥/٤٢٦
(٥) متفق عليه، انظر الفتح حديث رقم ٢٦٤٥، ومسلم حديث رقم ٨٧، واللفظ للبخاري
(٦) الحج: من الآية ٣٠ ، رواه الترمذي (٢٠٩٩- ٢٣٠٠) اللفظ له، وأبو داود (٣٥٩٩) وابن ماجة (٢٣٧٢) وحسنة المنذري (في الترغيب ٣/٢٢١-٢٢٢) موقوفا ومرفوعا

من صور شهادة الزور :

تنوعت صور شهادة الزور في عصرنا تنوعاً كبيراً ، نتيجة للحياة المادية القاحلة التي انغمس في أتونها كثير من الناس، وسوف نشير هنا لمظاهر الزور بمعناه المهم، سواء ما هو معروف من قديم أو ما ظهر في أيامنا هذه وعمت بلواه.

١) **اليمين الفاجرة :**

قال الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [(١)] يري بعض العلماء . ومنهم الإمام البخاري - إن المعنى هنا: لا يشهدون بالزور، أو لا يشهدون شهادة الزور وهو أحد القولين في تفسيرها[(٢)].

إن الأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق، معينة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين ينحرفون، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل، لكن نفراً من الناس يحولون الشهادة عن وظيفتها، لتكون سنداً لباطل، ومضللة للقضاء، وقد قال رسول الله ﷺ في هؤلاء : ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)) [(٣)].

وهذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار ، وليس لها كفارة إلا التوبة ، وقد كثر استنجار الشهود ، حتى أصبح عملاً روتينيا أمام المحاكم، وهذا من علامات قرب الساعة، لأنه من باب إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ..... [(٤)].

٢) **وصف المفسدين بالصلاح :**

إن وصف المفسد بالصلاح خيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين. وهو عمل يستوجب غضب الله ﷻ علي فاعله، لأنه لون نم قول الزور ، ((فعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ)) [(٥)].

٣) **وصف الصالحين بالإجرام :**

يحلو لبعض شياطين الإنس أن يصفوا الصالحين بالإجرام والإفساد، كما كان يشيع فرعون عن موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [(٦)].

وقد حكى القرآن الكريم صورة تتكرر في كل عصر، حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ

(١) الفرقان: من الآية ٧٢ (٢) انظر فتح الباري ٣٠٩/٥- باب ما قيل في شهادة الزور.
(٣) اخرجه البخاري ، انظر الفتح حديث رقم ٢٦٦٦ (٤) البخاري ، الفتح حديث رقم ٥٩.
(٥) رواه أبو داود ٤٩٧٧ وصححه محققه جامع الأصول ٤٣١/١١. (٦) غافر : من الآية ٢٦

إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (١).

ويكاد هذا الكلام ينطبق على العلمائيين والشيوعيين الذين لا يتورعون عن إلصاق التهم الباطلة بكل دعاة الإسلام ، وللأسف فإن بعض المشايخ ربما رددوا هذا الكلام بلا تثبت، لمجرد الخلاف في الرأي مع غيرهم من أصحاب المناهج الأخرى فلا يتورعون عن قول الزور في حق المخالفين !

كما قال أحدهم عن الجمعية الشرعية : " إنها فرقة نارية ، أو يقول مثلاً عن جماعة دعوية أخرى: إنهم طلاب حكم فهذا من البهتان والافتراء البين بلا هدي ولا بينة ولا كتاب منير !

٤) وصف الزوجات بالأمهات زور :

سمى القرآن الكريم قول الرجل لامرأته : أنت حرام على كظهر أمي بأنه منكر وزور، فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ (٢).

٥) الشعر المستعار للمرأة زور :

عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : قدم معاوية المدينة فخطبنا، وأخرج كبة من شعر ، فقال : ما كنت أري أن أحدا يفعله إلا اليهود، إن رسول الله ﷺ بلغه فسماه الزور"(٣) .

وقد جاء هذا الحديث من طريق حميد بن عبد الرحمن أنه مع معاوية بن أبي سفيان - عام حج - على المنبر، فتناول قصة من شعر ... فقال : يا أهل المدينة ، ؟ أين علماؤكم ؟ سمعت النبي ﷺ ينهي عن مثل هذه ويقول : أينما هلكت بنو إسرائيل حيث اتخذ هيه نساؤكم(٤) .

إن معاوية رضي الله عنه يهيب بالعلماء أن ينكروا هذا المنكر الذي كان في بدياته الأولي، بعد موت أكثر الصحابة، ولكن الزمان قد استدار حتى أصبحان نرى بعض العلماء ، هم الذين يزعمون أن الباروكة تحل محل الحجاب للمرأة فبالله من هذا الزور البين !

---

(١) المطففين : ٢٩-٣٦ (٢) المجادلة : ٢

(٣) متفق عليه، انظر الفتح ٢٦٥٣، ومسلم ٢١٢٧ واللفظ له

(٤) البخاري، انظر الفتح ٣٤٦٨، وانظر أيضا كتاب اللباس في الفتح، باب — وصل الشعر- حديث رقم ٥٩٣٢

٦) التفاخر بالكذب :

يحلو لبعض الناس أن يفخر على غيره ولو باختلاف أمور لم تحدث، سعيا للذكر والشهرة وجنب ثناء الناس عليه، وهذا من قول الزور الذي ينبغي الإمساك عنه، فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت يا رسول الله ، أقول : أإن زوجي أعطاني ما لم يعطني . فقال رسول الله ﷺ المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور .

٧) قلب الحقائق :

جاء في الحديث الشريف : ((سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)) [١] .

ولعل هذه الصفات تنطبق أتم الانطباق على أيمنا هذه، التي صار فيها الحق ـ عند كثير من الناس ـ باطلاً والباطل حقا . وصار الزيف والزور يكاد يكون الأصل، فسمي التمسك بالدين: تشددا أو تطرفا وسميت مجاهدة الأعداء المحتلين لديار الإسلام : إرهاباً، وسمي الجبن عن رد الاعتداء : حكمة وبعد نظر ، وسمي المجون فنا وصار التافهون يتحدثون في عظائم أمور المسلمين بل تقلب الحقائق جهارا نهاراً بتغيير نتائج الانتخابات، وتزييف إرادة الناخبين في كثير من المواقع، ولا يستجاب للمخلصين الذي لا يبغون إلا الخير. فهل هذا إلا الزور وعمل الزور الذي لا يصلح معه عبادة ؟ فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قال رسول الله ﷺ من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) [٢] .

واجبنا تجاه قول الزور :

١- لا ينبغي أن نيأس : ﴿ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٣] والله سبحانه قادر على كل شئ .

٢- محاولة الإصلاح بكل الوسائل : ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ ﴾ [٤]

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد جاء في فضل من ينكر المنكر في آخر الزمان ((أن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر)) [٥].

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وأحمد . وحسنه الشيط الألباني في صحيحه حديث رقم ١٨٨٠

(٢) البخاري، الفتح ١٥٠٣

(٣) يوسف : من الآية ٨٧

(٤) هود: من الآية ٨٨ .

(٥) رواه احمد، وصححه الألباني في صحيحه ١٢٧٥/٤ حديث رقم ١٧٠٠

مصر في القرآن والسنة

أولاً : في القرآن الكريم :

لم تحظ أرض من القرآن بوصف ولا تكريم بمثل ما حظيت به مصر :

فقد وقع ذكرها ـ صريحاً أو كناية ـ في أكثر من ثلاثين موضعاً، وقد نقل السيوطي في كتابه (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) عن الكندي تعليقه على طائفة من آيات القرآن فيها قوله : " لا يعلم بلد من أقطار الأرض أثنى الله عليه في القرآن هذا الثناء ، ولا وصفه بمثل هذا الوصف ، ولا شهد له بالكرم غير مصر، ولا غرو تكون بما وصفها الخلاق العظيم مثابة للناس وأمناً، وتكون الحاضرة وما سواها بدوا ..." .

١ ـ مصر في عهد يوسف :

لمصر شأن مع الأنبياء أي شأن !

فقد أقبل عليها ؟ أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام فأقام بين أهلها حيناً ثم خرج بجارية صارت أماً لإسماعيل الذي باركه ربه فكان صديقاً نبيًا ، ومن إسماعيل تخرج أمه.. عظيمة، هم أمة العرب المستعربين، ومنها كانت قريش زعيمة العاربين، والمستعربين أجمعين قال أبو هريرة : " فتلك أمكم يا بين ماء السماء " وقد شاء الله أن يشرف الأصل بالفرع، فتشرب هاجر بمولد إسماعيل، بل يشاء سبحانه تخليداً لتلك الفتاة المصرية، فيفرض على عباده السعي ـ كما سمعت ـ بين الصفا والمروة حاجين أو معتمرين .

ومن بعد إبراهيم عليه السلام جاء يوسف عليه السلام، إذ حمل إليها صبياً، فعاش فيها حتى توفاه الله في أرضها لقد حمله الله إلى مصر، وإن بدأ في صورة العبد ومهالة الأسير، ليتعلم العلم في الأرض التي أقام فيها العلم منذ غابر الأحقاب والدهور : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وإن التعامل في صورة مصر ـ كدولة ـ في عصر الهكسوس الذين احتلوها قبيل دخول يوسف عليه السلام إليها ليتبين له أن أحوالها كانت شديدة السوء .

فالنساء مترفات متحكمات ، وهاهو المثل الصارخ في امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، وبعد أن ظهرت جريمتها كان الجزاء : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾

والبريء يدان ظلماً: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

والإهمال والفوضى الإدارية يشملان كل شئ إلى حد أن مكث يوسف بضع سنين بلا تحقيق !

وحول الملك - لاحظ أن القرآن سماه ملكاً لا فرعون لأن لقب فرعون لم يكن ظهر بعد - بطانة جاهلة : ﴿ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ .

ولكن هذه الصورة تغيرت تماماً بعد خروج يوسف من السجن وتأويله رؤيا الملك، وبخاصة بعد أن تبوأ منصباً رفيعاً يعادل في زماننا هذا صلاحيات وزارت التموين، والزراعة، والاقتصاد، والمالية معاً !

وكان القحط الذي نزل بمصر قد زال بفضل الله ، ثم بفضل تلك الخطة الخمس عشرية التي وضعها يوسف بوحي من الله. ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾.

إنها خطة اقتصادية محكمة تتمثل معالمها الكبرى في : إنتاج غزير ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ ، وادخار ، وحرص على وجود احتياطي استراتيجي من القمح ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ ، وترشيد الإنفاق والاستهلاك : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ .

إن هذا المجتمع الذي أخلد إلى الرفاهية المفسدة، وتراخت في أهله النخوة، وتداعت فيهم الهمة عن جليل الأمور كان يفتقد الرجال من أولي الحكمة، والبصيرة ، إذ كيف لأشباه رجال فقدوا الحزم على بيوتهم، وانحسرت غيرتهم عن أهلهم ، أن يتولوا دولة ناشئة في بلد غريب ولما يرسخ كعبها في أرضه ؟

لذلك لم يكن عجباً أن يطلب يوسف أن يقوم على تنفيذ هذه الخطة بنفسه، لينقذ الناس وليسد الثغرة ، وليضمن العفة ، والأمانة ، وحسن التدبير : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ويقوم يوسف على أمر مصر خير قيام إلى حد أن أصبحت مصر في عهده قائدة للنظام العالمي القديم! فها هي تعطي المنح بلا مقابل : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ لقد احتمل عن أهله (القادمين من بلاد كنعان) ثمن ما ابتاعوه ، ورد بضاعتهم في رحالهم ! ويكون ذلك فاتحة التام أو بدية النهاية من فصول القصة ، إذ انتهي المطاف بيعقوب وبنية إلى الاستقرار بمصر ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ

إن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

٢ - مصر في عصر موسى :

دخل إسرائيل وبنوه مصر آمنين، حيث طابت لهم الإقامة فيها كاسبين مستكثرين، حتى صاروا كأنهم من أهلها، على أن احتلال الهكسوس لمصر قد زال بعد فترة، إذ هب المصريون بقيادة أمراء طيبة فشنوا عليهم حرباً ضارية، انتهت في زمن أحمس بإرساء معالم دولة مصرية حديثة، وزوال الهكسوس عن مصر، وفلسطين نهائياً .

وفي عهد رمسيس الثاني - على الأرجح والمشهور - ولد موسى عليه السلام وذلك في ظل الخوف والرعب الذي فرضه رمسيس الثاني على بني إسرائيل إذ كان قد تورط في سياسة من القتل وسفك الدماء كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ ولعل فيما روت التوراة تفسير ذلك: " هلم نحتال لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ، ويصعدون من الأرض " (٢) فقد كان فرعون وحزبه يشكون في ولاء بني إسرائيل إذن !

ولكن شاء الله لنبيه موسى أن ينجو من حرب الإبادة والتطهير العرقي، بل ويا للعجب .. يتربى في قصر فرعون ، وترضعه أمه بعد أن حرم الله عليه المراضع سواها !

ومهما يكن من شيء فلمسنا نعرف من حياة موسى منذ مولده حتى صدر شبابه شيئاً ! وأكبر الظن أنه تولى منصباً مرموقاً كما كانت العادة إذ ذاك .

إن بني إسرائيل وهي الطائفة الذليلة المستضعفة كانت في حاجة إلى زعيم ومخلص، وأمة كبرى تحتوى تلك الطائفة فهي لا تمكنها من ذلك الزعيم، ولا تفتح أبواب المناصب إلا للمتعلمين من المصريين، وقد أتاح رب العزة لموسى العلم في قصر فرعون " فتهذب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأفعال " (٣) وارتبط موسى ببني جنسه (بني إسرائيل) ارتباطاً وثيقاً إلى حد أن تورط في قتل مصري عن غير عمد دفاعاً عن واحد منهم مما يزعج الملأ من المصريين، فتآمروا على قتله رغم مكانته .

---

(١) يوسف من ٩٩ – ١٠٠

(٢) الخروج ١: ١٠

(٣) أعمال الرسل ٧: ٢٢

وتواعدوا لذلك، لولا أن أدركته عناية الله ، فخرج من مصر إلى مدين خائفاً يترقب .

وقد عاد موسى إلى مصر ، بعد أن تزوج في مدين، بعد عشر سنين ، فلم يؤخذ بذنبه - ربما لسقوط الدعوى الجنائية - ولم يلق من أهلها إلا خيراً .

عاد بعد ذلك الموقف المشهود في تلك البقعة المباركة من سيناء ، وبعد أن عهد إليه ربه برسالته إلى فرعون وملأه . ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (1).

عاد بعد أن مات رمسيس ومات ابنه أيضاً وتولى العرش ابنه الشاب سيتى الذي تقول التوراة عن عهده وتنهد بنوا إسرائيل من العبودية" (2) وذهب إليه موسى عليه السلام ليدعوه إلى الله كما أمر : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ وكان موسى عليه السلام يأمل أن يكون ذلك الشاب خيراً من أبيه ومن جده وكان يطمع أن يرضخ للحق وينصاع للحجة ولكن الأمر لم يجر كما تخيل موسى عليه السلام بل عاندوا واستكبروا، وادعى الألوهية وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ وغره ملكه وخضوع المصريين له : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ﴾ ويدور بينهما جدل طويل ينتهي بالتواعد يوم الزينة على لقاء يضم موسى عليه السلام مع سحرة فرعون لحسم الأمر : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (3).

وقد تداعى الناس عند هذا اللقاء التاريخي بين موسى عليه السلام والسحرة إلى بيوتهم وراحوا يستأنفون حياتهم مع الدين الجديد حتى يأذن الله برحمته : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) ولكن البطانة من حول فرعون وكل ملك وزعيم لا تخلد إلى سكون ، فهي دائمة التحريض : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (5) ولكن الله سبحانه شغلهم

(1) القصص ٢٩- ٣٠ (2) خروج ٢٩٢ (3) الأعراف ١١٧- ١١٨
(4) يونس ٨٧ (5) الأعراف ١٢٧

بأنفسهم حيناً فقد توالت عليهم المحـــن : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١) ثم أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ولكنهم لم يرتدعوا فأمر الله موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل بعد أن ضاق بهم المقام في مصر : ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (٢) .

غرق فرعون ونجا ببدنه ليكون لمن خلفه آية ليس لجيل أو جيلين بل لعشرات الأجيال ومئات السنين وقد صار فرعون آية بما مكن الله لأهل مصر من سلطان العلم وأسرار التحنيط، ولعل الذي يستوقفنا هنا قوله تعالى تعقيباً على هلاك فرعون وجيشه ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ فقـــد جعل الله أرض مصر نعمة لمن يقيم فيها ونقمة لمن يخرج منها .

ولقد وصفها عمرو بن العاص حين فتحها بأروع وصف فقال : " مصر تربة غبراء وشجرة خضراء يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الروحات، يجري بالزيادة والنقصان كجري الشمس القمر له أوان يدر حلابه ويكثر فيها ذبابه تمده عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا أصلخم عجاجه وتعظمت أمواجه، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب وخفاف القوارب وزوارق النهر كأنهن في المخايل ورق الأصائل، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدا في جريته وطعما في قدرته فعند ذلك يحرثون بطون الأرض ويبذرون فيها الحب ويرجون بذلك الثمار من الرب ... فبينما مصر يا أمير المؤمنين درة بيضاء إذا هي زبرجدة خضراء ثم إذا هي ديباجة رقشاء ثم إذا هي عنبرة سوداء فتبارك الله الفعال لما يشاء "

وقد مكن الله لبني إسرائيل في الأرض، حيث أقاموا في سيناء يأكلون من رزق الله من المن والسلوى، يشربون من العيون التي تفجرت بأمر الله لموسى عليه السلام ، ورغم ذلك فقد كانوا يحنون إلى زروع مصر : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ

---

(١) الأعراف ١٣٠
(٢) يونس ٩٠ـ ٩٢

تُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (١).

وفي هذا إشارة إلى خيرات مصر الكثيرة وزروعها المتنوعة

موسى والخضر :

ذكر القرآن موضعاً يلتقي فيه بوعد من الله موسى والخضر عليهما السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ ونحن نعرف من سيرة موسى عليه السلام أنه لم يخرج من مصر إلا إلى مدين أولاً ثم غادرها مع بني إسرائيل في خروجهم الذي أعقبه التيه في سيناء حيث مات موسى عليه السلام قبيل دخول فلسطين، ولذلك فالراجح أن مجمع البحرين في مصر، ولا أكاد أشك أنهما دخلا بعد ذلك إلى سواد مصر حيث الملاحة في النيل عماد الحياة فيها، وحيث جرت عادة السلطات المصرية - حينئذ - من استيلاء على السفن أحيانا، فالجولة إذن مع الخضر كانت - في رأينا - مصرية خالصة .

٣ - **عيسى في مصر** :

قدر الله لعبده ونبيه عيسى بن مريم عليه السلام أن يهبط مصر حين كان في المهد صبياً، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٢). وفي تعيين هذه الربوة افترض المفسرون فروضاً كثيرة لم يغفلوا مصر في أي منها، فقالوا : هي بيت المقدس أو دمشق أو الرملة أو مصر ، أما السيوطي فقد جمع في (حسن المحاضر (٣)) كثيراً من النقول عن السلف في أنها مصر : منها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية أنها مصر وقال: " وليس إلا بمصر، والماء حين يرسل يكون الربى عليها أي القرى، ولولا الربى لغرقت القرى " كانت نقل ابن المنذر عن وهب بن منبه أنها مصر ، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق يسنده إلى ابن عباس قال : إن عيسى كان يري العجائب في صباه إلهاما من الله ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمة عليه فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ قال يعني أرض مصر" (٤) .

ثانياً : في السنة المطهرة :

شرفت مصر بأن دعاها نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام في شخص حاكمها (المقوقس) والي الروم عليها، إذ كنت إليه يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله

(١)البقرة ٦١ (٢) المؤمنين ٥ (٣) حسن المحاضر ٢ (٤) حسن المحاضر ١٠

ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى .. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وقد أوصى النبي ﷺ بمصر وأهلها وصية خاصة في طائفة من الأحاديث منها :

١- ما روته أم المؤمنين لم سلمه رضي الله عنها أن رسل الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: ((الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله)) (٢).

٢- وعن عبد الله بن زيد وعمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ قال : ((فاستوصوا بهم خيراً ، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله)) يعني أقباط مصر (٣).

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمي فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما " أو قال : " ذمة وصهرا " (٤))) فالرحم التي لهم : كون هاجر منهم : والصهر كون مارية منهم .

والقيراط جزء من الدينار (اشتهر أهل مصر بالتعالم به) ، وقيل القيراط : مجتمع الناس ، وأعيادهم ، كانوا يقولون تعالوا نشهد القيراط .

وقد ذكر الإمام النووى هذا الحديث الأخير (٥) في كتابه " رياض الصالحين " في باب : " بر الوالدين وصلة الأرحام " إشارة إلى هذه الرحمة التي أمر الله بها ورسوله ﷺ أن توصل بين المسلمين ولين أهل مصر، حتى قبل أن يسلموا .

وقد صدق الواقع التاريخي ما أخبر به رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث، فقد فتح الله على صحابته مصر ، ورحب الأقباط بالفاتحين ، وفتحوا لهم صدورهم ، رغم أن الروم الذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم .

ودخل الأقباط في دين الله أفواجاً ، وتحولت مصر - عبر السنين - إلى قلعة حصينة

---

(١) آل عمران ٦٤
(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد ٦٢/١٠
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه ، كما في الموارد (٢٣١٥) وفي مجمع الزوائد ٦٤/١٠ قال : رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح)
(٤) الحديث بروايته صحيح مسلم باب وصية النبي بأهل مصر .
(٥) الذي رواه مسلم .

للإسلام والمسلمين، فقهرت الغزاة ، ونشرت الدين حتى انتشر الإسلام عبرها في أفريقيا كلها بل وأسهمت في إنقاذ المسلمين جميعاً من ويلات التتار حين دحرتهم في " عين جالوت " ، والصليبيين حين هزمتهم في " حطين " وأسر أبناؤها (لويس التاسع) في دار ابن لقمان بالمنصورة ، وحطموا ـ بالأمس القريب ـ أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر .

تاريخ كريم ما أروعه ، وسجل ناصع ما أبدعه أفمتى نصل الحاضر بذلك الماضي المشرق؟

كلمة أخيرة :

- قد يقول قائل ولكن ما هذا الحديث الطويل عن مصر ، وأنت رجل إسلامي الوجهة؟ فأقول : إن بلالاً الذي ضحى بكل شئ في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة، وتقطر حلاوة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردت يوماً مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولقد سمع الرسول ﷺ وصف مكة من " أصيل " فقال ودمعه يجري : دع القلوب تقر يا أصيل ، إننا نحب هذا البلد الكريم ، ونعمل على خيره ومجده ، ومهما حدث فنحن له لا عليه

بلادي وإن جارت علي عزيزة ... وأهلي وإن ضنوا علي كرام

ونحن مع حبنا لتاريخ مصر قديمه وحديثه ، ومع فخرنا بما سبق إليه أهلها من علوم ومعارف ولكننا نرفض تمجيد فرعونية وثنية، ونذكر محاولات بعثها ـ بأسمائها وألقابها ـ من جديد .

إن وطننا هذا الذي تلقى الإسلام تلقياً كريماً، وصار محضن الفكرة الإسلامية لا يستحق منا إلا أن نخلص له كبداية للنهضة الإسلامية الكبرى لوطننا الإسلامي الكبير.

إنقاذ الأمة .. مقدم على تكرار الحج والعمرة

ليس الإسلام لمن يجعل اسمه ولا يحمل همه ! إن الإحساس بالمسلمين وهمومهم واجب ، فضلا عن كونه نعمة ! ولذلك جاء في الحديث : ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُـهُ وَلا يَحْقِـرُهُ)) [(١)] ومن ترك مسلمًا يجوع أو يعرى ، وهو قادر على إطعامه وكسوته ـ فقد خذله .

ومن فقه الأولويات في ترجيح عمل على أخر أن يكون أكثر نفعًا من غيره ، وعلى قدر تعدّي منفعته للآخرين يكون فضله وأجره عند الله ، وهذا ما يقرره حديث مبهرُ جميل : " أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحبّ الأعمال إلى الله عزل وجل سرورٌ تدخله على مسلم ، او تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُ إلي من أن اعتكف في المسجد شهرًا "[(٢)].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في الإجابة عن هذا السؤال أيهما أفضل التصدق بالمال على الفقراء والمساكين ، أم نافلة الحج والعمر ؟

فإننا ـ مع احترامنا الدائم للمخالفين ـ نرى أن رأى الإمام أحمد بن حنبل أكثر اتساقًا مع القواعد الكلية للشريعة ، حين قرر : " أن التصدق للفقراء أولى إن كان ثمّ رحمٌ ، محتاجة أو زمن مجاعة " وهو أيضا رأى الحسن رضي الله عنه إذ يقول : " إن صلة الرحم والنَفس عن المكروب أفضل من التطوع للحج " . بل يقول : " مشيك في حاجة أخيك المسلم خيرٌ لك من حجةٍ بعد حجة "[(٣)] .

وأما الاستدلال الذي ورد في (مجلة التوحيد – عدد شهر شعبان ١٤٢٢ هـ) بحديث : ((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ)) [(٤)] على فضل تكرار الحج والعمرة فهو استدلال في غير موضعه ، إذ يقول المباركفورى في شرح كلمة (تابعوا) : " أي قاربوا بينهما ، إما بالقرآن ، أو بفعل أحدهما بالآخر . قال الطيبى رحمه الله : أى إذا اعتمرتم فحجوا وإذا حججتم فاعتمروا . [(٥)] .

ولاشك أن التطوع بالحج أو بالعمرة له فضل ، ولكن إنقاذ المسلم الجائع أو المشرد أو العاري أو المريض أو المدين فضله أكبر ، وثوابه عند الله أعظم . فقد جاء في الحديث : ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) [(٦)].

---

(١) متفق عليه (٢) رواه الطبراني وغيره ـ عن ابن عمر ـ وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).
(٣) انظر هذه الأقوال في لطائف المعارف لابن رجب (٣٢٤ ـ ٣٨) .
(٤) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح .
(٥) تحفة الأحو ذي ٥٤/٣ (٦) رواه مسلم .



ولذلك أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإرشاد بالسعودية برئاسة العلامة ابن باز رحمه الله بتقديم الصدقة على نافلة العمرة في رمضان " لأن نفع الصدقة يتعدى لغيرك مع حصولك على الأجر العظيم والثواب الكبير ، ولما في الصدقة من التكافل والتآزر بين المسلمين ، وسد حاجة معوزهم وإعانته على أمر دينه ودنياه. "[1].

وصدق عبد الله بن مسعود - وكأنه ينظر من وراء الغيب لزماننا - حين قال : " في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب ، يهون عليهم السفر ، ويبسط لهم في الرزق ، ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار ، وجاره مأسور على جانبه لا يواسيه. "[2].

إن المسلم - لو عرف معنى فقه الأولويات - مطالب بتقديم الأهم على المهم فليت من يتطوع بالحج أو بالعمرة يبذل ماله في إنقاذ إخوانه المسلمين ، وليته يشعر بسعادة أكبر وروحانية أقوى كلما استطاع أن يقيم بنفقات الحج أو العمرة مشروعًا إسلاميًا يكفل الأيتام ، أو يطعم الجائعين أو يعالج المرضى أو يرد عنا غائلة التنصر ، بدلا من أن يقديم استمتاعه الشخصي على حقوق إخوانه ، وبدلا من أن يكتفي بالدعاء والدعاء سلاح عظيم ، لا ننكر ذلك ولكن ينبغي أن يصاحبه بذل وتضحية واستفراغ للوسع في المساعدة بأقصى الطاقة .. قال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فلابد من عمل صالح يرفع الدعاء ويجعله مقبولاً ، هذا في الأحوال العادية ، أما في زماننا هذا ، فإن أمتنا تواجه حرب استئصال شرسة في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير والفلبين ومقدونيا . إلخ . فالجهاد في هذه الحالة واجبٌ شرعاً ، ويكون بحسب الإمكان فمن عجز عنه بنفسه فالجهاد بالمال من أفضل الأعمال ، فلا ينبغي أن يتقاعس عن ذلك أيضاً .

فقد جاء في صحيح الإمام مسلم ((عَنْ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ مَا أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلا بَعْدَ الْإِسْلامِ إِلا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ وَقَالَ آخَرُ مَا أُبَالِي أَنْ لا أَعْمَلَ عَمَلا بَعْدَ الإِسْلامِ إِلا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَقَالَ آخَرُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

---

(١) انظر نص الفتوى بمجلة البيان اللندنية (عدد ١٣٢- رمضان ١٤١٩ هـ).
(٢) الإحياء طبعة الحلبي ، ٣٩٧/٣ .

هـذه القصة الصحيحة تدل على أن جنس أعمال الجهاد مقدم على جنس أعمال الحج ، سواء قلنا : إن الآية نزلت بسببها ، أو قلنا إن النبي ﷺ قد قرأها واستدل بها في إجابته لسؤال عمر بن الخطاب ؛ فالحكم في الحالين لا يختلف.[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال : ((أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَجٌّ مَبْرُورٌ)).

فالجهاد مقدم على الحج الواجب ، بنص القرآن والسنة ، فكيف بحج النافلة ؟

================== رمضان (٣٠) ـان ==================

واجبنا نحو الجهاد وأهله

المتخلفون عن الجهاد صنفان :

الصنف الأول : من يتخلف عنه مع القدرة عليه .. فهذا وعيده في القرآن شديد .. قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2]

فهذه أعذار ثمانية أبطالها الله سبحانه ، وسمي من يعتذر بعذر منها فاسقاً ، وتوعده بالضلال وعدم الهداية ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وكذلك توعد رسول الله ﷺ من يتخلف عن الجهاد بالذل ، فقال : " إذا تبايعتم بالعينة وأختم أذناب البقر ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، وسلط الله عليكم ذلاً لا ينزعنه حتى ترجعوا إلى دينكم ، فهذه عقوبة قدرية تلحق بكل متخلف عن الجهاد مع القدرة عليه .[3]

أما الصنف الثاني : فأصحاب الأعذار الشرعية ممن لهم رغبة صادقة في الجهاد ، ولكنهم عجزوا عن الوصول إلى ساحاته .. إما لإكراه ، أو حبس ، أو مرض ، أو عدم قدرة على النفقة ، وما شاكل ذلك من الأعذار المقبولة شرعاً ، فهولاء نرجو أن يكتب الله لهم أجر المجاهدين .. فقد جاء في الحديث : ((إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا ولا سرتم سيراً غلا وهم معكم " قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : " نعم .. حبسهم العذر))[4].

قال ابن حجر : والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض ، وعدم لقدرة على السفر ، وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ " حسبهم المرض ، وكأنه محمول على الأغلب .. وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل[1]. ولكن أصحاب الأعـذار ـ مع

---

(١) كما ذكر القرطبي في التفسير (٩٢/٨).   (٢) التوبة ٢٤

(٣) الحديث أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الألباني في الصحيحة ١٥/١ :. ٢٤

(٤) متفق عليه

هذا - يجب عليهم أمور :

١- إخلاص النية والدعاية للقضية :

فيجب أن تتوق النفس إلى الجهاد ، وإلى نصرة المسلمين المستضعفين ، وإلا كان ممن رضي بما يحدث لهم .. فقد جاء في الحديث : ((ما من امرئ يخذل مسلماً في وطن ينقص فيه من عرضة ، وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته))[٢] ، وعليه أن يدعو إلى .. قضية الجهاد في سبيل الله بأن يبين الحق الذي يقاتل من أجله المجاهدون ، ويبين الباطل الذي عليه المشركون ، وما يرتكبه اليهود وأشباههم من فظائع ضد المسلمين .. فهذا من الجهاد باللسان كما جاء في الحديث : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "[٣]

والإعلام اليوم سلاح خطير ، ينبغي أن يحسن المسلمون استغلاله وتوظيفه لخدمة الحق وأهله .

٢- الدعاء :

الدعاء للغزاة المجاهدين بالنصر ، وعلى العدو بالخذلان سلاح مؤثر .. فقد جاء في الحديث : " إن الله ينصر هذه الأمة بضعيفها : بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم " النسائي .

ودعاء السحر سهام القدر ، ولذا قال ابن القيم في توليته المسماة (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)

هــذا ونصــر للــدين فــرض لازم	لا للكفايــة بــل علــى الأعيــانِ
بيــد وإمــا باللســان فــإن عجــزت .	فبالتوجــه والــدعاء بجنــان
مــا بعــدها والله للإيمــان حبــ	ــة خــردل يــا ناصــر الإيمــان

٣- تحريض المؤمنين وتخذيل المشركين :

الدال على الخير كفاعله ، والعاجز عن الجهاد عليه أن يحرض غيره ن لقوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾[٤] .

وعلى المسلم أن يزود المسلمين بكل ما يعنيهم على قتال عدوهم من معلومات وخبرات ، مع كتمان أسرار المسلمين ، كما أن عليه أن يخذل المشركين بما استطاع ، مكا فعل نعيم بن مسعود رضي الله عنه ، يوم الأحزاب ، وهذا يقتضى عدم إعانتهم ، وعدم اتخاذهم أولياء ، لأن الوعيد على هذا شديد، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[٥]

---

(١) فتح الباري ٤٧/٦ .

(٢) رواه أبو داود ٤٨٨٤ ، والطبراني في الأوسط بإسناد حسن كما في مجمع الزوائد (٢٦٧/٧)

(٣) رواه أبو داود . (٤) النساء ٨٤. (٥) المائدة ٥١

٤- النفقة في سبيل الله :

يجب على المسلمين إن عجزوا عن الجهاد بالنفس أن يجاهدوا بأموالهم ، لتجهيز كل من يريد الجهاد أو الاستشهاد بالمال والسلاح ، وكفالة أسرهم ، وعلاج الجرحى والمعوقين ، وفداء الأسرى ، والقيام على من أوذي في سبيل الله إيذاء يمنعه من التكسب لعياله ؛ لأن قعود المسلمين عن معاونة هؤلاء من أعظم أسباب الصد عن سبيل الله ، فإن الرجل إذا تيقن ضياع عياله من بعده صدّه ذلك عن الجهاد في سبيل الله . والمال لازم للجهاد ؛ ولذا قدمه الله في الذكر تقديم ترتيب في تسع آيات من كتاب الله لأن الجهاد بالنفس لا يكون إلا بعد الجهاد بالمال ، وقد توعّد الله من يتخاذل عنه بقوله سبحانه : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [١]

وصدق الشاعر حيث يقول :

الجود بالمال جود فيه مكرمة ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قد يسأل بعض الناس عمن أصاب مالاً حراماً هل يقبل منه تبرعات ؟

وأجيب هؤلاء بكلام يشفي العليل ، ويروي الغليل لابن تيمية رحمه الله يقول فيه :

" حتى لو كان الرجل قد حصل بيده مالاً حراماً ، وقد تعذر رده إلى أصحابه لجهله بهم ، ونحو ذلك ، أو كان بيده ودائع ، أو رهون قد تعذر معرفة أصحابها فلينفقها في سبيل الله ... فإن ذلك مصرفها ، ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد ، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه ، كما أخبر الله في كتابه سبحانه وتعالى : ﴿ يَغۡفِرۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ ومن أراد التخلص من الحرام والتوبة ولا يمكن رده إلى أصحابه ، فلينفقه في سبيل الله عن أصحابه ، فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه ، مع ما تحصل له من أجر الجهاد " . [٢]

وقد أزال ابن رجب الحنبلي شبهة عدم جواز التخلص من المال الحرام في وجوه الخير لحديث : " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " فقال بعد أن عرض بعض الآراء في المسألة .

" والصحيح تصدقه به ؛ لأن إتلاف المال وإضاعته منهى عنه ، وإرصاده - حفظه - أبداً تعريض له للإتلاف ، واستيلاء الظلمة عليه ، والصدقة به ليست عن مكتسبه حتى يكون تقرباً منه بالخبيث ، إنما هي صدقة عن مالكه ليكون نفقة له في الآخرة ، حيث يتعذر عليه الانتفاع به في الدنيا " . [٣]

أي أن ابن رجب يرى أن المرء إن تقرب إلى الله بمال حرام لم يتقبل منه ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، لكن إن كانت نيته التخلص من هذا المال ، وإنفاقه بنية الصدقة

---

(١) محمد : ٣٨
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٢١ – ٤٢٢.
(٣) جامع العلوم والحكم ص ٨٩ .

لصاحبه الحقيقي - إن علمه - فجائز وحسن ، وهو خير من إتلافه أو إهلاكه .

وأزيدك أخي القارئ فأقول : المال حرام على صاحبه ، فلا ينتفع به في عمل دنيوي ، ولا يسعى ليحصل به على أجر أخروي ، أما التخلص منه للغير ، فلا شيء فيه وسيصل الثواب بإذن الله إلى صاحبه الحقيقي ، أو أصحابه إن تعددوا لأنهم حرموا من نفعه في الدنيا ، فلا يحرمون من ثوابه في الآخرة إن شاء الله .

٥- **مقاومة التطبيع ثقافياً واقتصادياً :**

اليهود يكرهوننا بشهادة القرآن الكريم ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ .. والكيان الصهيوني الغاصب ليس له شرعية عندنا نحن المسلمين ؛ ولا عند المنصفين العقلاء في العالم كله ، وقد قام منذ يومه الأول على الدماء والأشلاء ، واغتصاب الأراضي وهتك الأعراض .

- فكيف لنا أن ننسى ذلك كله ونضع أيدينا في يده الملوثة ؟
- كيف ننسى عشرات المذابح عبر تاريخه الدموي الأسود ؟
- كيف ننسى مذبحة بلدة الشيخ عام ٤٧ ، ودير ياسين عام ٤٨ ، وخان يونس عام ٥٦ ، وبحر البقر وصابرا وشاتيلا عام ٨٢ ، والحرم الإبراهيمي عام ٩٣ ، وغيرها ، وغيرها ؟

إن عدونا خسيس وحقير ، وأبناؤه مجموعة من العصابات الإجرامية الغادرة التي تتحين الفرصة للقضاء علينا ، كما قال أحكم الحاكمين وأصدق القائلين : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾[1] .

فهل نتعامى عن هذا كله تحت دعوى الواقعية ؟

إن الواقعية الحقيقية هي التى تفرض علينا أن تقاوم أحلامهم المدنسة قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

إن الواقعية هى التي تفرض علينا أن نقرأ تاريخهم الأسود ، وأن نعرف ماذا يريدون بنا ، فكم في الزوايا من خبايا !!

ليس من الواقعية في شيء أن نضفي شرعية على اغتصابهم لأراضي المسلمين تحت زعم دفع مسيرة السلام ! وليس من الواقعية استقبال ممثليهم بحفاوة ، أو الجلوس معهم في المؤتمرات والندوات واللقاءات ؛ لأنهم يستغلون ذلك أسوأ استغلال حين يعلنون أن لهم أنصاراً وأصدقاء منا يؤيدون مشروعهم الاستثماري الوقح .

ليس من الواقعية، وليس من الوطنية في شيء قيام بعض الساسة بتهنئة الغاصبين

(١)التوبة : ١٠

في ذكرى الاغتصاب !!

ولذا فقد سعدنا بقيام اتحاد كتاب مصر - في خطوة متأخرة - بفصل كاتب تطبيعي يجاهر بزياراته المتكررة للعدو الصهيوني ، وبقيام نقابة الصحفيين بالتحقيق مع ثلاثة صحفيين مصريين - للأسف - بحضور احتفال سفارة العدو بالذكرى الثالثة والخمسين لاغتصاب فلسطين !!

إن الشعب المصري كله رفض زيارة الحاخام القذر ، ورفض زيارة القدس وهي تحت الأعلام اليهودية ، إن هذا يعنى أن الشعب المصري على اختلاف انتماءاته وطوائفه يرفض التطبيع وأهله ، وهكذا كل الشعوب العربية والإسلامية ، ولذا فيجب أن نستثمر هذا في الدعوة لمقاطعة اليهود وأعوانهم من الأمريكان . مقاطعة اقتصادية شاملة ، فإن من يعطى أمواله لعدوه إما خائن أو سفيه !!

فيجب أن نقف جميعاً في وجه من يحاول إزالة الحاجز النفسي بيننا وبين اليهود ، يجب أن تقوى روح المقاومة ونرفض الانبطاح والاستسلام .. وبالله تستدفع البلايا .

====== رمضـ()ـان ======

=========== قالوا عن رمضان ==========

" رغم أنف رجل دخل عليه رمضان . فانسلخ قبل أن يُغفر له "

حديث شريف وسنده حسن

الصوم كف النفس عن الأكل والشرب والمفطرات وهي من أجلّ النعم . والامتناع عنها زمانًا معتبرًا يبين قدرها . إذ النعم مجهولة فإذا فُقدت عُرفت .

الإمام محمود خطاب السبكي

أية معجزة إصلاحية أعظم من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضي أن يحذف من الإنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يومًا في كل سنة . ليحل محله تاريخ النفس ؟ !

الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي

ليس بجمل أن ينادي منادي الحق تبارك وتعالى وقد جاء رمضان : يا باغي الشر أقصر . وي باغي الخير هلم . فلا يبادر المسلمون إلى الإجابة . ولا يسارعون إلى تلبية الداعي البر الرحيم .

الإمام حسن البنا

إن مدرسة الصيام تستمر شهرًا واحدًا . في كل سنة قمرية . والتعليم فيها مجاني . وينال الدارسون فيه جوائز وحوافز . والشهادة الممنوحة في نهاية الدراسة (لعلكم تتقون)

الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق

إن شهر القرآن قد أظلكم .. فهل أنتم أهله ؟ فإن كنتم فابحثوا فيه لمن العزة في الأرض اليوم ؟ فإن وجدتموها لغيركم . فاسألوا أنفسكم : لماذا لا تعود إليكم من جديد ؟

زينب الغزالي


الفهرس


تم بحمد الله